

د. ياسر ثابت

تاريخ اليهود

في مصر والعالم العربي

سنوات الظل والغموض

واقع الوجود اليهودي في المنطقة.. من أين بدأوا وإلى أين وصلوا؟



دار دُون

تاريخ اليهود
في مصر والعالم العربي

د. ياسر ثابت: تاريخ اليهود في مصر والعالم العربي، كتاب

الطبعة العربية الأولى: يناير ٢٠٢٣

رقم الإيداع: ٢٥٦٧٨ / ٢٠٢٢ - الترقيم الدولي: 8 - 331 - 806 - 977 - 978

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر
لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة
بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب
لا تعبر عن رؤية الناشر بالضرورة
وإنما تعبر عن رؤية الكاتب.

© دار دَوْن

عضو اتحاد الناشرين المصريين.

عضو اتحاد الناشرين العرب.

القاهر # مصر

Mob# 2#01020220053

info@dardawen.com

www.Dardawen.com

د. ياسر ثابت

تاريخ اليهود

في مصر والعالم العربي

سنوات الظل والغموض

واقع الوجود اليهودي في المنطقة

من أين بدأوا وإلى أين وصلوا؟

دَوْنِ



لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

إهداء

إلى الصديق الباحث والمؤرخ توحيد مجدي، ناظر مدرسة الحقائق بالوثائق

لا ينتمي هذا الكتاب إلى فئة المقالات السياسيّة التي تُطلق الأحكامَ الجاهزة وتحتكر الحقيقة. جُلُّ ما يطمح إليه مؤلف هذا الكتاب هو إنجاز بحثٍ جادٍ يرتكز على المراجع، ويُقَبَّ في المصادر، ويستخرج المعلومات، بعيداً عن مقالات الرأي والخواطر الذاتية والكتابة الانطباعية التي تضرُّ ولا تنفع.

يُقدِّم هذا الكتاب لمحات عامّة عن اليهود في العالم العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، من منظور اجتماعي واقتصادي لا يخلو من إشارات تاريخيّة تبدو ضرورية لشرح التفاصيل المعنية. نقول: لمحات؛ لأن الاستفاضة في الحديث عن تفاصيل هذا التاريخ وأحداثه قد تملأ مجلدات؛ لذا اكتفينا بالتركيز على التاريخ الحديث والمعاصر، وهو الإطار الزمني المحدد لهذه الدراسة، مع إشارات إلى مراحل سابقة تُلقى الضوء على الوجود اليهودي في المنطقة، والأدوار التي لعبوها، والعلاقات التي ربطت بينهم وبين غيرهم عبر فترات وعهود مختلفة.

حملنا على اختيار هذا الموضوع جملة أسباب، لعل أهمها أن هذا الموضوع لم ينل ما يستحقه إلى الآن من الأبحاث والدراسات الموضوعيّة باللغة العربيّة؛ إذ إن موضوع الأقليات العرقيّة والدينيّة في العالم العربي ظل حتى زمنٍ قريب، من المسكوت عنه في الكتابات التاريخيّة، والدراسات الاجتماعيّة والسياسيّة.

كذلك فإن فترة الدراسة تمثل شطراً مهمّاً من تاريخ المنطقة، وهي فترة معاصرة زاخرة بالأحداث وتنفرد بخصائص وسمات معينة في تاريخ الأمة العربيّة، بالإضافة إلى أنه لم يُنشر حتى الآن إلا القليل جداً مما يتصف بالموضوعيّة عن هذا الملف، حتى كادت الدراسات والأبحاث حول اليهود في العالم العربي تكون جُكراً على باحثين غربيين ومتقنين من تلك الجاليات اليهوديّة. ربما بات ضرورياً ترتيب ذاكرتنا، والإحاطة بتاريخ اليهود في العالم العربي، من حيث حياتهم ونشاطهم وانتماءاتهم وموقفهم من الحركة الصهيونيّة، بعيداً عن الأحكام الجاهزة والأقوال المرسلة، والخلط الذي يعيد تركيب الصورة وفَقَّ الأهواء والأمزجة والتصورات العقائدية والفكريّة المنغلقة.

يقول ألدوس هكسلي: «إنَّ ضعف استفادة البشر من دروس التَّاريخ هو أهمُّ درس يُلقيه علينا التَّاريخ»؛ واليوم، أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، علينا أن نستخلص العبرة من تاريخنا الحديث والمعاصر، ودور اليهود في العالم العربي خلال تلك الفترة؛ ويتطلَّب هذا الاشتغال على الذَّاكرة بوضع الأمور في سياقها التَّاريخي من جهة، ومن جهة أخرى الإدانة الشديدة لكلِّ مَنْ يُقدِّمون على طمس هذا التاريخ، سواء كان ذلك بإنكاره أو باستغلاله.

نحاول هنا بمنهجية واضحة ودقة علميّة، قدر ما تسمح به المصادر والمراجع، إثبات الوقائع

التاريخية وتحليلها بطريقة موضوعية، بعد أن غامت الرؤية وانصرف العامة عن استقراء التاريخ وفهم حقيقة ما جرى في القرنين الأخيرين من أحداث وتطورات أعادت تشكيل المنطقة مرة تلو الأخرى، حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن.

تحكي صفحات هذا الكتاب عن سنوات ظلّ وغموض، فرض المسكوت عنه، وإلى حدّ ما الخطاب الخارجي والأجنبي، قراءة متناقضة أحياناً، أو مثيرة للشبهات في أحيانٍ أخرى. ولعل أهم ما استنتجناه أن الطوائف في الدولة جزء من الكل، فإذا سارت الدولة في طريق الحضارة وال عمران وتطبيق القوانين والعمل بالداستير؛ أخذت الطوائف نصيبها من تلك النهضة وفقاً لظرفتها واستعدادها ومنزلتها في المجتمع.

إن رسم صورة تاريخية للمجتمعات العربية ومكوناتها المختلفة، ودراسة تطور العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واليهود الذين عاشوا في العالم العربي خلال تاريخه الحديث والمعاصر، ورصد التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شكّلت أبعاد هذه العلاقات، تساعدنا على فهم طبيعة هذه العلاقات وتطوراتها وأدوار الأقليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بعيداً عن غبار التحيز أو عواصف مصادرة الآراء التي تستحق النقاش.

وحتى وقت قريب نسبياً، لم يكن التأريخ المهيمن ليهود المنطقة يأخذ في عين الاعتبار مسارات اليهود الذين حاربوا الاستعمار، وسعوا للمساهمة في المشروع الوطني لإعادة الإعمار في مرحلة ما بعد الاستقلال. عوضاً عن ذلك، شدّدت غالبية السرديات على الهجرات الجماعية لليهود وعلى العداوات بين فئات المجتمع، خاصةً في أعقاب احتلال الأراضي الفلسطينية عام ١٩٤٨ وزرع كيان صهيوني عرقي اجنتائي في فلسطين العربية.

ونحن في غنى عن القول: إن هناك بوناً شاسعاً بين اليهودية والصهيونية، ولا يجوز الخلط بين الأمرين، خصوصاً حين نعيد قراءة تاريخ اليهود في العالم العربي المعاصر. بلغة المنطق، ليس كل يهودي صهيونياً بالضرورة، وبلغة التاريخ، فإن العالم العربي شهد يهوداً انصهروا في مجتمعاتهم العربية وشاركوا بإيجابية في النشاط الاجتماعي والاقتصادي، وربما السياسي، تماماً كما شهد انحياز أفراد ومجموعات يهودية أخرى إلى الحركة الصهيونية، وانضمامهم تحت لوائها. في تقديرنا أن القراءة المنصفة للتاريخ هي أفضل طريقة للدفاع عن حقوق الإنسان، بغض النظر عن دينه أو جنسيته أو لون بشرته. لقد عملت جماعات الضغط في مواقع صنع القرار بالعواصم الكبرى على إخراس الأصوات المناهضة للصهيونية عبر نخب سياسية وثقافية ترى في معاداة الصهيونية معاداة للسامية ينبغي تجريمها هي أيضاً ومقاضاة أصحابها؛ بل صارت حتى مناصرة الفلسطينيين مدعاة لتلك التهمة. شيئاً فشيئاً، استغل مصطلح معاداة السامية ذلك المصطلح الأوروبي الذي لم تعرفه البلاد العربية، وترافق مع ولادة الصهيونية السياسية أواخر القرن التاسع عشر - من قبل السلطات الإسرائيلية ومناصريها في مسعى لنزع الشرعية عن القضية الفلسطينية

وإسكات صوت المدافعين عن الحقوق العادلة والشرعية للفلسطينيين. لقد بات لزاماً علينا تنقية المفهوم -الذي تحوّل إلى أحد مرتكزات الاستراتيجية الصهيونية- من الاستغلال السياسي أو الديني والدعاية الفجّة التي تصادر حقوق الآخرين وتكتم الأفواه. وأياً كانت الذريعة فلا يمكن التسامح مع أيّ تعبير عن الكراهية تجاه اليهود من حيث كونهم يهوداً في أيّ مكان من العالم. في الوقت نفسه، لا يجوز تجاهل حقوق الفلسطينيين والعرب في أرضهم وتاريخهم وممتلكاتهم.

وإذا كنا نتناول في صفحات من كتابنا جانباً من حياة اليهود في العالم العربي الحديث والمعاصر والمآلات التي صاروا إليها، فإننا لا يجوز أن ننسى حقيقة تعرّض الشعب الفلسطيني إلى سلسلة من سياسات التهجير الممنهجة والهادفة إلى تشريد الشعب الفلسطيني واقتلعه من أرضه، كان أبرزها في نكبة عام ١٩٤٨ التي أدت إلى تشريد غالبية الشعب الفلسطيني. إنّ حقائق التاريخ تُثبت أيضاً أن إسرائيل لم تتوقف عن تهجير الفلسطينيين سواءً نفذت ذلك من خلال القوة العسكرية المباشرة، أو من خلال سياسات وقوانين عنصرية تفرضها على الفلسطينيين يومياً؛ بهدف تهجيرهم والسيطرة على أكبر مساحة من الأرض بأقل عدد من الفلسطينيين.

الشاهد أن أغلبية يهود البلاد العربية غادروها نتيجة لمخططات الحركة الصهيونية وانتهاجها أساليب الترهيب والترغيب؛ بهدف هزّ استقرار اليهود الموجودين في البلدان العربية، وجذبهم إلى إسرائيل؛ تلبية لاحتياجاتها من الطاقة البشرية من جهة، وللقوة العسكرية من جهة أخرى.

ولعل أحد أهداف الكتاب هو تقديم رواية أقرب إلى الحقيقة لحياة يهود البلاد العربية، بدلاً من التاريخ المخلّق والمفبرك الذي تتبناه الصهيونية، تماماً كما تبنت وبلورت رواية تاريخية وأساطير تأسيسية عن حرب ١٩٤٨، وتجاهلت «الثقوب السوداء» الكثيرة التي رفضت -وما زالت ترفض- الرواية التاريخية الإسرائيلية رؤيتها.

إن البحث عن الحقيقة يتطلب رؤية هذه «الثقوب السوداء»؛ لأنه من غير الممكن الحياة في خداع ذاتي مستمر؛ ولأن مواجهة الحقيقة أفضل بكثير من التنكر للحقائق التاريخية، وأكثر جدوى من العمل على استمرار فرض وهيمنة رواية مليئة بالكاذيب. دعونا نُشيرُ إلى أن إسرائيل الرسمية ما زالت تنتكر حتى الآن لمجرد حدوث النكبة، وترفض الاعتراف بأن عصابات صهيونية طردت الفلسطينيين من أكثر من ٥٣٢ مدينة وقرية، وأنها قامت بتدمير معظمها الساحق، وأسست على أنقاضها كيبوترات وبلدات ومدناً يهودية، وعملت على توطين مهاجرين يهود في بيوت القرى والمدن الفلسطينية التي أبقت عليها.

إننا نعتبر أنه من المشروع والضروري استقراء التاريخ الحقيقي حتى نتجنب المزيد من جرائم الإبادة الأخرى في العصور الحديثة؛ بل إنه ينبغي أن تكون هذه القراءة الموضوعية لتاريخنا المعاصر وهذا التنوع في تاريخنا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ضمن تربية الأجيال الجديدة في مواجهة كلّ أشكال الأحكام النمطية والكراهية العنصرية.

يبقى القول: إن عملية البحث عن المراجع والمصادر بلغاتٍ مختلفة استغرقت مدة غير قصيرة وجهداً غير هين، لكنه مع ذلك كان مفيداً ونافعاً للباحث ولمادة الكتاب في شكلها النهائي. ونرى لزاماً علينا في نهاية هذا التقديم أن نشير إلى أن هذه الدراسة لا تستطيع أن تدعي الكمال أو الخلو من التقصير، فهي ليست إلا محاولة متواضعة لتقصي جوانب موضوع اليهود في العالم العربي الحديث والمعاصر، وهي خطوة أولية نرجو أن تكون هاديةً لمزيدٍ من الدراسات المعمّقة على يد الباحثين مستقبلاً.

أتمنى لكم قراءة تجمع بين الفائدة والمتعة.

ياسر ثابت

القاهرة

٦ أكتوبر ٢٠٢٢

Email: yasser.thabet@gmail.c: m

إن الحديث عن اليهود في البلاد العربية يشمل اليهود بمختلف فئاتهم وأصولهم العربية وغير العربية، خاصةً أن كثيرين من اليهود الذين عاشوا في الوطن العربي كانوا من أصول أجنبية، ثم أقاموا في المنطقة، أو استقروا فيها لفتراتٍ متفاوتة.

أما مصطلح اليهود العرب فهو يدل عادةً على يهود العالم العربي واليهود المنحدرين من أصول عربية. عاش هؤلاء اليهود في البلاد العربية كسكانٍ أصليين وليس كرعايا دولة، وتحدثوا العربية بطلاقة شأنهم شأن مسلمي العرب ومسيحييها، وشاركوا في مختلف مجالات العمل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكان منهم أعضاء في المؤسسات العامة والمجالس النيابية والهيئات التشريعية والمجامع اللغوية⁽¹⁾.

أصبح هذا المصطلح يستخدم كثيرًا في أوائل القرن العشرين، عندما احتوى العالم العربي على ما يقارب المليون يهودي من أصول تسبق الفتوحات العربية الإسلامية للشرق الأوسط. أغلب هذه الفئة من اليهود العرب هاجروا إلى إسرائيل وأوروبا الغربية، ونسبة أقل منهم هاجروا إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية.

الشاهد أن المراجع والمصادر ازدحمت بتفاصيل مهمة وشاملة حول أحوال اليهود العرب، والتغيرات الديموغرافية الحاصلة على مجتمعاتهم المختلفة، وحول النشاط الصهيوني في البلدان العربية، إلا أن معظم هذه المراجع والمصادر ركز بكثافة على أنشطة الحركة الصهيونية وروابطها الفرعية في البلدان العربية، دون التركيز على ردود فعل اليهود العرب أنفسهم على الصهيونية، سواء تجاه الالتحاق بها، أو مقاومتها بالإيجاب أو السلب، أو حتى عدم الاكتراث بها؛ بل بالتركيز على المقاومة القومية العربية للصهيونية، مع الإشارة إلى المشاركة اليهودية كعامل إضافي غير جوهري. واستندت معظم الدراسات إلى حجم الهجرة لقياس التأييد اليهودي العربي للصهيونية، وهو معيار، على أهميته، لا يصلح للأخذ به كمعيار عام، ولا يصمد أمام التحليل؛ بسبب تركيزه الأحادي المرتبط بالهجرة إلى فلسطين حصرًا⁽²⁾.

بحلول عام ٢٠١٨، كان عدد اليهود في المغرب ٢٢٠٠ فرد، في حين بلغ عدد اليهود في تونس ١١٠٠. توجد مجموعات يهودية أصغر من ١٠٠ فرد أو أقل في: مصر، والجزائر، ولبنان، وسوريا، والبحرين، واليمن، والإمارات العربية المتحدة، وقطر. أما بعض الدول العربية، مثل: ليبيا، والسودان، والسعودية، وسلطنة عمان، والأردن، فلم تعد موطنًا لأي مجموعات أو جاليات يهودية.

وهذه الفئات تتكلم عادةً اللغة العربية بطلاقة ولهجات المناطق التي ينتمون إليها، بالإضافة إلى اللغة العبرية باعتبارها لغة طقوسية للديانة اليهودية. سعى هؤلاء اليهود وأحفادهم إلى تطبيق

الشعائر الدينية، من الفئة المتدينة جدًا وحتى الفئة العلمانية.

تاريخياً، استخدم اليهود الذين يعيشون في البلدان ذات الأغلبية العربية الكثير من اللهجات اليهودية العربية كلغة مجتمعهم الأساسية، مع استخدام العبرية للأغراض الطقوسية الدينية والثقافية (الأدب، والفلسفة، والشعر، وما إلى ذلك). الأکید أن الكثير من جوانب ثقافتهم (الموسيقى، الملابس، الطعام، الهندسة المعمارية للمعابد اليهودية والمنازل.. إلخ) لها قواسم مشتركة مع السكان العرب المحليين. وهؤلاء عادة ما يتبعون الطقوس اليهودية السفارديّة، وهم إلى حدّ بعيد الجزء الأكبر من اليهود الشرقيين.

ومن المهم الإشارة إلى أن اليهود لم يشكّلوا وحدات ثقافية أو حرفية، أو جغرافية منفصلة عن مجتمعاتهم العربية الأم، كما أن العلاقة بينهم وبين غيرهم من المواطنين في المجتمعات العربية شهدت لحظات هبوط وصعود⁽³⁾، غير أن أوضاعهم؛ قياساً بأوضاع أقرانهم في المجتمعات غير الإسلامية والعربية خصوصاً، اتسمت بالتسامح عامّةً⁽⁴⁾.

لقد احتلت مسألة اليهود العرب حيزاً واسعاً في النقاش المتعلق بتأسيس إسرائيل، واستدراج المهاجرين إليها، أو في إعادة قراءة تاريخ الحركة الصهيونية أو الحركة الوطنية العربية على حد سواء؛ وارتبطت، كذلك، بتشكّل دولة إسرائيل ونشأتها من جهة، ومساعي دحض ادعائها بقومية يهودية ووحدة عرق يهودي من جهة أخرى، ومدى مساهمة اليهود الشرقيين والعرب منهم خصوصاً في هذه العملية، وإلى أية درجة كانوا محل اعتبار الحركة الصهيونية وقياداتها الأوروبية، ومدى كونهم ملحوظين في مشروع الحركة ورؤية مؤسسها⁽⁵⁾.

على الرغم من أن غولدا مائير، في مقابلة في أواخر عام ١٩٧٢ مع أوريانا فالانتشي، أشارت صراحةً إلى اليهود من الدول العربية على أنهم «يهود عرب»⁽⁶⁾، فإن استخدام المصطلح مثير للجدل، حيث إن الغالبية العظمى من اليهود من أصول عربية، ومعظم اليهود الذين عاشوا بين العرب لم يطلقوا على أنفسهم اسم «اليهود العرب»، ولم ينظروا إلى أنفسهم على هذا النحو⁽⁷⁾.

إلا أنه في العقود الأخيرة، تخصص عدد من الباحثين - مثل إيلا شوحاط أستاذة الشرق الأوسط في جامعة نيويورك، ودافيد شاشا مدير مركز التراث السفاردي، وأميل ألكالاي⁽⁸⁾ الأستاذ في كلية كوينز (جامعة مدينة نيويورك) - في دراسة هوية اليهود العرب.

وفقاً لما قاله سليم تماري، فإن مصطلح «اليهود العرب» بصفة عامة يشير إلى فترة تاريخية معينة لليهود الشرقيين (السفارديين والمزراحيين⁽⁹⁾) عندما ساندوا الحركة الوطنية العربية التي ظهرت لتفكيك الإمبراطورية العثمانية، في بداية فترة الإصلاحات الإدارية العثمانية في العام ١٨٣٩ للميلاد، وكان كل ذلك بسبب اللغة والثقافة المشتركة مع مواطنيهم المسلمين والمسيحيين في سوريا الكبرى والعراق ومصر⁽¹⁰⁾. دافيد ربيعة، الذي يتم تعريفه بأنه من اليهود العرب، يتخطى مستوى التعريف العادي بالهوية إلى مستوى أبعد، مشيراً إلى التاريخ اليهودي العربي

الطويل في أرجاء العالم العربي الذي استمر بعد بزوغ فجر الإسلام في القرن السابع حتى منتصف القرن العشرين. ويرى ربيعة أن اليهود العرب، شأنهم شأن المسلمين العرب والمسيحيين العرب، كانوا عرباً من الناحية الثقافية لكن مع الالتزامات الدينية اليهودية. ويقول: إن اليهود العرب يُسمون جميع سلالاتهم بأسماء عربية، «حتى أن اليهود العرب كانوا شأنهم شأن العرب من الديانات الأخرى- فخورين جداً بلغتهم العربية ولهجاتها، إضافة إلى الارتباط العاطفي والعميق لجمالها وثرأ محتوياتها».(11)

في كتابه، «اليهود العرب»(12)، (٢٠٠٦)، تتبع يهودا شنها □ شهرباني، عالم الاجتماع الإسرائيلي، أصول وضع تصور اليهود المزارحيين كيهود عرب، وعرض الصهيونية كممارسة أيديولوجية وفَّق ثلاث فئات تكافلية وتعايشية: هي «الجنسية»، و«الدين» و«العرق». ويضيف أنهم لكي يتم ضمان إدماجهم في «المشروع القومي» (على المقاس الصهيوني الحصري) تعيّن عليهم أن يكونوا «مستعربين»؛ بل كان عليهم المرور في سيرورة إلغاء لعروبته، أو بحسب تعبير شنهاف، كان عليهم التعرُّض لعملية «تطهير اليهودي العربي من عروبته»(13). ويؤكد شنهاف أن مصطلح «اليهود الشرقيين» مرفوض جملةً وتفصيلاً؛ لأن اليهود القادمين من مصر، أو العراق، أو المغرب، أو اليمن، أو تونس، أو ليبيا، أو غيرها من الدول، هم أصحاب ثقافة عربية محضة(14).

مصطلح «اليهود العرب» يُستخدَم أحياناً من قبل الصحف والجهات الرسمية في البلدان العربية؛ لبيان أن الاعتقاد بأن الهوية اليهودية هي مسألة دين وليست انتماءً عرقياً أو جنسيةً. إلا أن أكثر اليهود يختلفون مع هذا؛ ولذا لا يستعملون هذا التعبير ويعتبرونه مسيئاً، ولكن بعض النشطاء المزارحيين يُعرفون أنفسهم بأنهم من فئة «العرب اليهود» حتى وإن لم يولدوا في بلدان عربية، إما لأنهم معروفون على هذا النحو، أو لعمل تقديم ثقافي أو بيان سياسي. مع ملاحظة أن الكثير من الأشخاص البارزين قد تبناوا هذه الهوية مثل سامي شالوم شطريت، ودافيد ربيعة، وإيلا حبيب شوحاط، ونعيم جلعادي(15).

إن من يقترحون مصطلح «اليهود العرب» يجادلون عادةً بأن كلمة «عربي» أو «عرب» هي مسألة لغوية وثقافية بدلاً من التعبير العرقي والديني، وأن اليهود في العالم العربي شاركوا بالكامل في هذه الثقافة. وفقاً لهذا الرأي فإن الفرق الوحيد بينهم هو الإسلام والمسيحية واليهودية كأديان موجودة مع بعضها في دولة، وهذا بدلاً من ذكر اليهود منفصلين عن العرب. وهذا ما ينطبق بالشكل نفسه مع الأهالي المسيحيين في بلاد مثل لبنان، وحتى سوريا؛ إذ إن هذه الدول عربية ومعظم أهلها مسلمون، وهي الآن على ما هي عليه منذ الفتح الإسلامي.

وأثير جدلٌ حول مصطلح «اليهود العرب» انطلاقاً من أن بعض الجاليات المشار إليها نشأت في فترة السبي البابلي (القرن السادس قبل الميلاد)، وهكذا فإن الفتح العربي الإسلامي يعود إلى

القرن السابع بعد الميلاد. علاوة على ذلك، فإنه في الشمال الإفريقي وبلدان شرق أوسطية أخرى، كانت اللغة المستخدمة هي العربية بالنسبة للمسلمين أو المسيحيين، لكن اليهود العرب لم يستعملوها؛ لأن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم عرقاً مستقلاً وأقلية دينية. لم يسبق أن تحدث شخص ما مطلقاً عن «اليهود العرب» حتى ارتفاع القومية العرقية العلمانية في أوائل القرن العشرين، عندما سعى كثير من اليهود إلى الاندماج في الهويات الوطنية الجديدة (عراقي، تونسي، مصري.. إلخ) كنوع من الهروب من منزلة أقليتهم السابقة، وهي تقريباً الطريقة نفسها التي لجأ إليها بعض اليهود الألمان في القرن التاسع عشر، حيث فضلوا أن تكون هويتهم وانتماءاتهم كألمان «موسويين»؛ أي ألمان يدينون باليهودية، بدلاً من الحديث عن الانتماء اليهودي فقط.

مؤيدو هذا الرأي لا يسعون إلى إنكار التأثير الثقافي العربي القوي على اليهود في تلك البلدان. في شمال إفريقيا، تحدث بعض اليهود بالعربية والعبرية، في حين تكلم آخرون الفرنسية، وفي بعض المناطق هناك ما زال اليهود يرتدون ملابس عربية مثل العرب تماماً، حجّتهم في ذلك أن «العروبة» تشير إلى شيء أكثر من الثقافة المشتركة فقط؛ ولذا يمكن للمرء أن يتحدث عن اليهود «المستعربين»، أو «يهود البلدان العربية»، ولكن ليس «اليهود العرب».

وهناك وجهة نظر ثالثة تؤكد شرعية مصطلح «اليهود العرب»، لكن يجب أن يصف فقط الجماعات اليهودية في بلاد العرب، مثل قبيلة بني قينقاع وهي إحدى القبائل العربية اليهودية في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ومن المحتمل أنهم من يهود اليمن، وهذا ما نبع من وجهة النظر العربية بأنهم عرب الهوية جغرافياً باستثناء مسألة الأعراق أو اللغات.

ويمكن الحديث مطوّلاً عن الثقافة العربية لليهود العرب في العصر الحديث، وخاصةً عن الأدب العربي لليهود العراق، وهو ما استفاض في تناوله رؤوبين سنير وهو باحث إسرائيلي يهودي من أصل عراقي، عمل أستاذاً للأدب العربي في جامعة حيفا (16).

في المقابل، توجد دراسات تعد جزءاً من مجموعة متنامية من المؤلفات التي تناقش (علاقة) يهود منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بالمشروعات الوطنية للقرن العشرين. وتتضمن هذه المؤلفات أعمالاً لكل من: جونل بينين ورامي غينات عن مصر، وأوريت باشكين عن العراق، وليور سترنفلد عن إيران، وبيار جان لو فول لوتشيانى عن الجزائر، وكاميليا رحموني عن تونس، وألما راشيل هكمان عن المغرب.

على سبيل المثال، تقدّم ألما راشيل هكمان في كتابها «شيوخو السلطان» (17)، سردية جديدة للتاريخ السياسي لليهود المغاربة في القرن العشرين، مع ما لذلك من تبعات على التاريخ اليهودي الحديث كتاريخ المنطقة الحديث كما هو مدوّن، بشكل عام.

يتتبع الكتاب قصص خمسة يهود مغاربة راديكاليين: (ليون رينيه سلطان، إدمون عمران المالح، أبراهام السرفاتي، سيمون ليفي، وسيون أسيدون)، وتستكشف الباحثة تفاصيل المشاركة

اليهودية المغربية في حركة مناهضة الاستعمار المغربية، وتتابع قصص يهود مغاربة ناشطين سياسياً بقوا في البلاد بعد الاستقلال عام ١٩٥٦ وصولاً إلى التسعينيات.

عبر هذا الكتاب، تتدخل الباحثة في السردية التي كانت سائدة من قبل لكشف تاريخ من الوطنية اليهودية المغربية والمثالية السياسية التي صمدت في وجه المطبات التقليدية الناجمة عن تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وعن الاستقلال المغربي عام ١٩٥٦، وعن الحروب العربية مع إسرائيل في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين.

وترى ألما راشيل هيمان أنه بالنسبة لليهود المسيحين في المغرب، كما هي الحال بالنسبة لليهود في أماكن أخرى في العالم، وفرت الشيوعية أكثر السبل عملية وإقناعاً للمساهمة في حركة التحرر الوطني؛ حيث إنها كانت الحركة السياسية الوحيدة التي لم تركز على أي هوية إثنية أو دينية وطنية محددة.

عملت هيمان على المحفوظات الأرشيفية في كل من: المغرب، وفرنسا، وإسرائيل، وإسبانيا، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة. ومواقع المحفوظات الأرشيفية، كما هي الحال بالنسبة للكثير من الموضوعات البحثية عن الاستعمار والمراحل التالية للاستقلال، تعكس الأنماط السياسية وتلك المتعلقة بالهجرة للمواد المعنية، وهي في هذه الحالة التاريخ السياسي اليهودي المغربي في القرن العشرين.

ويمكن أن نجد أمثلة على الكتابات والدراسات التي تُصِف اليهود في العالم العربي بذكر أمثلة إيجابية من هؤلاء، كما في كتاب سليمان الحكيم «يهود لكن مصريون»⁽¹⁸⁾، الذي يشير إلى أنه في الوقت الذي سقط عددٌ من أبناء الطائفة اليهودية في الفخ الاستعماري، وقبلوا التعاون مع الاستعمار الإنجليزي على هذا الأساس، فإن عدداً آخر من المواطنين اليهود، رفضوا إلا أن يظلوا على مصريتهم، ضاربين عرض الحائط، بكل الإغراءات التي قُدمت لهم ثمناً للعب هذا الدور، أو للهجرة إلى إسرائيل لاحقاً.

وبعد أن يستقيض المؤلف في شرح جوانب إسهام هذه الفئة من المجتمع المصري، في مجالات السياسة والاقتصاد، ينتقل إلى الحديث عن حقل الفن، مُبيناً أن اليهود المصريين شاركوا بقوة وبرزوا في الفن المصري، من سينما ومسرح وموسيقى وغناء، وقد شهدت البدايات الأولى لأي نشاط فني في مصر، مشاركة مؤكدة التأثير من أحد اليهود المصريين.

بالمثل، تحدّث د.عواطف عبدالرحمن، في كتابها «اليهود المصريون والحركة الصهيونية»⁽¹⁹⁾، عن روح التسامح والاحتواء والثقة التي شملت جميع اليهود المصريين منذ عهد محمد علي حتى قيام إسرائيل عام ١٩٤٨.

يؤكد الكتاب أن تلك الروح سمحت لليهود في مصر بالمشاركة في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، وكان منهم الوزراء والسفراء والمناضلون في صفوف الحركة

الوطنية، لكن الأمر تغير بعد تأسيس أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية بمصر عام ١٩١٨، حيث انتمى فريق منهم إلى الحركة الصهيونية.

ينبغي القول: إن الأنشطة الصهيونية في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى كانت متفرقة وضئيلة، وقوبلت بإدانة زعماء الطوائف اليهودية في كل البلدان العربية في مناسبات متعددة، حيث عبّروا عن معارضتهم للفكرة الصهيونية واعتبروها تهديدًا للحياة الآمنة وسط جيرانهم العرب⁽²⁰⁾. إضافة إلى ذلك، فإن الرأي العام العربي ميّز بين الصهيونية كحركة سياسية واليهودية كاعتقاد ديني. ظهر هذا التمييز واضحًا منذ قرار المؤتمر السوري العام في ٤ يوليو ١٩١٩، الذي نص على «إننا نرفض مطالب الصهيونية بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية؛ أي فلسطين، وطنًا قوميًا للإسرائيليين... أما سكان البلاد الأصليين الموسويون فلهم ما لنا وعليهم ما علينا»⁽²¹⁾.

بعد تمدد نشاط الحركة الصهيونية، والكشف عن مخطط احتلال فلسطين، حدث ارتباك واضح في الذهنية العربية، وخلط بين اليهود والصهيونية، مع استخدام كلمات ومفاهيم تتسم بالتعميم، دون الفرز بين من انحازوا للصهيونية ودعموها والفريق الآخر من اليهود الذين رفضوها وفضّلوا عليها انتماءهم ومعيشتهم في البلاد العربية. ولعل ما كتبه توم سيغف عن حالة فلسطين تحت الانتداب ينطبق أيضًا على حالة المجتمعات العربية في ذلك الزمن: «ولا شك أن مجيء الصهيونية تسبب بتغيرات دراماتيكية في حياة العرب عمومًا واليهود منهم، داخل أوطانهم»⁽²²⁾، حيث تناسب التنافر بين الفريقين بشكل طردي مع قوة الصهيونية وحلفائها المستعمرين، وضعف العرب وتقاوم أوضاعهم.

وفي الوقت الذي لا يمكن النظر إلى اليهود العرب ككتلة واحدة متجانسة؛ بل مجتمعات مندرجة في مجتمعات أكبر لها خصوصياتها، فإنه لا يمكن إغفال وجود عدد من عناصر التحليل المشتركة والمتشابهة بين مختلف المجتمعات اليهودية.

وفي تقديرنا أن مصير اليهود العرب ارتبط بتحويلات أزمنة قلقة طالت المجتمعات العربية برمتها، من التوجه إلى الاستقلال، وصراع الحداثة والماضي، والانفتاح والانغلاق.

في المقابل، كان اليهود العرب، في معظمهم، متأثرين بصراع دار في أوساطهم بالذات، بين أفكار المواطنة ورفض الاندماج، خصوصًا بعد أن فتحت الحركة الصهيونية أعينها على اليهود العرب بوصفهم مخزونًا للهجرة اليهودية إلى فلسطين (إسرائيل). وكان مصير اليهود العرب مُعلّقًا على نجاح أحد طرفي الصراع (المواطنة ورفض الاندماج)، وكانت هزيمة الاندماج والتتوير عاملًا ساحقًا في تقرير هذا المصير، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يكن لديهم خيار، أو أنهم كانوا ضحية مطلقة للحركة الصهيونية. فقد كان بالإمكان دائمًا اللجوء إلى طريق آخر، وربط مصيرهم بمصير مواطنيهم العرب⁽²³⁾، وأيضًا، ثمة ميل عند الصهاينة لرواية تاريخ حركتهم على أنها الخيار الوحيد الذي كان متاحًا لمجابهة معاناة اليهود. وفي الحقيقة، لم تكن هذه هي الحال، فقد

كانت، في تلك الآونة، حركات اشتراكية ويسارية دافعت عن اليهود، وتصدت للتوجهات والممارسات العنصرية أو التمييزية ضدهم، وبخاصة في الحركات العمالية.

ويشير باحثون إلى أن يهود البلدان العربية في كل من إفريقيا وآسيا (وسائر اليهود في البلدان الشرقية الإسلامية) لم يمارسوا دوراً مهماً في الهجرة إلى فلسطين أو في إنشاء المستعمرات فيها، وكانت أعدادهم قليلة بالنسبة إلى معدل الهجرة العام حتى عام ١٩٤٨؛ إذ إنه من الـ ٤٦٠ ألفاً الذين دخلوا فلسطين بين عامي ١٩١٩ و ١٩٤٨، لا يوجد سوى ٤٢ ألفاً قدموا من البلدان العربية والإسلامية؛ أي ٩٪ من الهجرة العامة، والتي شكّل الأشكنازيم النسبة الأكبر منها⁽²⁴⁾.

إلا أن الحركة الصهيونية نجحت عبر وكلائها، وعن طريق غرس الخوف من الاضطهاد (الوشيك) وأساليب الدعاية الأخرى، من تحطيم الوجود الآمن الذي تمتع به اليهود وسط محيطهم العربي منذ آلاف السنين، وإخراج ما لا يقل عن ٧٠٠ ألف يهودي، لم يذهبوا جميعاً إلى إسرائيل، وإن يكن نحو ٥٠٠ ألف منهم استقروا في الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل⁽²⁵⁾.

إننا نرى لزاماً علينا وصف تاريخ اليهود العرب ونقده، مع دراسة عملية تحول هؤلاء اليهود من جزء من العالم العربي إلى جزء من الكيان الصهيوني الذي أقيم على أرض عربية مغتصبة هي فلسطين.

تجدد الإشارة إلى أن إثارة إسرائيل والمنظمات الصهيونية ملف «التعويضات» عن أملاك اليهود العرب الذين هاجروا من البلدان العربية، تأتي في إطار مسعى صهيوني و«مقايسة» إسرائيلية منذ خمسينيات القرن العشرين «يرمي إلى تبرئتها من المسؤولية التي تتحملها عن أملاك الفلسطينيين التي صادرها الحارس العام (الإسرائيلي)، بصورة كاملة أو جزئية»⁽²⁶⁾.

وربما تكون فصول الكتاب التالية محاولة متواضعة لإعادة تفكيك حكاية اليهود العرب، وتقنيد بعض ما أنتجته الحركة الصهيونية وأشاعته عن صور الماضي، وسيرورات تطور الوجود اليهودي في البلاد العربية على مرّ التاريخ.



إحدى المدارس اليهودية في مصر

يعود وجود اليهود في مصر إلى عصر ما قبل الميلاد. ويبدو أن أول من أسس تجمُّعًا عبرانيًا في مصر كان النبي يوسف بن يعقوب، حين وطئت قدمه أرض مصر بشكل قدري؛ ليصل إلى منصب مالي واقتصادي مُهمٍّ في السلطة حينذاك⁽²⁷⁾. وكان دخول نبي الله يوسف مصر في عهد الأسرة السادسة عشرة أيام الملك «إبائي الأول» وهو المذكور في التوراة باسم «فوطيفار» في حين سُمِّي في القرآن الكريم «العزير»، ويرجح مؤرخون وأثريون أن يكون دخول نبي الله يوسف وإخوته مصر أقرب لعام ١٦٠٠ قبل الميلاد وفي عهد الهكسوس⁽²⁸⁾، وأن يكون دخول بني إسرائيل بعد ذلك بنحو ما يقرب من ٢٧ عامًا.

وعندما أقبل النبي يعقوب بن إسحاق بأولاده وأهله جميعًا إلى مصر، استقروا في منطقة خصيبة كثيرة المرعى للقطعان والمواشي، واقعة شرق الدلتا، وقد ورد اسم المنطقة في التوراة Godhen «باسم «جاسان»

ومثلما جاء بنو إسرائيل إلى مصر إبان عصر الهكسوس يحتمون بها من هلاك الطبيعة، وجاء يهود إسرائيل بعد سقوطها يلتمسون فيها الأمان والحماية من نير الآشوريين، جاء هاربون كُثُرٌ من يهود، «مملكة يهوذا»، إلى مصر للعيش فيها بعدما سقطت دولتهم تحت براثن البابليين، وانتشروا في بقاع مصر، فأسكنهم الملك «واح إيب رع» «ابريس» (٥٨٩ ق.م - ٥٧٠ ق.م)، في تل الدفنة (على بعد ١٥ كيلومترًا من القنطرة) المذكور في التوراة باسم تحفنجيس، وتانيس، ومنف، والأشمونين، وأبيدوس، وانخرطوا مثل أسلافهم في خدمة الملك كمرتزقة في الجيش المصري⁽²⁹⁾.

إلا أن أكبر تجمُّع لليهود في تلك الفترة كان تركز جاليتهم في جزيرة إلفنتين (فيلة)، وكان منهم

عسكريون ومدنيون⁽³⁰⁾. فقد وجد هؤلاء اليهود عضداً من سابقهم من رعايا الملك بسماتيك الأول قد استقروا في تلك الجزيرة، وأسسوا مجتمعاً يهودياً معزولاً وعاشوا مع عائلاتهم تحت رعاية الملك. وتحتوي برديات إلفنتين على عدد من الوثائق القانونية والرسائل المكتوبة بالآرامية التي تصف بإسهاب حياة مجتمع الجنود اليهود المتمركزين كجزء من الحامية الحدودية في مصر في عهد الإمبراطورية الأخمينية⁽³¹⁾. وتذكر تلك البرديات امتزاج العلاقات بين المصريين واليهود؛ ما بين علاقات تزواج وتجارة وعمل وقروض.

في حوالي عام ٦٥٠ قبل الميلاد، خلال عهد منسي، شارك الجنود اليهود في حملة بسماتيك الأول على النوبة. تأثر نظامهم الديني بفترة وجودهم في بابل حيث تعددت آلهتهم⁽³²⁾، فعبدوا الإله «المحلي» «خنوم» في معابدهم الخاصة، جنباً إلى جنب عبادتهم للرب «يهوه» استقر اليهود خلال العصر



جوقة من يهود الإسكندرية في كنيس
صموئيل منشه

البطلمي، حول الإسكندرية. وبالأخص في منطقة كفر الدوار الحالية، وعمل اليهود في الإدارة، بوصفهم حُرّاً للنهر⁽³³⁾. وفي وقت مبكر من القرن الثالث قبل الميلاد، انتشر اليهود في الكثير من البلدات والمدن المصرية.

ويقال إن أول ممثل سياسي لليهود مصر أمام حكومتها العربية جاء من بغداد في القرن العاشر للميلاد، فقد تزوج سلطان مصر من ابنة الخليفة العباسي الطائع لأمر الله الذي بويع له عام ٣٦٣ هـ (٩٧٣م)، ولما سارت إلى مصر عام ٣٦٦ هـ تفقدت شؤون بلادها الجديدة، ولما عرفت أن ليس لليهود ممثل سياسي كرأس الجالوت في مسقط رأسها، طلب زوجها أحد أعضاء أسرة الجالوت من بغداد، وعهد إليه برئاسة اليهود في الفسطاط، وحمل لقب «ناجد»⁽³⁴⁾، وهي في الأصل كلمة توراتية، تعني «شيخ اليهود» أو «رئيس اليهود»⁽³⁵⁾. والناجد هو الممثل الوحيد لليهود لدى السلطات الإسلامية في مجتمعه⁽³⁶⁾، ويخدم اليهود كسلطة قانونية

في مصر الحديثة، لعب اليهود دورًا مهمًا، ويمكن أن يعد قدوم الحملة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر نقطة بداية لها. وكانت دعوة نابليون لليهود إلى الوقوف في صفه ومساعدته، وبدوره، تعاطف مع فكرة إعطاء وطن قومي لهم، وهي أول بادرة في هذا الاتجاه من قوة أوروبية كبرى، وظهرت هذه الفكرة قبل الدعوة الصهيونية بمدة طويلة.

وفي أثناء حكم «محمد علي» حدث انفتاح كبير في مصر على الأوروبيين والأرمن ومختلف الجنسيات الأجنبية، وقد بدأ اليهود حينئذ يأخذون وضعًا متميزًا، ووصل عددهم لما يقرب من تسعة آلاف يهودي. وبدأت الجالية اليهودية تتبوأ مناصب مهمة. شجع تسامح «محمد علي» وخلفائه على قدوم الأجانب بأعداد كبيرة، ومنهم يهود من جهات متعددة من البلقان وشرق أوروبا واليونان. وقد تحددت وضعية اليهود مبكرًا من قبل «محمد علي»، الذي، وبعد طرد الموظفين الأجانب من حكومته، أمر عام ١٨٢٨ بإبقاء صراف المواشي اليهودي؛ لأنه في المقام الأول مصري، وأن قرار العزل الذي أصدره يخص الأرمن والروم غير المصريين «أما المسلمون والأقباط واليهود فإنهم مصريون»⁽³⁷⁾.

سرعان ما ازدهر النشاط الاقتصادي لليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في عالم الصرافة وإقراض الأموال وتغيير العملات، والتي تحولت بمرور الوقت إلى بنوك خاصة حديثة⁽³⁸⁾.

من رحم عصر الخديوي إسماعيل، وُلِدَ أشهر رجال المال والأعمال في ذلك الزمان ففي أواخر عهده برزت أسماء تجار ورجال بنوك أجنبية ويهود امتلكوا مشروعات خاصة ووضعوا أيديهم على جزء كبير من ثروة البلاد.

الشاهد أن اليهود الذين زادت هجرتهم إلى مصر في عهد الخديوي إسماعيل تمتعوا بكل الامتيازات الأجنبية التي استمرت حتى إلغائها فعليًا في ١٤ أكتوبر ١٩٤٩، بإلغاء العمل في مصر بالمحاكم المختلطة. ومن خمسة آلاف يهودي في مصر عام ١٨٨٠، وسبعة آلاف في عام ١٨٥٠، ارتفع الرقم بحسب تعداد السكان لعام ١٨٩٧ إلى ٢٥٢٠٠ نسمة، ثم زاد في عام ١٩٠٧ إلى ٣٨٦٠٠، ووصل عدد اليهود في مصر إلى ٥٩٦٠٠ عام ١٩١٧، و ٦٣٥٥٠ عام ١٩٢٧، و ٦٢٩٥٣ عام ١٩٣٧، إلى أن أصبح عددهم ٦٥٦٣٩ وفق تعداد عام ١٩٤٧⁽³⁹⁾. وتذكر الكاتبة الألمانية، غودرون كريمير في كتابها «اليهود في مصر الحديثة ١٩١٤-١٩٥٢» أنه حتى عام ١٩٤٨، حيث إعلان دولة إسرائيل، كان يوجد نحو ٨٠ ألف يهودي في مصر⁽⁴⁰⁾.

ويشير باحثون إلى أن تزايد أعداد اليهود في مصر، في الفترة (١٨٩٧-١٩٤٧)، لم يكن بسبب التوالد الطبيعي، بقدر ما عاد إلى الهجرة⁽⁴¹⁾.

ومنذ بدء الاحتلال البريطاني حدثت موجات كثيفة من الهجرة اليهودية إلى مصر؛ وذلك في وانعكاسها في مصر منذ عهد Holocaust إلى الـ⁽⁴²⁾ Pogrom⁽⁴³⁾ الفترة «الاضطهادية» الممتدة من الـ

الخدوي توفيق إلى عهد الملك فاروق.

وحيثما اندلعت الحرب العالمية الأولى، تعرّض اليهود وغيرهم في الشام لعنف جمال باشا، ففروا إلى مصر لاجئين إليها، حتى وصل إلى الإسكندرية عقب قيام الحرب العالمية الأولى ١١ ألفًا و ٢٧٧ مهاجرًا، وصفهم إيلي ليفي أبو عسل، وهو كاتب يهودي مصري في كتابه «يقظة العالم اليهودي» بأنهم «وصلوا إلى مصر وهم يطؤون أحشاءهم على الطوى، ويتقلبون على جمر الغضا.. فرفلوا في بحبوحة النعيم السؤدد مدى أربع سنوات متوالية»(44).

تشكّلت لجنة من كبار الرأسماليين من أبناء الطائفة اليهودية اشترك فيها حاخام الإسكندرية ديللا برجولا، وقابلوا السلطان حسين كامل، فبادرت الحكومة المصرية إلى إرسال أحد مفتشي الداخلية لدراسة أحوال هؤلاء المهاجرين الحجر الصحي، ووُضِعَ تحت تصرفهم محطة الوردان ودار المحافظة في رأس التين وغيرهما من الأماكن الحكومية(45).

ويبدو أن التطور الاقتصادي في مصر كان عامل الجذب الأساسي لقدمهم واستقرارهم بها، فقد ساعدت الامتيازات الممنوحة للأجانب على تغلغل رأس المال الأجنبي في السوق المصرية، والسيطرة عليها، خاصةً أنهم كانوا يتمتعون بإعفاء من الضرائب (حتى بدأوا في عام ١٨٨٥ دفع الضريبة العقارية)، فأنشأوا الشركات والمصارف والمتاجر. وكانت شريحة غير صغيرة من رؤوس هذه الأموال يمتلكها بعض اليهود، من الأجانب أو المتمصرين(46).

حرص اليهود، حتى غير المتمتعين منهم بالجنسية المصرية، «على إعادة استثمار رؤوس أموالهم في مصر، مستفيدين من مناخ التسامح، ولعبوا دورًا في إنتاج رأس المال الوطني، لكن لصالحهم الشخصي. وقد نتج عن ذلك تملك اليهود نحو ثلث الشركات المسجلة في مصلحة الشركات في ظل الاقتصاد الحر والمفتوح في فترة ما قبل الثورة»(47).

ويفيد الإحصاء السكاني الذي أجري في عام ١٩٣٧ أن نحو ٦٠٪ من يهود مصر، اشتغلوا بالتجارة، ولكن كان معظمهم من التجار الصغار، ومع هذا فإن أعدادًا كبيرة من يهود مصر العصر الحديث اشتغلت في البنوك والشركات المالية، وفي مجال الصناعة التي جذبت بمفردها ٢١٪ من التعداد الكلي للموظفين اليهود(48).

عاشت أعداد كبيرة من اليهود في مصر ضمن فئة الأجانب وبلا جنسية مصرية، ولم يسع كثير من هؤلاء للحصول عليها إلا بعد قانون الشركات عام ١٩٤٧ الذي خصص ٧٥٪ من الوظائف للمصريين. وإذا نظرنا إلى المجلس الملي لطائفة الإسكندرية في سبتمبر ١٩٣٠ سنجد كما يلي: Alfece وألفير تيلش، Rigfec Tædociec فيلكس طوبي (بك) إنجليزي، وجوزيف ريجيور تريزوريه إيطالي، Gæzcec إيطالي، وجاك إيغنو إيطالي، ودوين غور إنجليزي، وجوليوس غارزير Tilche إنجليزي، وروبرت رولو إنجليزي، Daggac والبارون فيلكس منشه نمساوي مجري، وفكتور نجار فرنسي. وكان عضوا المجلس اللذان يحملان Tociel وإدوارد ساسون إيطالي، وراف توريل

الجنسيّة المصريّة هما يوسف بتشوتو بك نائب الرئيس، وقطاوي(49).

وعلى خلاف الوضع الذي ساد في سائر بلدان شمال إفريقيا، فإن الزيادة الديموغرافيّة التي حدثت في أوساط يهود مصر لم تكن نتيجة لعوامل الزيادة الطبيعيّة، وإنما كانت نتيجة لعامل الهجرة؛ إذ تدفقت على مصر أعداد ضخمة من يهود بلدان البحر الأبيض المتوسط وبلدان البلقان وشرق أوروبا. ولم تبدأ حركة الهجرة هذه إلا بعد أن طبّق والي مصر محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٩) والخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) سلسلة من الإصلاحات التي زادت من قوة مصر ومكانتها، وتزايدت حركة الهجرة أيضًا بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩(50).

على المستوى الديموغرافي أيضًا، زادت نسبة تركيز اليهود في مدينتي القاهرة والإسكندريّة عن ٨٠٪، طوال الفترة من ١٨٩٧-١٩٤٨؛ وذلك لأسباب اقتصاديّة بالدرجة الأولى(51). وتوزع عدد آخر من اليهود المصريين على محافظات: الفيوم، وبني سويف، والمنيا، وقنا، إضافة إلى المنصورة، وطنطا والمحلة الكبرى.

حرص اليهود في مصر على التركيز في أحياء معينة، والنأي بأنفسهم عن باقي المصريين. ففي الإسكندريّة، تركّز ٩٢٪ من اليهود في أحياء: محرم بك، والمنشية، والجمرك، والقطارين. وفي القاهرة، تركّز ٧٢٪ من اليهود، الموجودين في القاهرة، في خمسة أحياء: (الوايلي/ عابدين/ مصر الجديدة/ الجماليّة/ باب الشعريّة)(52). وفي دراسة أحدث، يقول د. رفعت سيد أحمد إن حي الجماليّة ضم أكبر نسبة من اليهود المصريين، يليه حي الزيتون، ثم أحياء: الظاهر، والوايلي، وقصر النيل، في حين توزع الباقون على أحياء متفرقة من القاهرة(53).

ويؤكد د. محمد أبو الغار أن حارة اليهود التي تقع بجوار شارع الموسكي الشهير في القاهرة، لم تكن أبدًا «مكانًا إجباريًا مُلزمًا لسكن اليهود في أي زمان من التاريخ الحديث لمصر»، وأن «سكانها كانوا مرتبطين بأمرين، أولهما الدخل المحدود، والثاني القرب من مصادر الرزق بالنسبة للحرفيين في الصاغة وغيرها، أما من تحسنت أحواله الماديّة من اليهود فكان يهجر الحارة إلى عابدين، أو باب اللوق، أو باب الشعريّة، ومن يغتني أكثر، كان ينتقل إلى العباسيّة أو مصر الجديدة»(54).

ويتفق معه باحث آخر قائلاً: إن القليل من اليهود سكن في حارة اليهود وفي درب البرابرة بالقاهرة وفي حارة الليمون بالإسكندريّة، على أن أغلبهم كان يسكن في شتى أحياء القاهرة، من العباسيّة للجماليّة لعابدين للسيدة، وفي شتى أحياء الإسكندريّة، وفي الكثير من مدن الدلتا(55).

على المستوى الثقافي والتعليمي، أدخل اليهود المقيمون في مصر، أبناءهم إلى المدارس الأجنبيّة، وبشكل خاص إلى المدارس الفرنسيّة(56)، وإن كانت مدينة بورسعيد شهدت إقامة أول مدرسة لليهود في عام ١٨٦٩. وظل أكثر من ٥٠٪ من اليهود في مصر يدرسون، حتى الحرب العالميّة الثانية، في مدارس أجنبيّة، غير عبريّة(57)، ولم تظهر المدارس العبريّة في مصر، إلا مع

بداية النشاط الصهيوني فيها. وكانت اللغة الفرنسيّة هي اللغة التي استخدمت في أوساط اليهود في مصر (58)، في حين وصلت نسبة اليهود الذين يجيدون لغة أجنبيّة، في عام ١٩٤٧، إلى حوالي ٨٠٪ (59).

وبحسب الباحث سيد عبدالمنعم عبدالرحمن (60)؛ فإنه على المستوى الطبقي، برزت في مصر عائلات كبار الرأسماليين اليهود، من أصحاب البنوك، والأعمال التجاريّة الكبرى، ومُلاك الأراضي، والتي احتلت خلال فترة الاحتلال البريطاني مكانة اقتصاديّة بارزة.

عملت بعض العائلات اليهوديّة على تمثيل المصالح الأوروبيّة المختلفة داخل مصر، وقامت تلك العائلات بدور الوسيط لرأس المال الأوروبي، الباحث عن فرص الاستثمار في مصر (61). وعملت باقي شرائح البرجوازيّة اليهوديّة، في مصر، في مجالات التصدير، والاستيراد، وتجارة القطن، والصيرفة، والبورصة، وفي الأعمال الإداريّة في المؤسسات الحكومية والخاصّة (62). وإذا كان كبار أثرياء اليهود قد اشتغلوا في مجال الاستثمار الزراعي والعقاري من القرن التاسع عشر، وأنشئت في هذا السياق بنوك سوارس والتجاري المصري والأهلي المصري (63)، فإن إحصاء سنة ١٩٣٧ يفيد أن نحو ٦٠٪ من اليهود، اشتغلوا بالتجارة، وإن كان معظمهم من صغار التجار، في حين اجتذب مجال الصناعة ٢١٪ منهم، وعمل ١٠.٨٪ منهم في المجالات الإداريّة (64). لقد كانت البرجوازيّة اليهوديّة (بكل شرائحها)، التي حمل أغلب أبنائها جنسيات أجنبيّة، تنتمي إلى البرجوازيّة الأجنبيّة، اقتصاديًّا، واجتماعيًّا، وسياسيًّا، وثقافيًّا، ولم تختلط إلا بأبناء البرجوازيّة العليا المصريّة.

في المقابل كان فقراء اليهود، من باعة جوالين، وصنّاع حرفيين، وعمال في محال تجاريّة، في الأغلب، من «اليهود المصريين»، بالمولد والجنسيّة، وكانوا الأكثر ارتباطًا بالمجتمع المصري، سكنوا الأحياء الشعبيّة، وتحدّثوا العربيّة، وسموا أبناءهم بأسماء عربيّة، وأقاموا علاقات طبيعيّة مع جيرانهم (65).

وبين هؤلاء وهؤلاء، لمعت في تاريخ مصر الحديث والمعاصر شخصيات يهوديّة من مختلف المهن والمشارب، مع ملاحظة أن بعضهم اعتنق الإسلام، مثل: ليليان إبراهيم زكي مراد مورخاي، الشهيرة باسم ليلي مراد، وموريس زكي مراد موردخاي، المعروف باسم منير مراد، والمخرج والمنتج توجو مزراحي (أو أحمد المشرقي)، والموسيقار داوود حسني، و«راشيل أبراهام ليفي»، الشهيرة باسم راقية إبراهيم، و«بوليني أوديون»، المعروفة باسم نجمة إبراهيم، وصالحة قاصين وفكتوريا كوهين الممثلتين في فرقة يوسف وهبي، و«نظيرة موسى شحاتة»، الشهيرة باسم نجوى سالم، التي حصلت على درع «الجهاد المقدس» لدورها أثناء حرب الاستنزاف، بالإضافة إلى المحامي اليهودي الشهير مراد فرج (66).

رياضيًّا، أبدى زعماء اليهود في مصر اهتمامًا ملحوظًا بالنشاط الرياضي، فأسسوا في

الإسكندرية جمعياً المكابي الرياضية، وفي القاهرة أسسوا نادي المكابي الرياضي (67).

استفاد اليهود في مصر من رعاية الحكومات لهم، فأنشأوا عددًا من المدارس بدأها الأشكناز عام ١٨٩٥، وكانت مناهج المدارس اليهودية أوروبية خالصة، ولغة التعليم الأساسية الفرنسية، أما الإنجليزية فكانت مادة إجبارية؛ ولذلك كان خريجو هذه المدارس لا يتقنون اللغة العربية. كما عني اليهود في مصر بالتعليم الديني وبت المفاهيم الدينية في المناهج الدراسية؛ وذلك كي يتسنى لهم تشكيل اتجاهات أبنائهم وضمان ولائهم لديانتهن.

دينياً، استفاد اليهود في مصر من الدعم الرسمي الذي تمثل في تزويد الحكومة المصرية لهم بكل أشكال المساعدة لبناء معابدهم وإقامة محافلهم، مثل: تيسيرات البناء، ومنحهم الأراضي مجاناً؛ ما ساعد على انتشار المعابد اليهودية في القاهرة والإسكندرية ومدن مصرية أخرى، حتى بلغ عدد هذه المعابد في النصف الأول من القرن العشرين ٢٩ معبداً في القاهرة، و ٢٠ معبداً في الإسكندرية (68).

وفي ظل أجواء التسامح الديني، أصبح اليهود جزءاً من نسيج المجتمع المصري.

وفي التسجيلات الأصلية للنشيد الوطني «قوم يا مصري» الذي كان أيقونة ثورة ١٩١٩، كرس مؤلفه بديع خيرى مع ملحنه سيد درويش -وكانا يمثلان حينها ضمير الأمة- هذا المفهوم، فجاءت كلمات النشيد واضحة وحاسمة:

حبّ جارك قبل ما تحب الوجود»

إيه نصارى ومسلمين.. قال إيه ويهود

دي العبارة نسل واحد في الجدود» (69).

شهدت مصر، إذن، عددًا من العائلات اليهودية ذات النشاط الاقتصادي الرأسمالي.

وهكذا تردد اسم عائلة سوارس التي امتدت أذرعها برًا وبحرًا

وسوارس عائلة سفارديّة وفدت من ليفورنو في إيطاليا، ثم استقرت في مصر النصف الأول من القرن التاسع عشر، وحصلت على الجنسية الفرنسية. في عهد الخديوي إسماعيل، أسست عائلة «سوارس بنكًا حمل اسم «الشركة الأهلية لتداول الأوراق المالية».

وأسس الإخوة الثلاثة: رافائيل (١٨٤٦ - ١٩٠٢)، ويوسف (١٨٣٧ - ١٩٠٠)، وفيلكس

(١٨٤٤ - ١٩٠٦)، مؤسسة سوارس عام ١٨٧٥. وفي عام ١٨٨٠، قام رافائيل سوارس، بالتعاون مع رأس المال الفرنسي ومع شركات رولو وقطاوي، بتأسيس البنك العقاري المصري برأس مال ٤٠ مليون فرنك، كما تعاون مع رأس المال البريطاني -الذي مثله رجل المال البريطاني اليهودي سير إرنست كاسل- بتأسيس البنك الأهلي المصري عام ١٨٩٨ وتمويل بناء خزان أسوان (70).

كما اشترك سوارس مع كاسل وعائلة قطاوي في شراء ٣٠٠ ألف فدان من أراضي الدائرة السنية وإعادة بيعها إلى كبار الملاك والشركات العقارية. كذلك اشترك سوارس مع رأس المال

الفرنسي في تأسيس شركة عموم مصانع السكر والتكرير المصريّة عام ١٨٩٧ والتي ضمتها عام ١٩٠٥ شركة وادي كوم أمبو المساهمة، وكانت من أكبر المشروعات المشتركة بين شركات قطاوي وسوارس ورولو ومنسّى، كما كانت واحدة من أكبر الشركات الزراعيّة في مصر. وكان فيكتور هراري رئيسًا لمجلس إدارتها، وعضويّة رينيه قطاوي ورالف هراري وليون سوارس وفيلكس سوارس في مجلس الإدارة. وفي عام ١٩٠٢ اشترت شركة عموم مصانع السكر والتكرير المصريّة تسعة مصانع لعصر أعواد القصب في الصعيد من الشركة التي أسسها في الأصل الخديوي إسماعيل.

وشارك سوارس في تأسيس شركة مياه طنطا. وفي مجال النقل البري، أسست العائلة شركة «سوارس لعربات نقل الركاب»، التي بدأت تشغيل وتسيير عربات الأمنيوس لنقل الركاب عام ١٨٩٩، حتى إن وسيلة النقل هذه سميت على اسم العائلة: السوارس.

وتعاونت سوارس مع عائلة قطاوي في إقامة خطوط السكة الحديد. كما امتلكت العائلة مساحات واسعة من الأراضي الزراعيّة وأراضي البناء في البدرشين، وكذا في وسط القاهرة، حيث سُمّي أحد الميادين باسم «ميدان سوارس» نسبة إلى فيلكس سوارس، لكن اسم الميدان تغيّر إلى مصطفى كامل اعتبارًا من عام ١٩٣٩. وامتلكت عائلة سوارس حصصًا وأسهمًا في عدد كبير من الشركات، واحتل كثيرًا من أفرادها مواقع رئاسية وإداريّة في كثير منها، فتولى ليون سوارس (ابن فيلكس سوارس) إدارة شركة أراضي الشيخ فضل وإدارة شركة وادي كوم أمبو. وعند وفاة أبيه، ترك ليون مؤسسة سوارس ليخلف أباه في إدارة البنك الأهلي والبنك العقاري المصري (71).

وبمبادرة من إدجار سوارس- الذي تولّى رئاسة الجماعة في الإسكندريّة في الفترة بين ١٩١٤ و١٩١٧- اشترت شركة مساهمة كان ليون من مؤسسيها آلاف الأفدنة، وبعد استصلاحها تم بيعها بمساحاتٍ صغيرة للمزارعين وبقروض طويلة الأجل (72).

ودخل فيلكس سوارس في تجارة مع يهود آخرين من عائلة شماع، إبراهيم شماع وابنه ماركتو شماع، وحين ازدهرت أعماله تزوج ركيئا ابنة أصلان بك قطاوي عام ١٨٧٣، كما دخل في شراكة مع جاك قطاي ونحمان، وافتتحوا محلًا باسم «سوارس ونحمان وشركاؤهم في مصر»، ثم «أسس محلًا آخر باسم «بيت إخوان سوارس وشركائهم».

وفي عام ١٨٧٦ أسس فيلكس مع روبين رولو محلًا في الإسكندريّة باسم «الخواجة روبين رولو وأولاده وشركاؤهم». واهتم فيلكس بالأعمال الخيريّة للإنسان والحيوان أيضًا، فهو مؤسس «مستشفى الكلب في العباسيّة»، و«المؤسسة الخيريّة الإيطاليّة»، وله أيادي بيضاء على المدارس الخيريّة اليهوديّة، وكان يُحسن على فقراء اليهود ويمنح عائلتهم مرتبات شهريّة، إذا كانوا من العجزة أو أصحاب الشيوخة.

وتقفز إلى الذاكرة عائلة قطاوي، وهي عائلة مصريّة يهوديّة، برز عددٌ من أفرادها في النشاط

السياسي والاقتصادي في مصر في أواخر القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين، وترجع أصولها إلى قرية قطا شمالي القاهرة.

بدأ دور هذه العائلة مع نزوح أليشع حيدر قطاوي إلى القاهرة في أواخر القرن الثامن عشر، حيث عمل ابنه يعقوب (١٨٠١-١٨٨٣) في التجارة وعُرف عنه الأمانة ونقاء الذمة؛ الأمر الذي دفع باليهود إلى أن يُعدّوه كبيرهم، فكان الوالي محمد علي يستدعيه حين يريد توجيه خطاب أو فرمان إلى اليهود، وبالمثل حصل يعقوب على امتيازات من محمد علي للقيام بأنشطة تجارية ومالية. وكان أول يهودي مصري يُمنح لقب «بك» عام ١٨٨٠ بفرمان من الخديوي توفيق، كما حصل على لقب «بارون» من الإمبراطورية النمساوية المجرية التي حملت العائلة جنسيتها، لكنه كان حريصًا على ارتداء الجبة والقفطان والعمامة، والحديث بالعربية والعبرية مع تجنب الحديث بلغات أوروبية.

عهدًا إليه الخديوي عباس الأول (١٨٤٩-١٨٥٤) بتقديم لوازم الحكومة من معدات المخازن، ففعل، فوَلَّاه التزام حلقات الأسماك، فأثبت أمانة وكفاءة في هذا العمل الإداري؛ مما حدا بعباس باشا إلى أن يوليه إدارة أشغال الضربخانة؛ أي مدير مصلحة ضرب النقود، وهو منصب كبير، ثم ضمَّ إليه إدارة الجمارك المصرية، وجعله ناظرًا على الخزانة.

احتفظ بهذا المنصب خلال حكم الوالي سعيد والخديوي إسماعيل، وتولَّى في أواخر أيامه رئاسة الجماعة اليهودية في القاهرة التي كانت تُسمَّى «الطائفة الإسرائيلية». ويعدُّ يعقوب قطاوي أول يهودي يغادر حارة اليهود ويستقر في شبرا الخيمة، التي جعلها محمد علي باشا سكنًا للأرستقراطية من أمراء وباشوات، وفيها قصر الوالي المعروف بقصر الفسقية، وباقي قصور رجال الدولة وأثريائها(73).

تزوج يعقوب ورزق بأربعة ذكور، هم: أصلان، ويوسف، وإيلي، وموسى. وبعد شراكة ممتدة مع يعقوب منَّشَه (منسَى) في محال ملابس وشركة صرافة، استجاب يعقوب قطاوي لرأي أبنائه، بشأن إقامة محال مستقلة بعائلة قطاوي في القاهرة والإسكندرية وباريس، وجعل يعقوب محل باريس تحت إدارة ابنه إيلي، ومحال القاهرة والإسكندرية تحت إدارة أبنائه: أصلان، ويوسف، وموسى.

يُذكر أن إيلي يعقوب قطاوي تزوج في باريس من سيدة فرنسية تُدعى ليون فلنسين، أنجبت له ابنتين، ولما تُوفيت تزوج من عائلة ريلخ العريقة في دنيا المال والأعمال في النمسا، ونشعبت «أعماله الخاصة، فامتلك شركة سكر اسمها «راتين ريسيه».

وبعد وفاة يعقوب قطاوي في قصره بشبرا في ١٣ أبريل ١٨٨٣، خلفه ابنه موسى قطاوي (١٨٥٠-١٩٢٤) في رئاسة الطائفة، واختير عضوًا في البرلمان المصري، كما أنعم عليه الملك فؤاد بلقب الباشوية. كان موسى قطاوي من كبار رجال المال والبنوك، وتولَّى إدارة عدد من

الشركات، وساهم في إنشاء شركة مياه الشرب في طنطا، وتمويل مشروعات السكة الحديد في صعيد مصر وشرق الدلتا ومشروعات النقل العام «الأمنيوس» في القاهرة، بالتعاون مع عائلات: سوارس، ورولو، ومنسى.

لم يكن موسى قطاوي بعيداً عن النشاط السياسي، فقد توسط لدى قائد القوات البريطانية في مصر، الجنرال ماكسويل، في يوليو ١٩١٦، للسماح بتشكيل «كتائب يهودية»⁽⁷⁴⁾، حتى تكون ضمن إطار جيش الجنرال اللنبي، الذي كان يستعد للزحف إلى فلسطين. وبالفعل، تم تشكيل تلك القوات، وسُمح لها بوضع «نجمة داوود» على مقدمة قبعات جنودهم، تمييزاً لهم.

في ٢١ أبريل ١٨٧٤، تزوج موسى من إيدا روسي ابنة الدكتور إيليا روسي بك طبيب الخديوي إسماعيل، في عرسٍ كبير، وأنجب الزوجان كلاً من: جوستاف، وإيكتور، وإدجار، وإيديت.

وبعد وفاة موسى، انتقلت رئاسة الطائفة إلى يوسف قطاوي، الذي أدار مع أخيه موسى محال قطاوي الموجودة في القاهرة والإسكندرية، وكان محباً للخير ومساعدة الفقراء. اقترن موسى قطاوي بابنة حاخام، وأنجب منها: إيلي، وموريس، وألبير، وعمل في مجال البنوك والصرافة، وافتتح مصرفاً خاصاً، واشتغل معه أبناؤه، باستثناء موريس الذي تخرج في المهندسخانة وعمل مهندساً.

استمرت عائلة قطاوي بعد وفاة موسى متوغلة في الاقتصاد المصري، فقد برز اسم يوسف أصلان قطاوي (١٨٦١ - ١٩٤٢) الذي درس الهندسة في فرنسا، ثم عاد ليعمل في وزارة الأشغال المصريّة، ثم سافر إلى مورافيا ليدرس صناعة تكرير السكر، وبعد عودته إلى مصر أصبح مديرًا لشركة السكر المصريّة ورئيس شركة كوم أمبو التي قامت باستصلاح زراعة قصب السكر على مساحة ٢٨٠ ألف فدان في محافظة أسوان.

اختير يوسف أصلان قطاوي عضوًا في عدد من المجالس الاستشارية للمؤسسات الصناعية والماليّة. فقد كان عضوًا في مجالس إدارة البنك التجاري المصري، والبنك العقاري المصري، وشركة مياه القاهرة، وشركة طنطا للمياه المساهمة، وجراند أوتيل، وشركة أراضي الشيخ فضل، والشركة المساهمة لسنترال مصر، والشركة العامّة للري، وشركة الإيموبيليا بالقاهرة⁽⁷⁵⁾. واشترك الرجل في عام ١٩٢٠ بالتعاون مع طلعت حرب، ويوسف شيكوريل (أو سيكوريل كما كان يُنطق اسمه لدى كثيرين) في تأسيس بنك مصر.

وفي عام ١٩١٥، كان يوسف قطاوي عضوًا في الوفد المصري الساعي إلى التفاوض مع بريطانيا لنيل الاستقلال لمصر، كما اختير عام ١٩٢٢ عضوًا في اللجنة التي أسندت إليها مهمة وضع دستور مصري جديد عقب الثورة المصريّة (١٩١٩) والتصريح البريطاني بمنح مصر استقلالها الشكلي (١٩٢٣). اختير يوسف قطاوي وزيرًا للماليّة عام ١٩٢٤ ثم وزيرًا للمواصلات

عام ١٩٢٥، وانتُخب عام ١٩٢٣ عضواً في مجلس النواب عن دائرة كوم أمبو، كما كان عضواً في مجلس الشيوخ في الفترة من ١٩٢٧ حتى ١٩٣٦. وقد تزوج من عائلة سوارس، وكانت زوجته أليس -الشهيرة بـ«مدام قطاوي»- وصيفة أولى للملكة نازلي زوجة الملك فؤاد، ووصيفة للملكة فريدة زوجة الملك فاروق.

تولى يوسف أصلان قطاوي رئاسة الطائفة اليهودية خلفاً لعمه موسى، واتسم أسلوبه بالتعقل في حل المشكلات الداخلية للطائفة، كما عارض بشدة المشروع الصهيوني بالحماسة نفسها التي قاوم بها الاحتلال البريطاني.

وبعد تقاعد يوسف أصلان قطاوي من مجلس الشيوخ لمرضه، قرر الملك فاروق تعيين ابنه أصلان يوسف في مجلس الشيوخ عام ١٩٣٨.

وُلِدَ أصلان يوسف أصلان قطاوي عام ١٨٩٠، ودرس في سويسرا، ثم عاد إلى مصر ليعمل سكرتيراً عاماً لمصلحة الأملاك الأميرية التابعة لوزارة المالية، ومندوباً عن الحكومة المصرية في شركة قناة السويس ومندوباً للحكومة في البنك الأهلي المصري.

وفي عام ١٩٢٤ أسس أصلان قطاوي شركة «نسطور جاناكليس للسجاير» وكان مساهماً وعضواً في مجلس إدارة «الشركة المالية والصناعية المصرية لإنتاج الأحماض الكيماوية». وشارك في تأسيس وإدارة فرع لشركة «الصناعات الكيماوية الإمبراطورية الإنجليزية»، وهي الشركة التي كرّست نشاطاً كبيراً في إنتاج المستحضرات الطبية والبيطرية وصناعة التبريد والأحماض والمبيدات الحشرية والروائح العطرية والغاز السائل، ونجحت هذه الشركة في تغطية طلبات السوق المصرية من الأدوية في أثناء الحرب العالمية الثانية بعد انقطاع الواردات من العقاقير الطبية والمواد الكيماوية. وفي عام ١٩٥٠ أسس أصلان قطاوي مركزاً للأبحاث العلمية⁽⁷⁶⁾.

أما رينيه يوسف أصلان يعقوب قطاوي، المولود عام ١٨٩٦، فقد درس مع أخيه في لوزان بسويسرا، وعندما عاد إلى مصر تزوج من سيلين جوهر، كما عمل لأعوام في وزارة الزراعة المصرية، وانتُخب عضواً في المجلس الاقتصادي، ثم عضواً في المجمع العلمي المصري، وفي الجمعية الجغرافية الملكية.

وفي عام ١٩٣٨ انتُخب نائباً في مجلس النواب عن دائرة كوم أمبو، وبعد الحرب العالمية الثانية أعيد ترشيحه للبرلمان. اختير عام ١٩٤٣ رئيساً للطائفة اليهودية في القاهرة، وكان قد اختير في عام ١٩٤١ لافتتاح معبد كنيس المصريين بعد ترميمه. أدار عدة مشروعات اقتصادية للأسرة، وحافظ على علاقات قوية مع العائلات الرأسمالية المسلمة، واستأنف تحالفات عائلة قطاوي مع باقي عائلات اليهود الاقتصادية، ومنها عائلات: عدس، وأجيون، وموصيري، ونحمان، وبينتو، وورولو، وتيلش، كما أسهم في تأسيس ورئاسة شركة فنادق الوجه القبلي.

وفي عام ١٩٥٧، غادر الأخوان رينيه وأصلان مصر واستقرا في أوروبا^(ZZ)، بعد أن رفضا الذهاب إلى إسرائيل.

لعبت هذه العائلة دورًا في تشييد معبد اليهود في شارع عدلي، أحد أشهر أحياء القاهرة التجارية عام ١٨٩٩، والذي تم تجديده عام ١٩٨٨ بتبرع من المليونير اليهودي نسيم جاعون، وافتتح رسميًا بحضور شمعون بيريس -الرئيس الإسرائيلي لاحقًا- عام ١٩٩٠.

ويتعيّن عدم إغفال عائلة رولو، وهي عائلة يهودية سفارديّة تنحدر من أصول فرنسيّة إسبانيّة، جاءت إلى مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ونالت الرعاية البريطانيّة. امتلك روبين رولو مؤسسة تجاريّة تخصّصت أساسًا في استيراد النيلة (صبغة). وفي عام ١٨٧٠، أسس ولده سيمون (١٨٤٤-؟) وجياكومو (يعقوب) (١٨٤٧-١٩١٧)، مع بعض الشركاء، مؤسسة ماليّة وتجاريّة باسم «روبين رولو وأولاده وشركاهم». وتعاونت عائلة رولو من خلال هذه المؤسسة مع عائلتي قطاوي وسوارس في عدد من المشروعات التي أقاموها بالتعاون مع المالي البريطاني سير إرنست كاسل، خصوصًا مشروعات الدائرة السنيّة وتجديد وتطوير شبكة سكة حديد حلوان، وتأسيس البنك العقاري المصري والبنك الأهلي المصري⁽⁷⁸⁾.

وفي أثناء الأزمة الاقتصاديّة التي حدثت عام ١٩٠٧، صَفَّى جياكومو المؤسسة ثم أقام مع أبنائه الثلاثة «مؤسسة رولو وشركاه» التي جمعت بين الأنشطة المصرفيّة والماليّة وتجارة الجملة في القطن، والسكر، والأرز، والفحم، والبن، كما امتلكت حصصًا كبيرة في بعض الشركات العقاريّة الكبرى، مثل شركة وادي كوم أمبو، وشركة أراضي الشيخ فضل، وشركة مصانع السكر.

وعند وفاته، ترك جياكومو رولو ثروة من العقارات تُقدَّر بنحو ٧٠ ألف جنيه. أما ابنه روبير جياكومو رولو (١٨٧٦-؟)، الذي بدأ العمل المصرفي في بريطانيا، فقد عاد إلى الإسكندريّة لإدارة أعمال العائلة، ثم انتُخب رئيسًا للطائفة اليهوديّة في الإسكندريّة في الفترة ١٩٣٤-١٩٤٨. وكان روبير جياكومو مناهضًا للصهيونيّة، واستقال من رئاسة الطائفة عام ١٩٤٨ قبل اندلاع حرب فلسطين مباشرة بسبب خلافه مع حاخام الإسكندريّة المؤيّد للصهيونيّة.

أما روبير سيمون رولو (١٨٦٩-١٩٤٤) الذي درس القانون في باريس، فحقق مكانة مهمّة في الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في مصر؛ إذ تولّى رئاسة عدد من مجالس إدارة الشركات التي ساعد أباه في تأسيسها. وكان مستشارًا قانونيًا للملك فؤاد الأول، ومقربًا له فقام بدور الوسيط بين القصر ودار المندوب السامي البريطاني، وحصل على لقب «سير» عام ١٩٣٨. أما زوجة روبير سيمون رولو فهي فالنتين رولو، وصيفة الملكة نازلي؛ وذلك قبل أن تتولى المنصب نفسه بعدها. أليس سوارس.

تحكّمت عائلة رولو في أشهر وأعرق شركات الشحن البحري، وهي «شركة وابورات البوستة الخديوية»، بعد أن اشترتها بالشراكة مع عائلة قطاوي بعد معاهدة ١٩٣٦ وبداية تمصير الشركات

الإنجليزية، وتغيّر اسمها إلى «خط البريد الفرعوني»، وأصبحت تحت إدارة روبير رولو وأصلان قطاوي، اللذين عملا على تجديد السفن وتحسين أعمال الورش، واستمرت تؤدي عملها بكفاءة في أعالي البحار، حتى تم تأميمها عام ١٩٦١، ليتغيّر اسمها نهائياً إلى «الشركة البحرية العربية المتحدة».

وهناك أيضاً عائلة منسى أو «دي منسى» أو «منسه»، لكن النطق الشائع في مصر هو «منسه». ويوجد شارع في الإسكندرية يُسمى «شارع منسه». ومنسه عائلة يهودية سفارديّة ترجع أصولها إلى إسبانيا، ويعود أول ذكر لوجودها في مصر إلى القرن الثامن عشر. بدأ يعقوب دي منسى (١٨٠٧-١٨٨٧) حياته صرافاً في حارة اليهود، وتدرّج في عمله حتى ذاع صيته، وعندما تنهى أمره إلى محمد علي باشا، أمر بتعيينه صرافاً في مديرية الجيزة عام ١٨٤٠، ثم اشتغل موظف حسابات في دائرة حسن باشا المنسترلي، حكمدار القاهرة، قبل أن يصبح وكيلاً عنه في إدارة أملاكه وأمواله.

ومن خلال صلته بعائلة المنسترلي العريقة، استطاع يعقوب منسه تكوين علاقات ناجحة والتعرف إلى أعيان وباشوات وأجانب، فأسس بالتعاون مع يعقوب قطاوي مؤسسة مالية وتجارية (بيت منسى وأولاده) أصبح لها أفرع في مانشستر، وليفربول، ولندن، وباريس، ومارسيليا، وإسطنبول، كما اشترك بالتعاون مع الخديوي إسماعيل في تأسيس البنك التركي المصري، واشترى في مصر الأراضي والأملاك، وارتبط نشاطه بكثير من شركات ومشروعات عائلتي قطاوي وسوارس (79).

وفي عهد الخديوي إسماعيل عينه «صراف باشي» بعد يعقوب قطاوي، وأصبح من حاشية أفندينا. تزوج منسه من إستر ابنة موسى نجار، وأنجب منها: بيهور، وموسى، وإيلي، ويوسف، وثلاث بنات. وقد مات كل أبناء يعقوب الذكور في عمر مبكر نسبياً، ولم يُعمّر منهم سوى إيلي، «وبيهور، والأخير كان البعض ينطق اسمه «بخور».

وفي عام ٧٢/١٨٧٣، مُنح يعقوب دي منسى الحماية النمساوية، وفي عام ١٨٧٥ مُنح لقب البارونية والجنسية النمساوية المجرية تقديراً للخدمات التي قدمها للتجارة النمساوية المجرية-المصرية. وترأس يعقوب دي منسى الطائفة اليهودية في القاهرة عام ١٨٦٩، ثم انتقل عام ١٨٧١ إلى الإسكندرية حيث أسس معبد منسى ومقابر منسى ومدارس منسى.

درس ابنه إيلي يعقوب منسه (١٨٤٠-١٩٠٤) في إيطاليا وإنجلترا، ثم عاد إلى مصر، فتزوج لولي بغدادي، التي أنجبت له ولداً واحداً هو جاك إيلي المولود في ٢٦ أغسطس ١٨٧٢، وخمس بنات هن: إستير التي تزوجت ألفرد إسمعوم، لويز التي تزوجت ألبرت إسمعوم، وجان التي تزوجت فيلكس جرين، وديانا التي تزوجت موريس قطاوي.

وفي عام ١٨٦٨ أسس إيلي شركة صرافة، وبتشجيع من الخديوي إسماعيل استطاع أن يؤسس

في الإسكندرية «البنك السلطاني العثماني» بالتعاون مع الحكومة البريطانية والباب العالي، كما أنشأ وكالة صحفية باسم «المصريون الأحرار». تلقى جاك إيلي دي منشه تعليمه في باريس وفيينا، وعقب عودته أشركه والده في إدارة بعض أعماله، وزوجه من جابرييل ابنة موريس أجيون. وفي عام ١٩٠٩ حصل جاك منشه على عضوية أرقى الأندية الأرستقراطية «نادي محمد علي»، ولعب دوراً مهماً في تنمية التجارة المصرية النمساوية.

وترأس بيهور (دافيد) ليفي دي منسى (١٨٣٠ - ١٨٨٥) الطائفة في الإسكندرية وخلفه في رئاستها ابنه جاك (١٨٥٠ - ١٩١٦) الذي احتفظ بها حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى حينما اعتبرته السلطات البريطانية عدواً؛ لأنه كان يحمل الجنسية النمساوية المجرية.

نقل جاك بيهور أعمال الأسرة من الأعمال المالية والمصرفية إلى تجارة القطن والسكر المربحة، واشترى مساحات واسعة من الأراضي في دلتا وصعيد مصر. ووصلت ثروته عند وفاته إلى ما بين ٣٠٠ و ٥٠٠ ألف جنيه مصري. وكان جاك رئيس الكلوب الخديوي، الذي تأسس في ميدان محمد علي في العام ١٨٨٨. اقترن جاك بأدريانة نحمان وأنجب منها: هنري، وإدمون، وإميل، وجستون، وديني، وأوجين، ومرجريت. انضم الأخوان هنري وجستون إلى جيش النمسا، فكانا ضابطين فيه، أما باقي الأبناء فاشتغلوا بالتجارة مع أبيهم جاك، الذي كان خبيراً في عالم البنوك واشتهر بـ«البنكبير» بين الناس.

أما الشقيق الأصغر فيلكس بيهور (١٨٦٥ - ١٩٤٣)، فدرس في فيينا وأسس فرع بيت منسى في لندن، وترأس الطائفة اليهودية في الإسكندرية في الفترة ما بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٣٣. تزوج فيلكس ابنة عمه سيلين يوسف منشه، وأنجب منها ابنه جورج، الذي كان بدوره محافظاً جداً لدرجة أنه لم يكن يحب مصافحة النساء، وكان يرتدي قفازات دائماً؛ ليتجنب ذلك.

بعد وفاة زوجته سيلين، تزوج فيلكس يهودية تدعى روزيت دي بستوس، وأنجب منها موريس وأندريا. ويعد فيلكس من أبرز مؤيدي الصهيونية بتشجيع من زوجته الثانية روزيت، فتولى رئاسة اللجنة الصهيونية المصرية التي تأسست عام ١٩١٨، وفي عام ١٩٢٠ أصبح ممثلاً للحركة الصهيونية المصرية في المؤتمر الصهيوني العالمي في لندن، وكان صديقاً لحاييم وايزمان أول رئيس لإسرائيل.

أما يوسف بنتشوتو فهو اقتصادي مصري يهودي وُلد في الإسكندرية لعائلة سفارديّة ذات أصول إيطالية قدمت إلى مصر من حلب. بدأ حياته موظفاً في مؤسسة تجارية، وأسس عام ١٨٩٦ تجارته الخاصة فأقام عام ١٩١٧ شركة لاستيراد المنسوجات القطنية. واكتسب بنتشوتو سمعة طيبة كخبير اقتصادي، كما كان عضواً في مجالس إدارة عدد من الشركات وعضواً بالغرفة التجارية بالإسكندرية. وعُيّن عام ١٩٢٢ عضواً بالمجلس الاقتصادي للحكومة المصرية. وكان بنتشوتو متعاطفاً مع الحركة الوطنية المصرية، فانضم إلى حزب الوفد وانتُخب عضواً بمجلس النواب ثم

دخل مجلس الشيوخ عام ١٩٢٤. كما كان نائبًا لرئيس اللجنة المؤيِّدة لفلسطين والتي تأسست عام ١٩١٨ ورئيِّسًا لـ «بناي بريث» (أبناء العهد) في الإسكندرية.

هنا يتعيَّن أن نشير إلى أنه، وفي إطار تبادل المصالح، حرصت الشخصيات الرأسمالية اليهودية، على إشراك عدد من الوزراء والسياسيين ورجال الأعمال المصريين معها في نشاطها الاقتصادي. ويُذكر على سبيل المثال إسماعيل صدقي، وأحمد زيور، ومدحت وعدلي يكن، وحافظ عفيفي، ومحمد أحمد فرغلي، وأحمد عبود، وفؤاد أباطة، وإبراهيم عبدالهادي، وغيرهم⁽⁸⁰⁾.

وكان إسماعيل صدقي -على سبيل المثال- عضو مجلس إدارة في عددٍ من الشركات المملوكة لرأسماليين يهود، مثل شركة «كوم أمبو» التي استولت على أراضي الفلاحين وطردتهم منها⁽⁸¹⁾. في المقابل، كان لأثرياء اليهود تحالفاتهم وخصوماتهم الاقتصادية، وقد اشتكى منهم طلعت حرب؛ لأنهم منعه من تأسيس فرع في فلسطين لبنك مصر وأسعدهم استبعاده من البنك.

على جانب آخر، حرص عدد من اليهود في مصر، على إقامة علاقات وطيدة مع النخب السياسية وقادة الأحزاب المصرية. نذكر على سبيل المثال، ليون كاسترو، مؤسس فرع المنظمة الصهيونية في مصر، في عام ١٩١٧، وسكرتير لجنتها المركزية، الذي تقول مصادر: إنه كان صديقًا لزعيم الوفد سعد زغلول، حتى أصبح متحدثًا باسم «الوفد» في أوروبا، كما تولى رئاسة التي دافعت عن الوفد في أوساط الأجانب⁽⁸²⁾، La Libecc، تحرير جريدة

ولا يجاوز أحدُ الحقيقة حين يقول: إن اليهود يقفون وراء إنشاء عدد كبير من البنوك في ذلك الوقت. ومن أهم البنوك التي لعبوا دورًا في إنشائها البنك العقاري المصري الذي تأسس عام ١٨٨٠، فقد اشترك في تأسيسه سوارس، ورولو، وقطاوي. كان رأسمال البنك عند تأسيسه ٤٠ مليون فرنك فرنسي، وصل إلى ٨ ملايين جنيه عام ١٩٤٢. وقد لعب هذا البنك دورًا مؤثرًا في الاقتصاد الزراعي المصري؛ إذ إنه نتيجة القروض التي منحها للملاك الزراعيين أصبح يتحكم في أكثر من مليون فدان⁽⁸³⁾.

وأسس جاك سوارس البنك التجاري المصري والذي عُرفَ وقت تأسيسه عام ١٩٠٥ باسم بنك التسليف الفرنسي، ثم تحول إلى شركة مساهمة مصرية باسم البنك التجاري المصري عام ١٩٢٠ وكان رأسماله مليونًا و ٢٠٠ ألف جنيه إسترليني. كما تأسس بنك سوارس عام ١٩٣٦.

كما تأسس البنك الأهلي المصري عام ١٨٩٨ بقيادة ميشيل سلفاجو، وإرنست كاسيل، ورافائيل سوارس، وكان رأسماله ٣ ملايين جنيه إسترليني.

وننوه هنا بأن حق الامتياز الذي منحه الخديوي عباس حلمي الثاني إلى رافائيل سوارس بإنشاء البنك الأهلي المصري، أعطاه الحق في إصدار أوراق مالية، يتم قبولها لدفع الأموال الأميرية، مع أحقية صرف هذه الأوراق بالذهب عند الطلب. كانت تلك الأوراق المالية بمنزلة سندات تحمل تعهدًا من محافظ البنك بأن يدفع لحامل السند مبلغًا مُقدرًا بالذهب عند طلبه ذلك.

وقد أصدر البنك الأهلي أوراقًا نقدية بقيمة خمسين قرشًا وجنيه واحد وخمسة جنيهات وعشرة جنيهات و ١٠٠ جنيه في الفترة من ١ يناير إلى ١٥ يناير عام ١٨٩٩، ثم ما لبث أن أصدر ورقة نقدية فئة خمسين جنيهًا في ٢١ مارس ١٩٠٤ (84).

غير أنه ينبغي القول: إن استخدام هذه النقود الورقية اقتصر على فئات قليلة من أهل المدن والأجانب، فيما لم يطمئن كثيرون إلى هذه العملة؛ «لذا ظل تداولها محدودًا بحيث لم يزد الموجود منها قبل نشوب الحرب العالمية الأولى عن ٢,٢٠٠,٠٠٠ جنيه. وقد نص قانون البنك الأهلي على أن يكون غطاء أوراق النقد على أساس النصف من الذهب، والنصف الآخر من أوراق مالية تحددتها الحكومة المصرية» (85).

علينا ألا ننسى أن اليهود ساهموا أيضًا في ميلاد بورصة القاهرة، ففي يوم الخميس الموافق ٢١ مايو ١٩٠٣ قامت اللجنة الخاصة برئاسة موريس قطاوي بك (توفي عام ١٩٢٤) باختيار المبنى القديم للبنك العثماني (وهو الآن مبنى جروبي- فرع عدلي) الكائن بشارع المغربي كمقر رسمي ولكن بصفة مؤقتة- للشركة المصرية للأعمال المصرفية والبورصة -المؤسسة حديثًا- شركة ذات مسؤولية محدودة.

وكان الأعضاء المؤسسون لبورصة القاهرة في عام ١٩٠٣ هم: موريس قطاوي بك - الرئيس Cofcaec en نائبًا عن) أربيب - كوكسن - جناروبولو أوزيول - ماكليفرى - أدولف قطاوي هذا بالإضافة إلى ممثل عن كل من (Cofcaec en Valefad . أ. ك. ريد (ممثلاً عن - (Mecchanded) بنك: كريدي ليونيه، بنك مصر، البنك الإمبراطوري العثماني، البنك المصري البريطاني، والبنك الأهلي المصري. وكان السكرتير العام للبورصة في عام ١٩٠٣ يدعى بوتيني. ويكفي أن نشير إلى أن قائمة رؤساء بورصة القاهرة تضم كلاً من: جوزيف حايم بيريز (١٩٢٥-١٩٢٩)، وإيلي نجار (١٩٤٧-١٩٤٨)، وصامويل إميل ليفي (١٩٤٨-١٩٥٨).

لكن هذا لم يكن كل شيء في عالم أملاك اليهود في مصر.

كان أثرياء اليهود في مصر يبحثون عن المال فوق الأرض.. وتحتها أيضاً. فقد احتكر اليهودي إيزاك ناكامولي تجارة الورق في مصر، وأسس فيتوريو جيانوتي عام ١٩٣٠ «شركة الغاز المصرية» التي تحولت لشركة مساهمة مصرية عام ١٩٣٢. أما مناخم ميشا بنين، الذي حقق مكاسب خيالية من تجارة الأراضي، فكان من أثرياء يهود بورسعيد من العاملين بمجال العمل الخيري، وكان يُلقب بـ«روتشيلد الشرق»⁽⁸⁶⁾. في بورسعيد أيضاً، حقق سيمون أرتس نجاحات خيالية في المدينة وباقي مدن قناة السويس بعد إنشائه أكبر سلسلة متاجر عرضت كل أنواع البقالة الحديثة، وكانت من أكبر منتجي علب السجائر التي حملت اسم صاحبها على أغلفتها، قبل أن يبيع أسهم سلسلة متاجره بالكامل قبل عام ١٩٢٠ إلى ابن شقيقه ماكس موثلي، الذي حوّلها إلى سلسلة متاجر كبرى، وظهر في قائمة أغنى أثرياء اليهود في مصر خلال الفترة بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٥٠⁽⁸⁷⁾.

ويعتقد موريس مزراحي «أن اليهود لعبوا دوراً مهماً في تنمية الاقتصاد المصري»⁽⁸⁸⁾. وإذا كانت العائلات الغنية اليهودية كسبت مبالغ طائلة من أعمال الصرافة، والبنوك، وشراء الأراضي، وإنشاء مصانع السكر، وشركات النقل، فإن نشاطهم امتد إلى كل شيء تقريباً، حتى إن جوزيف فتا أسس شركة جوزي فيلم عام ١٩١٥، وهي الشركة التي أنتجت عددًا كبيراً من الأفلام المهمة.



صورة جماعية لعدد من يهود مصر

كما اشتهر اليهود في تجارة الأقمشة والملابس والأثاث، حتى إن شارع الحمزاوي الذي كان مركزاً لتجارة الجملة كان به عدد كبير من التجار اليهود، كذلك جاءت شركات مثل شركة شملا،

وهي محال شهيرة أسسها كليمان شمالا -بشراكة مع شقيقه دافيد وفكتور- كفرع لمحال شمالا باريس، وقد تحولت إلى شركة مساهمة عام ١٩٤٦ برأسمال ٤٠٠ ألف جنيه مصري.

أما «شيكوريل» فقد أسستها عائلة شيكوريل عام ١٨٨٧ وترأس مجلس إدارتها مورينو شيكوريل (١٨٦٤-١٩١٩) عميد العائلة، الذي هاجر إلى مصر من سميرنا (إزمير)، وعمل لفترة في محل «أو بيتي بازار» الذي كان يملكه يهودي آخر اسمه هانو.

في عام ١٩٠٩ أسس شيكوريل أول محل خاص به يُدعى «جراند ماجازان شيكوريل» بجانب ميدان الأوبرا في وسط القاهرة وبمساعدة أولاده الثلاثة: سالومون، ويوسف «جوزيف»، وسلفاتور، تحوّل إلى واحد من أكبر المحال التجارية في مصر. بلغ رأسمال هذه الشركة العائلية ٥٠٠.٠٠٠ جنيه، وعمل بها ٤٨٥ موظفًا أجنبيًا و١٤٢ موظفًا مصريًا. لاحقًا، انضمت إليهم عائلة يهودية أخرى، فأصبحوا يمتلكون معًا مجموعة محال «أوريكو».

وفي عام ١٩١٥، أسس مورينو مؤسسة في الإسكندرية لتسويق القطن، وأصبح عضوًا في مجلس إدارة جمعية المصدرين وبورصة ميناء البصل، ورئيسًا شرفيًا لطائفة اليهود الشرقيين بالإسكندرية.

كان يوسف (بك) شيكوريل (١٨٨٧-١٩٣٩) من مؤسسي بنك مصر (عام ١٩٢٠)، كما كان أخوه سلفاتور (بك) شيكوريل عضوًا في مجالس إدارة عددٍ كبير من الشركات، وعضوًا في مجلس إدارة الغرفة التجارية المصرية ثم رئيسًا لها. وكان ضمن البعثة الاقتصادية المصرية التي سافرت إلى السودان بهدف تعميق العلاقات التجارية بين البلدين، وفتح مجالات جديدة أمام رؤوس الأموال المصرية في السودان.

كان شيكوريل متجرًا للأرستقراطية المصرية بما في ذلك العائلة الملكية، لكنه احترق بكرات لهب ألقبت عليه أثناء حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨، ثم دُمّر مرة أخرى في حريق القاهرة مطلع عام ١٩٥٢، وفي المرتين أعيد بناؤه بمساعدة الحكومة، وبقي على حاله حتى وُضِع تحت الحراسة بعد نشوب حرب السويس ١٩٥٦، وسرعان ما تخلى أصحابه عنه ببيع أسهمه لرجال أعمال.

لم يغفر البعض لمورينو شيكوريل -الذي أنشأ متجر شيكوريل- حقيقة كونه صانع العلم الصهيوني الأول الذي حلّق فوق القدس في ديسمبر ١٩١٧ لمدة ٢٠ دقيقة قبل إزالته من قبل القوات البريطانية. وقد تزوجت حفيدته ليلي من بيار منديس- فرانس الذي أصبح رئيس وزراء فرنسا في خمسينيات القرن العشرين، قبل أن يشغل منصب وزير الخارجية، بعد سقوط حكومته الاشتراكية في عام ١٩٥٥. لم تصدر ليلي شيكوريل (التي تُوفيت عام ١٩٦٧) ولا مرة واحدة أي بيان علني تعارض فيه الغزو الفرنسي لمصر أو تحالفها ومساعدتها النووية لإسرائيل.

وبالرغم من أنه عقب ثورة يوليو ١٩٥٢ حرص سلفاتور (١٨٩٤-١٩٧٦) على مد جسور

علاقات طيبة مع الضباط الأحرار، خصوصاً أنه كان معروفًا كرياضي سابق، وكابتن منتخب مصر للمبارزة الذي شارك في دورة أمستردام الأولمبية عام ١٩٢٨، فإنه لحق بباقي أفراد أسرته في أوروبا عام ١٩٥٧ بعد أن نقل أرصدته إلى الخارج وباع أهم شركات العائلة: «شيكوريل»، و«أوريكو» ذات رأس المال البالغ ٦٠٠ ألف جنيه التي كانت تعد جوهرة التاج في شارع فؤاد الذي أصبح الآن شارع ٢٦ يوليو، وسط القاهرة.. الذي كان!

فقد باع سلفاتور ورينيه، اللذان كانا يحتفظان بجميع أموال ثروتهما خارج مصر في ذلك الحين، أسهم الشركة لعائلة الجابري المسلمة -وفي قول آخر، بيعت متاجر سلفاتور ورينيه شيكوريل لقوت القلوب الدمرداشية⁽⁸⁹⁾- قبل مغادرة البلاد في عام ١٩٥٧. وتم تأميم الشركة في عام ١٩٦١.

أما سالومون شيكوريل (١٨٨١-١٩٢٧) فقد قُتِلَ في منتصف ليلة الرابع من مارس عام ١٩٢٧ على يد مجموعة من الجناة، اقتحموا بيته الكائن في شارع الجيزة، وشرعوا في تخديره في حجرة نومه وتخدير زوجته إيفير توريل، وعندما قاومهم أقدموا على قتله بثماني طعنات نافذة⁽⁹⁰⁾. وتقول مجلة «اللطائف المصورة»: إنه «مما يزيد في فظاعة هذا الحادث أن بين قاتليه اثنين أوهما في داره، وأستأمنهما على نفسه، وأسكن أحدهما في منزله. فاقتربت جناية القتل والسرقة بجناية الخيانة. وقد جرأ اللصوص على فعلتهم الشنيعة طيبة القتل نفسه، وعدم اكترائه بما حدث في منزله من سرقات مع ارتيابه في أمر سائقه، فتركه يستوطن منزله، حتى كان ما كان»⁽⁹¹⁾.

أما قتلة سالومون شيكوريل -والد ليلي وروزي وريمون- فكان على رأسهم سائقه السابق اليوناني الجنسية أنستي خريستو، وسائقه الأخير الإيطالي إدواردو مورا ماركو، والشاب اليهودي داريو جاكويل، والإيطالي غريمالدي دجارو؛ ولأن الأربعة حوكموا أمام ثلاثة محاكم مختلفة حسب جنسياتهم؛ ونظرًا لأن عقوبة الإعدام لم تكن مطبقة في إيطاليا واليونان، فقد انتهى الأمر بصدور حُكم بالإعدام على داريو جاكويل وحده في ١٩ أبريل ١٩٢٧⁽⁹²⁾. وبقي من القصة أن هناك من يقول: إن قصة غرامية أو حكاية ثار عاطفي، وليست السرقة، كانت الدافع وراء تلك الجريمة⁽⁹³⁾.

وقبل تلك الجريمة بفترة قصيرة، قُتِلَ تاجر المجوهرات اليهودي هرمان بركوفنتش وابنه بريانتو على يد شقي يُدعى عباس محمود قنديل -من أهالي قرقشندة مركز طوخ- بعد أن دخل الجاني ذات ظهيرة محل تاجر المجوهرات في شارع فؤاد الأول في عمارة روفيه؛ بدعوى رغبته في رؤية بعض القطع الثمينة، ثم ما لبث أن دخل في إثر بركوفنتش وابنه إلى ورشة داخلية وأطلق عليهما النار ثم استخدم قطعة قماش من عمامته ليخنق الابن ويجهز عليه، ثم فتش جيوب الضحيتين حتى عثر على مفتاح الخزانة ففتحها، وسلب ما فيها وقدره ١٣٥ جنيهًا، وأخذ يدس في جيوبه ما استطاع من الحلي⁽⁹⁴⁾.

غير أن المارة احتشدوا وشلُّوا حركة الجاني ليسقط في يد الشرطة. وبعد محاكمة قصيرة،

أدانت محكمة الجنايات عباس محمود قنديل في ٢١ مارس ١٩٢٧ بارتكاب الجريمة المزدوجة ضد بركوفتش ونجله بريانتو، وقضت بإعدامه شنقاً⁽⁹⁵⁾.

وتبرز في مصر القرن العشرين أيضًا شركة «بونتبوريمولي» أشهر شركات الديكور والأثاث، وأسسها هارون وفيكتور كوهين، و«جاتينيو» وهي سلسلة محال أسسها موريس غاتينيو الذي احتكر تجارة الفحم ومستلزمات السكة الحديد. باع غاتينيو متجره الفاخر للتاجر السوري عبدالقادر الحراكي في نهاية الخمسينيات.

وكانت عائلة عدس من العائلات اليهودية الشهيرة في عالم الاقتصاد، وأسست وامتلكت مجموعة شركات مثل بنزايون، هد، ريفولي، هانو. اشترت العائلة الفروع المصرية لمحال «أوروزدي باك» وضمتها إلى متاجرها وغيّرت اسمها إلى عمر أفندي⁽⁹⁶⁾، كما اشترت محال «هانو» بالشراكة مع عائلة شيكوريل، وفي ٢٣ أبريل ١٩٥١ اشترت محال «بنزايون» من ليفي دي بنزايون؛ وذلك بالشراكة مع جوزيف سوارس.

وقامت عدس -عبر هذه الشركة- بعمليات بيع وشراء واستيراد وتصدير وتجارة (جملة ونصف جملة وقطاعي) جميع أنواع الأزياء الحديثة والمنسوجات والملابس والأحذية والخردوات والبياضات والخيوط والروائح العطرية وجميع الأدوات المنزلية والأثاث والأبسطة والسجاد والمفروشات والأدوات الرياضية⁽⁹⁷⁾.

انتشرت فروع هذه الشركة تحت اسم «محلات بنزايون الكبرى» في أنحاء مصر، إلى أن تم تأميمها، وسُميت «شركة الأزياء الحديثة بنزايون ش.م.م».

أسس إميل عدس الشركة المصرية للبتترول برأسمال ٧٥ ألف جنيه في بداية عشرينيات القرن العشرين. أيضًا قامت عائلة عدس بتأسيس «الشركة المصرية للأراضي والبناء»؛ بهدف استغلال أراضي البناء وتقسيمها وبيعها، وتشكل مجلس إدارتها من إيلي عدس، وإميل عدس، وكليمان عدس، وجاستون عدس. وفي عام ١٩٥٧، تم وضع إمبراطورية عدس تحت الحراسة.

وأسس ألفريد كوهين عام ١٩١٤ «شركة التسليفات التجارية» التي انتشرت انتشارًا واسعًا، وأصبحت لها وكالات في لندن وغيرها من المراكز التجارية الرئيسية في العالم⁽⁹⁸⁾.

وترأس هنري ناعوس (١٨٥٧-١٩٤٥) -الذي جاء والده إلى مصر في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر قادمًا من بيروت- عددًا من الشركات التي أُقيمت بالتعاون بين كاسل ومجموعات قطاوي - سوارس - منسى - رولو، وانتُخب عام ١٩٢٩ عضوًا بمجلس إدارة البنك الأهلي المصري. وحصل على لقب سير عام ١٩٢٨ تقديرًا للخدمات التي قدّمها للحكومة البريطانية، وأصبح لقبه السير فيكتور هراري. وعائلة هراري كانت من العائلات اليهودية الثرية في مصر، وتوزع معظم أفرادها بين الجنسيين السويسرية والبريطانية. وكان إرنست هراري وعائلته يمتلكون ٥٣٪ من رأسمال شركة الإسكندرية للغزل والنسيج البالغ ٧٠٠ ألف جنيه مصري.

كما احتكر اليهود صناعات أخرى مثل صناعة السكر ومضارب الأرز، التي أسست سلفاتور سلامة شركة تحمل اسمها عام ١٩٤٧ برأسمال ١٢٨.٠٠٠ جنيه مصري، وكانت تنتج ٢٥٠ طنًا من الأرز يوميًا، وشركة الملح والصودا التي أسستها عائلة قطاوي عام ١٩٠٦. وكانت سلفاتور سلامة عضو مجلس إدارة في شركة مساهمة مضارب الأرز برشيد، والإسكندرية، ومعامل الخليج والزيوت المتحدة، وبنك الاستيراد والتصدير المصري، وشركة بهرند للتجارة، والشركة المصرية لبورصة مينا البصل، والشركة الإنجليزية المصرية للصابون والمنتجات الغذائية، والشركة المصرية لتعبئة الزجاجات، وشركة إسكندرية الأهلية لتعبئة الزجاجات(99).

أما مؤسسة شندلر للطباعة Schindlec فتأسست عام ١٩٢٩، وكانت أول من أدخل طباعة الجرافيك في مصر، وأسسها اليهوديان الألمانيان روبرت وإدوارد شندلر. وعائلة عاداه اليهودية هي أول من أدخلت الإضاءة بالنيون، فكان لها النصيب الأكبر من أسهم «الشركة المصرية للإضاءة بأشعة النيون».

وكان لليهود الفضل في إدخال الصناعات الكهربائية للبلاد، ففي عام ١٩١٩ أسس دافيد وهاري شافرمان مؤسسة احتكرت الأدوات الكهربائية التي كانت الشركات الأوروبية تتاجر فيها، وكان الأخوان اليهوديان تعلمًا صناعتها وأسسا لها عام ١٩٣٠ «مصنع شافرمان لإنتاج الأدوات الكهربائية والبطاريات ومنتجات البلاستيك»، واستطاع هذا المصنع تغطية الإنتاج المحلي ثم التصدير إلى البلاد العربية(100).

كذلك استثمر اليهود في قطاع الفنادق؛ والمثال الأكبر في ذلك هو عائلة موصيري، وهي عائلة يهودية سفارديّة من أصل إسباني، استقرت في مصر في ١٧٥٠، ونالت الرعاية الإيطالية. حقّق يوسف نسيم موصيري ثروته من التجارة، وبعد وفاته عام ١٨٧٦، أسس أبنائه الأربعة مؤسسة يوسف نسيم موصيري وأولاده.

اعتُبر الابن الأكبر نسيم (بك) يوسف موصيري (١٨٤٨-١٨٩٧) المؤسس الفعلي لهذه العائلة، فقد استلم إدارة أعمال والده التجارية، وأفلح في ترقية أمورها ونجاحها. واستثمرت عائلة نسيم بشكل أساسي في قطاع الفنادق، حتى قيل عن عائلة موصيري: إنهم «ملوك الفنادق»، فأسس «شركة فنادق مصر الكبرى» برأسمال ٣٦٥ ألف جنيه التي أسهمت وأدارت فنادق: كونتيننتال، ومينا هاوس، وسافوي، وسان ستيفانو بالإسكندرية، وشبرد، وفندق توفيق بطوان، وفندق الملك داوود بالقدس. وهي كلها فنادق دخلت عائلة موصيري مع شركات بريطانية ورجال أعمال أوروبيين، وعائلات يهودية مثل: عائلة زيلخا، أو عائلة أجيون «جوستاف أجيون»، وبعضها كان في الأصل مملوكًا للدولة، أو مبنياً في عهد الخديوي إسماعيل.

أنعم عليه الخديوي إسماعيل باشا بالوسام المجيدي الثالث دلالةً على أمانته وإخلاصه للعائلة الخديوية المعظمة، ثم أنعم عليه بالرتبة الثانية مع لقب بك. وفي عام ١٨٨٨ منحه جلالة ملك

إيطاليا نيشاناً من درجة أوفيسييه، ثم انتُخب عضواً في الجمعية الخيرية الإيطالية، وكان نائباً لرئيس الطائفة الإسرائيلية ومندوباً في محكمة مصر التجارية المختلطة، وانتُخب عضواً للجنة عوائد الأملاك بالقاهرة.

تزوج نسيم يوسف موصيري من إيلينا، ابنة يعقوب قطاوي، فرُزق منها ثمانية أولاد وثلاث بنات، وهم: يوسف «جوزيف» وُلد عام ١٨٦٩، وإيلي عام ١٨٧٩، وإستير عام ١٨٨١، وروجينا عام ١٨٨٣، وجاك عام ١٨٨٤، وموريس عام ١٨٨٦، وفيكوتوريا عام ١٨٨٧، ودافيد عام ١٨٨٩، وليون عام ١٨٩١، وفيلكس (سعد) عام ١٨٩٣، وإميل عام ١٨٩٦.

ولم تُحَقِّق عائلة موصيري انطلاقها الحقيقية إلا عندما أسَّس إيلي موصيري (١٨٧٩ - ١٩٤٠) ابن نسيم (بك)، بالتعاون مع إخوته الثلاثة: يوسف (١٨٦٩ - ١٩٣٤)، وجاك (١٨٨٤ - ١٩٣٤)، وموريس، بنك موصيري؛ وذلك بشراكة مع أطراف أخرى في العائلة، مثل: جورجيت موصيري، وجيدو موصيري، وهيلين موصيري، ومساهماتٍ أخرى من عائلة كوريبيل مثل: إيلي كوريبيل، وأليجرا كوريبيل. ظل البنك يعمل منذ العام ١٩٣٦ وحتى تاريخ تأميمه بعد أقل من ثلاثين عاماً على افتتاحه، وتغيَّر اسمه إلى «بنك النيل».

حَقَّق إيلي موصيري مكانة مرموقة في عالم المال والأعمال في مصر، وكان قد درس الاقتصاد في إنجلترا وتزوج من ابنة فيلكس سوارس. وكانت تربطه علاقات وثيقة بإسماعيل صدقي، كما كانت له مصالح عديدة في فرنسا وعلاقات وثيقة ببيوت المال الأوروبية اليهودية مثل بيوت: روتشيلد، ولازار، وسليجمان، كما كان يمثل المصالح الإيطالية في مصر.

يُذكر أن عائلة موصيري أسهمت في تأسيس «مصنع سيجوارت للمواسير والأعمدة» عام ١٩٢٧، وكان المصنع يُصنَع المواسير، والأعمدة الحديدية، والأسمنت المسلح والمضغوط، وألواح الاسبستوس المضلعة والمسطحة، وأيضاً الطوب الحراري، وكان رئيس مجلس إدارته هو موريس نسيم يوسف موصيري. كما أسست عائلة موصيري شركة «مصانع النحاس المصرية» وشارك في إدارتها فيلكس نسيم موصيري وهنري موصيري وسيجموند هيرش. كما شاركت عائلة موصيري عائلة قطاوي في تأسيس «الشركة المساهمة للمحاريث والهندسة الزراعية»، وتشكل مجلس إدارتها من أصلان قطاوي رئيساً، وعضوية رينيه قطاوي، وهنري موصيري، وفيلكس موصيري، وموريس كوريبيل. كذلك دخلت عائلة موصيري في مجال النقل والمواصلات، فشاركت في تأسيس وإدارة «شركة ترام الإسكندرية البلجيكية»، ثم «شركة ترام الرمل الإنجليزية» اللتين حققتا نجاحاً كبيراً وأرباحاً وفيرة في الفترة بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٥٢. وأسست العائلة أيضاً «شركة ترام القاهرة البلجيكية»، وكان كل من موريس نسيم موصيري، وهنري موصيري، وجويدو موصيري أعضاءً في مجالس إدارات هذه الشركات، كما أسهمت عائلة موصيري في تأسيس وإدارة «شركة سكك حديد الفيوم» (101).

وأسس جوزيف (يوسف) نسيم موصيري شركة «جوزي فيلم» للسينما عام ١٩١٥ والتي أقامت وأدارت دور السينما في القاهرة والإسكندرية والسويس وبورسعيد، واستوديو للإنتاج السينمائي وتحولت إلى واحدة من أكبر الشركات العاملة في صناعة السينما المصرية. جاك موصيري، أحد أبرز الصيارفة في مصر، تولى بدوره رئاسة «الاتحاد الصهيوني» -الذي ضم الروابط والجمعيات الصهيونية العاملة في مصر- في عام ١٩١٦، لكنه استقال لاحقاً في عام ١٩١٨، ليفقد الاتحاد سيطرته على فروع⁽¹⁰²⁾. أما فيكتور موصيري (١٨٧٣-١٩٢٨)، فكان مهندساً زراعياً مرموقاً وكانت له إسهامات مهمة في مجال زراعة القطن وصناعة السكر.

يُذكر أنه منذ البواكير الأولى لعصر السينما، استطاع اليهود احتواء أدواتها، ودخلوا في مجالات التوزيع والإنتاج وشركات المعدات السينمائية، فأنشأوا «شركة التياترات المصرية» عام ١٨٩٧، بالشراكة بين سبعة يهود وخمسة من اليونانيين، وكان اليهود من عائلات منشئه ورولو وسوارس وريينو. وكما أسسوا «شركة النور والكهرباء»، بشراكة بين عائلات: قطاوي، وسوارس، وموصيري، وأسمالون، تكونت شركة لاستيراد مستلزمات السينما؛ إذ استطاعت عائلة كوريبيل وعائلة موصيري أخذ توكيلات عالمية لشركات: «كلفينيتور»، و«يورك» لتكييف الهواء. واستورد مستثمرون يهود آلات العرض والكشافات وأجهزة الصوت والمقاعد، ففي عام ١٩١٨ تأسس «توكيل غرين التجاري» لصاحبه جاك غرين في القاهرة والإسكندرية لاستيراد وتوزيع آلات العرض والشاشات الضخمة. وانتشرت بمساعي الطائفة أجهزة التصوير «فيليبس»، و«وسترن إليكتريك»، و«كوداك».

وتأسست عام ١٩٢٨ شركة «إخوان بوليتي» لأصحابها: إيلي، وإيزاك، ورف بوليتي، التي نشطت في تأسيس دور العرض الفاخرة في القاهرة والإسكندرية. وامتلك اليهودي سولي بيانكو دور عرض من الدرجة الأولى في وسط البلد مثل «ميامي»، و«فمينا»، وكان الموزع الوحيد لإنتاج «شركة إيغل ليون» الأمريكية في الشرق الأوسط. أما أرمان جيرار، اليهودي ذو الأصول الفرنسية، فقد أقام أكثر من ١٠ دور للعرض السينمائي في أحياء القاهرة الشعبية، مثل: روض الفرج، السيدة زينب، الظاهر، الخليج المصري، القلعة. وامتلك المليونير يوسف عاداه سينما «راديو» في حارة علي الكسار بشارع عماد الدين، في حين أقام أرمان بوهاالوفيتش سينما من الدرجة الثالثة في السبتية هي «سينما السبتية».

وكان إيلي لظفي هو ملك السينمات في الإسكندرية؛ إذ امتلك ١٢ دار عرض، مثل: «ريو» (الصيفي والشتوي)، والهمبر، وركس، وريس، وستار، وقيس، وكليوباترا، وكونكورديا، وليدو، وماجستيك (صيفي وشتوي). وكان اليهود أول من جعل بلاد الصعيد والفلاحين تتعرف على دور العرض، فقد امتلك دافيد دانييليان ٥ دور للعرض في جرجا، وبني مزار، والأقصر، وامتلك إيزادور ليفي دور عرض في المنيا، ومغاغة، والسويس، وجوزيف غرونشتين امتلك سينمات

تحمل أسماء «الدلتا»، و«ميت غمر»، و«الشعب» في كفر الدوار، و«هرمس» في كفر الزيات، و«الأهلي» في دمنهور.

وفي العام ١٩٠٦ تأسست «الشركة المصرية للإعلان»، بشراكة بين أربعة يهود من عائلات قطاوي وفيشر وثلاثة أجنبي، كما تأسست «شركة الإعلانات الشرقية» على يد اليهودي حكيم، وكانت امتدادًا للشركة المصرية للإعلان، وسواء هذه أو تلك فقد تحكمتا في إعلانات جميع الصحف والمجلات، واحتكرتا عرض الإعلانات على واجهات الشوارع والميادين، وإعلانات دور السينما المصرية والأجنبية على السواء(103).

واشتركت عائلات يهودية أيضًا في تأسيس الشركات العقارية الكثيرة التي أقيمت في إطار مبيعات أراضي الدائرة السنية، ثم في إطار الحجوزات العقارية بعد تراكم الديون على كبار وصغار الملاك المصريين؛ نتيجة انخفاض الطلب على القطن المصري. وقد تأسس أكثر هذه الشركات في الفترة ما بين عامي ١٨٨٠ و١٩٠٥، وقامت بامتلاك الأراضي واستغلالها وإقامة المشروعات العقارية والصناعية عليها وكذلك المضاربة فيها لتحقيق تراكم سريع لرأس المال.

ومن أهم هذه الشركات شركة أراضي الشيخ فضل، وشركة وادي كوم أمبو التي تأسست في ٢٤ مارس ١٩٠٤ بامتياز مدته ٩٩ عامًا، ورأسمال ٣٠٠.٠٠٠ جنيه إسترليني، وكان كبار المساهمين السير إرنست كاسل، والسير إلوين بالمر، والخوارج سوارس إخوان وشركاهم، وفيلكس سوارس، ورافائيل سوارس، ويوسف أصلان قطاوي بك، وروبيرس رولو. امتلكت هذه الشركة ٣٠.٠٠٠ فدان في كوم أمبو، بخلاف ٢١.٠٠٠ فدان وشقت ٩١ كيلومترًا من المصارف والترع و٤٨ كيلومترًا من السكة الحديد.

كذلك برزت شركة مساهمة البحيرة، التي تأسست في يونيو ١٨٨١ برأسمال ٧٥٠.٠٠٠ جنيه مصري وامتلكت ١٢٠ ألف فدان.

ويمكن تقدير مدى مساهمة أعضاء الجماعات اليهودية في مصر في الشركات والقطاعات الاقتصادية المختلفة من خلال عضويتهم في مجالس إدارة الشركات المساهمة التي سيطرت على أهم قطاعات الأعمال في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر. وتشير بعض الإحصاءات إلى أن اليهود احتلوا ١٥.٤٪ من المناصب الرئاسية و١٦٪ من المناصب الإدارية عام ١٩٤٣، وانخفضت هذه النسبة إلى ١٢.٧٪ و١٢.٦٪ عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨، وإلى ٨.٩٪ و٩.٦٪ عام ١٩٥١. وتشير إحصاءات أخرى إلى أن نسبة اليهود في مجالس إدارة الشركات المساهمة كانت ١٨٪ عام ١٩٥١. والواقع أن هذه نسب مرتفعة إذا ما قورنت بنسبتهم لإجمالي السكان والتي بلغت عام ١٩٥٠ نحو ٠.٤٪ فقط(104).

ويمكن القول: إن اليهود في مصر استطاعوا تحقيق مكاسب اقتصادية كبيرة بلغت أقصاها في الفترة من ١٩٤٠ وحتى ١٩٤٦ في الوقت الذي كان الاقتصاد العالمي يعاني فيه ركودًا نتيجة

ظروف الحرب العالميّة الثانية. واستطاع يهود مصر أن يصبحوا أغنى طائفة يهوديّة في الشرق الأوسط، ولم يتأثروا بالاتفاق في مؤتمر مونترال في سويسرا على الإلغاء التدريجي للامتيازات الأجنبيّة عام ١٩٣٧ أو انخفاض معدلات الهجرة إلى مصر، أو حتى صدور قانون الشركات رقم ١٣٨ في يوليو/أغسطس ١٩٤٧ لتنظيم الشركات المساهمة.

فقد تأقلمت البرجوازيّة اليهوديّة مع المتغيرات المختلفة، وحرصت على اكتساب الجنسيّة المصريّة بعد البدء في إلغاء الامتيازات الأجنبيّة (١٩٣٧)، حيث كانت نسبة حاملي الجنسيّة المصريّة من اليهود في عام ١٩٢٧ حوالي ٥٠٪، ارتفعت، في عام ١٩٣٧، إلى ٦٤٪، وقفزت إلى ٧٧٪، مع إصدار قانون ١٣٨ لسنة ١٩٤٧ المنظم للشركات، الذي نص على أنه لا بدّ أن يكون ٧٥٪ في الإدارة العليا للشركات من المصريين، و ٩٠٪ من العمالة من المصريين؛ بهدف «تمصير الشركات».

بالإضافة إلى قانون ١٩٩ لسنة ١٩٤٩، وقانون ١٤٦ لسنة ١٩٥٠، وإلغاء «الامتيازات الأجنبيّة»، بشكل فعلي، عام ١٩٤٩ (105).

وحتى العائلات اليهوديّة الشرقيّة التي هاجرت إلى مصر منذ منتصف القرن التاسع عشر -مثل: شملا، وشيكوريل، ودويك، وحاييم، ومزراحي، ونجار، وبتشوتو، ورومانو، وستون، وشالوم، وسموحة، وتوريل، وهانو، وأوروزدي باك، وغانينيو، وسيمون أرت، وكوهينكا أصحاب الصالون الأخضر- استطاعوا كلهم أن يصبحوا من كبار الأغنياء بعد فترة قصيرة من النشاط التجاري؛ إذ امتلكوا جميع متاجر وسط المدينة ما عدا صيدناوي (106).

لكن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ كان له أثره في تحديد دور طائفة اليهود في مصر. ورغم محاولات بعض اليهود تأكيد ولائهم لمصر، فإن الحاجز النفسي بين عامة المصريين واليهود في مصر أخذ يكبر، في ظل التطورات السياسيّة التي أعادت تشكيل خارطة المنطقة. نشير هنا إلى قائمة يعود تاريخها إلى عام ١٩٤٨، تحمل عنوان: «كشف بأسماء أعيان الطائفة الإسرائيليّة بالقاهرة المتبرعين للترفيه عن جنود الجيش المصري»، واللافت للنظر من عنوان القائمة استخدام كلمة «الطائفة الإسرائيليّة» وليس اليهوديّة، وهو لقب كان مستعملاً حتى أربعينيّات القرن العشرين، ولكن بشكل نسبي. والمقصود بكلمة «الترفيه» هي المساهمة في شراء المؤن والمواد الغذائيّة للجيش المصري.

تتضمن القائمة ١٧٩ متبرعاً من اليهود المصريين يمثلون نخبة وجهاء ورجال أعمال الطائفة. ويتصدر القائمة داوود عدس وولده وتبرعا بمبلغ ألفي جنيه، يليه نحو ٥ شركات وبنوك أخرى تبرعت بالمبلغ نفسه، وهي إميل نسيم عدس، وبنك زلخة، وبنزايون وأوبرا مينو ليفي، وشركة التسليفات التجاريّة ومحال شيكوريل الكبرى. كما تضم القائمة أسماءً أخرى لأثرياء اليهود المصريين مثل محالّ: شملا، الكبرى، وجاتينيو، وعدد من الجمعيات الخيريّة، منها الجمعيّة

الخيرية لتوزيع الخبز على الفقراء، والجمعية الخيرية الإسرائيلية «الأشكنازية» (107).

كانت مصر في القرن الثامن عشر تستقبل الكثير من رعايا الدول الأجنبية، الذين وجدوا فيها فرصاً للعمل لم تتوافر لهم في بلادهم، ومن بين هؤلاء كان اليهود الأشكناز، (الفرنسيون أو الإنجليز أو الألمان)، وغيرهم ممن كانوا يؤمنون باليهودية كديانة، وهكذا حضر الأشكناز بثقافتهم الصهيونية إلى مصر لتكون خطوة في طريقهم إلى فلسطين.

ويرى د. عبدالوهاب المسيري أن السفارد والأشكناز كانوا ينظرون إلى يهود مصر المستعربة بشيء من التعالي. كما كان السفارد يشيرون إلى الوافدين الجدد من الأشكناز على أنهم «شاحات»؛ أي «الذباح»، وتُفهم الأشرار؛ بسبب تورط عدد كبير منهم في الأنشطة المشبوهة، وخصوصاً الدعارة، وقد كانوا ينظرون إليهم بقدر كبير من التعالي. وهذه المواقف كانت في معظم الأحوال انعكاساً لمواقف مشابهة في المجتمع وسائدة بين أعضاء الأغلبية (108).

فكرت الحركة الصهيونية العالمية في الضغط على اليهود المصريين لتسخير بعض استثماراتهم في مصر من أجل دعم مخططاتهم، وهذا ما أكده هرتزل نفسه في حوار دار بينه وبين ألبرت موصيري أحد أقطاب الحركة الصهيونية في مصر؛ إذ قال: «ونظرًا لأنك من بلد متاخم لفلسطين، فإنك ويهود مصر وسوريا ويهود الشرق بصفة عامة تستطيعون أن تسهلوا مهمتنا بأن تعملوا كوسطاء بيننا وبين أهل البلاد. إنكم تخدمون القضية القومية» (109).

الخطوة الأولى للحركة الصهيونية في مصر، رغم ضعفها، كانت في نهاية عام ١٨٩٧ حينما أسس «جوزيف ماركو باروخ»، بعد عام واحد من قدومه إلى مصر، أول جمعية صهيونية من مجموعة قليلة من اليهود «الأشكناز»، القادمين من أوروبا، أطلق عليها جمعية «باركوخبا الصهيونية». كانت مهمة هذه الجمعية -ومقرها في حي الموسكي- تجنيد الأعضاء الجدد، وجمع الأموال، وتمثيل مصر في الاجتماعات الصهيونية المختلفة، والترحيب بالشخصيات اليهودية الأجنبية (110).

وحرص باروخ إبان إقامته في مصر على الترويج للفكرة الصهيونية في أوساط اليهود، فدعا إلى هذه الفكرة في الشوارع والمقاهي (مثل مقهى «يونيفرسال»)، والمعابد والمنديات، والمؤسسات اليهودية المختلفة، وكان من بين الأفكار التي دعا إليها باروخ العودة إلى جبل صهيون، واحتلال فلسطين بالقوة، وتدريب اليهود تدريباً عسكرياً حتى يصبح بمقدورهم أن يشكّلوا في الوقت المناسب نواة الجيش اليهودي (111).

نشطت جمعية «باركوخبا» في الدعوة للحركة الصهيونية، وامتدت فروعها إلى الإسكندرية، وبورسعيد وطنطا، والمنصورة، وارتفع عدد أعضائها إلى ٣٦٠ عضواً في عام ١٩٠٢، وافتتحت في عام ١٩٠٠ مدرسة صهيونية بلغ عدد الدارسين فيها ٣٠٠ تلميذ في عام ١٩٠١. وحُلّت هذه الجمعية في عام ١٩٠٦؛ بسبب انقسامات داخلية. توالى بعد ذلك إنشاء الجمعيات الصهيونية،

خاصة بعد زيارة تيودور هرتزل لمصر، مثل جمعية «ليثيريز هيراي» في عام ١٩٠٥، وجمعية «سيونسي موارح» (١٩٠٦)، وجمعية «أفاهات زيون» (١٩٠٦)، وجمعية «فادهامير كازهازيوني» (١٩٠٩)، وجمعية «يالدي زيون» (١٩١٢)، و«دائرة جيف» (١٩١٢)، وجمعية «يالدي هرتزل» (١٩١٣). وفي الإسكندرية، ظهرت جمعيات «تيكفات زيون» (١٩٠٤)، و«بوعالي زيون» (١٩٠٦)، و«بن زيون» (١٩٠٦).

وفي عام ١٩٠٨، تبنّت جمعية «بن زيون» (أو «بن صهيون») في الإسكندرية، برنامج المؤتمر الصهيوني الأول، الذي عُقد في بازل بسويسرا ١٨٩٧، وفي عام ١٩١٠ اندمجت هذه الجمعية مع جمعية صهيونية أخرى هي «زيرزيون» التي أنشأها المهاجرون الروس في عام ١٩٠٩ (112).

يُذكر أنه في ٢٢ أكتوبر ١٩٠٢، التقى تيودور هرتزل بوزير المستعمرات البريطاني جوزيف تشمبرلين، ودار حديث بينهما حول إمكانية توطين اليهود في إحدى المستعمرات البريطانية، ومنها العريش وسيناء في مصر. وظهرت فكرة اختيار سيناء أثناء المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في بازل السويسرية عام ١٨٩٧، والذي بحث فكرة تأسيس وطن قومي لليهود؛ استنادًا إلى الكتاب الذي وضعه هرتزل عام ١٨٩٦ ومنحه اسم «دولة اليهود». وبعد اجتماع آخر مع وزير الخارجية البريطاني ماركيز لانسدو (هنري بيتي فيتز موريس)، بادر هرتزل بالسفر إلى مصر، أواخر مارس ١٩٠٣، واجتمع بالمندوب السامي البريطاني اللورد كرومر مرتين لاستطلاع حقيقة موقفه وموقف الحكومة المصرية من «مشروع العريش» (113)، وكان واضحًا أن ردود فعل كرومر كانت فائقة وغير مشجعة.

لكن كرومر عرض على هرتزل إعطاء اليهود قطعًا من الأراضي المتفرقة، إلا أنه أبدى استحالة إعطائهم أرضًا متصلة بالشكل الذي توقعه الصهيوينيون في بادئ الأمر، وأوضح كرومر أن هذا هو أقصى ما يمكن لليهود الحصول عليه في «الوقت الحاضر» (114).

في أثناء وجوده في القاهرة، اطّلع هرتزل على مسودة النتائج التي توصلت إليها لجنة الخبراء الصهيونية المكلفة دراسة المشروع، وكان مما ورد فيها أن «المنطقة بوضعها الحالي غير ملائمة إطلاقًا لسكن مستوطنين من الدول الأوروبية» (115). اتصل هرتزل، أثناء وجوده في مصر، ببعض زعماء الحركة الوطنية فيها؛ بغية كسب تأييدهم عن طريق كيل الوعود لهم بالمساعدات المالية في أعقاب تأسيس دولة يهودية في المنطقة، ولكنه فشل في مسعاه الذي جلب عليه بالإضافة إلى ذلك استياء كل من كرومر وأعضاء الحكومة المصرية، فلم يجد مفرًا من مغادرة مصر.

لاحقًا، تلقى هرتزل برفقة تفيد برفض كرومر والحكومة المصرية للمشروع؛ بحجة تعذر تأمين كمية المياه اللازمة للمشروع، فضلًا عن أن نصب المضخات على القناة يقتضي إيقاف سير السفن فيها لعدة أسابيع (116).

غير أن المخططات والأنشطة الصهيونية ظلت تضع عينها على مصر. فقد نشطت الصهيونية في مصر بشكل كبير بحكم تدفق اللاجئين من تركيا خلال الحرب العالمية الأولى وسعى فلاديمير جابوتسكي إلى إنشاء قوة مسلحة؛ بهدف استخدامها في المساومة السياسية مع بريطانيا.

تمثلت أهم أنشطة المنظمات الصهيونية في تمويل وتدريب الفيلق اليهودي المعروف باسم «فرقة البغالة»، والتي شكّلت إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى كجزء من القوات البريطانية المقاتلة، حيث كانت الفرقة التي ضمت ٥٠٠ متطوع، منهم ٣٥٠ من يهود فلسطين، و ١٥٠ من يهود الإسكندرية⁽¹¹⁷⁾، تتلقى تدريبات في معسكر القباري بالإسكندرية، وساهم في تمويلها عدد من كبار التجار اليهود في مصر؛ فيكتور نجار ورافائيل هراري ومنسى وغانينيو، وغيرهم، ثم شكّلت الكتيبة رقم ٤٨ بقيادة ضابط يهودي متصهين⁽¹¹⁸⁾.

ويمكن القول: إن مواقف اليهود في مصر لم تكن سلبية على طول الخط تجاه النشاط الصهيوني. فعندما صدر وعد بلفور، أقامت المنظمة الصهيونية حفلاً بمدينة الإسكندرية، حضره محافظ المدينة حينها أحمد زيور باشا وكبار رجال المجتمع اليهودي، واختتم بكلمة لجاك موصيري رئيس المنظمة، ولا يوجد معلومات عن عدد الحضور في هذا الحفل⁽¹¹⁹⁾، ولكن يتوفر لدينا معلومات عن حفل آخر أقيم تحت رعاية اللجنة المركزية لمنظمة الصهيونيين يوم ١١ نوفمبر ١٩١٧، حضره جمهور غفير تراوح بين سبعة آلاف وثمانية آلاف فرد، وحضره أيضاً زيور باشا ووفود تمثل ٢٠ منظمة مختلفة في مصر وفلسطين، وحضره كذلك ديلا برجولا Della Peggola حاخام الإسكندرية⁽¹²⁰⁾.

توالى إنشاء الجمعيات الصهيونية، وكانت الغالبية العظمى من أعضائها من «الأشكناز» الذين حضروا بهدف خدمة الصهيونية، حتى وصل عددها عام ١٩١٧ إلى ١٤ جمعية صهيونية في مصر، من بينها «صندوق غوث اليهود في فلسطين» الذي أسسته طائفة يهود الإسكندرية عام ١٩١٧.

وبرز اسم «ليون كاسترو» (أحد قيادات حزب الوفد المصري)، عندما أسس في عام ١٩١٨ فرعاً للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر، وتعدّى نشاطها الأعمال الدعائية إلى تسهيل عمليات الهجرة إلى فلسطين، بالإضافة إلى إصدار الصحف الصهيونية والمسيرات المؤيدة للفكر الصهيوني، كالمسيرة التي تعدى قوامها ٣ آلاف شخص تحية لوعده بلفور.

أخذت تلك المنظمات والمؤسسات الصهيونية تصف أبناء الطائفة اليهودية في مصر بالضيوف الذين لا يمكن لهم أن يستقروا أو تهدأ خواطرهم إلا في دارهم. ونشطت الحركة الصهيونية بين صفوف الطبقات الفقيرة من يهود مصر، وأخذت الدعاية الصهيونية تقدمهم بالرخاء الاقتصادي والديمقراطية والتسامح وحرية الرأي في دولتهم الموعودة؛ ولأن طائفة اليهود في مصر تمتعت

بتسامح ديني وحرية واسعة ودعم حكومي، فلم تكن الحكومة المصرية تتدخل في شؤون تلك الطائفة⁽¹²¹⁾، وقد ساهم ذلك في تنامي ظاهرة النشاط الصهيوني في مصر. قوبل النشاط الصهيوني في بداية الأمر بشيء من اللامبالاة من الحكومة، وعلماء المسلمين، وعامة الشعب المصري؛ ربما لعدم معرفتهم بالنيات الخطرة لذلك المشروع العالمي الذي يخطط لجمع اليهود من كل أنحاء العالم وتوطينهم في فلسطين⁽¹²²⁾.

الشاهد أن المنظمة الصهيونية في مصر نجحت بالفعل في إقناع المصريين بأنه لا فرق بين وطنيتهم المصرية والحركة الصهيونية، فعندما زار «حاييم وايزمان» مصر على رأس بعثة صهيونية كانت مسافرة إلى فلسطين ١٩١٨، تم استقباله بحفاوة بالغة من قبل أعضاء المنظمة الصهيونية في مصر، كما استقبله شيخ الأزهر آنذاك، وتبرع بـ ١٠٠ جنيه مصري للمنظمة الصهيونية. هذا طبقاً لما نشر في جريدة «المصري اليوم» تحت عنوان: «أمل سرور وأحمد بلال، الحركة الصهيونية في مصر بدأت عام ١٨٩٧.. والطلاب اليهود أسسوا لجنة لمناهضتها». في القاهرة، ١٩ مارس ٢٠١٠.

ومرة ثانية، وصل إلى القاهرة في نهاية ديسمبر ١٩٢٢، حاييم وايزمان والكولونيل كيشي، وكان في استقبالهما خمسة آلاف يهودي، وحمل اليهود وايزمان على أكتافهم، واحتقت به حشودهم احتفاءً حماسياً، وكانت هذه الحشود تدفع السيارة التي تقل وايزمان وجوزيف شيكوريل رئيس الاتحاد الصهيوني، وتُنشد وتهتف لوايزمان «يحيا وايزمان، تحيا الصهيونية، يحيا هيربرت صمويل»⁽¹²³⁾.

ونجح جاك موصيري في تلك الفترة في ضم المزيد من اليهود إلى صفوف «الاتحاد الصهيوني»، والحصول على تأييد قادة الطائفة الأشكنازية والسفارديّة في مصر. أما في الإسكندرية فقد بدأت «اللجنة العاملة لصالح أرض إسرائيل» منذ عام ١٩١٨ في ممارسة أنشطتها، وساهمت هذه اللجنة منذ العشرينيات في نقل الآلاف من مهاجري أوروبا إلى فلسطين، وضمت هذه اللجنة في صفوفها عدداً كبيراً من وجهاء المدينة⁽¹²⁴⁾.

ورغم الحظر الكامل لصندوق «اليشوف» Yidhfv من أجل فلسطين، والذي مرّ من خلال الحاخام حاييم ناحوم في فبراير ١٩٣٠، فإن جمع الأموال للصندوق القومي اليهودي استمر بصورة سرية تحت عناوين مختلفة⁽¹²⁵⁾.

وجمع يهود الإسكندرية في عام ١٩٣٣ مبلغ ١٥ ألف جنيه لشراء أراضٍ في فلسطين، كما نظمت المنظمة الصهيونية في الإسكندرية وسائل مختلفة لجمع الأموال؛ لمساعدة التنظيمات اليهودية القائمة في فلسطين⁽¹²⁶⁾.

ومع تنامي الوعي القومي وتطور أحداث القضية الفلسطينية، وخاصة خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩)، وتزايد حدة الاغتيالات السياسية من قبل المنظمات الصهيونية في

فلسطين، بدأت تتضح مقاصد الحركة الصهيونية، وأصبح في مصر رد فعل رسمي وشعبي تجاه النشاط الصهيوني، وبدأت المظاهرات المؤيدة للصهيونية تُقابل بمظاهرات مضادة لها.

وعن مدى انتشار الفكر الصهيوني بين اليهود في مصر «ومن بينهم اليهود المصريون»، يرى الباحث الإسرائيلي «إيتان شوارتز» في بحثه «الحركة الصهيونية في مصر وضعفها»، وهو البحث الفائز في المسابقة البحثية عن اليهود في مصر، عام ٢٠٠٩، والتي ينظمها «مركز أبحاث تراث يهود مصر»، في إسرائيل، أنه «حتى الحرب العالمية الثانية عانت الحركة الصهيونية في مصر من ضعف تنظيمي ودعم قليل من الطائفة اليهودية المحلية». وأضاف «إيتان» أن «معظم الباحثين يتفقون في أنه حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى ونهايتها تميزت الأنشطة الصهيونية في مصر بمحيط محدود، وانقسام بين العناصر القليلة التي عملت في الإطار الصهيوني، من وجهة نظر مؤسسية قامت في القاهرة والإسكندرية ومؤسسات صهيونية عملت في جمع تبرعات من أجل إسرائيل واستقبال مبعوثين صهاينة، ولكن هذه المؤسسات اتسمت بضعف التنسيق وانعدامه» (127).

وأكد «إيتان» في بحثه أن هناك عقبة أخرى وقفت في وجه الأنشطة الصهيونية في مصر فيقول: «باستثناء عدد من الأحداث الفردية، التي أحس معها أبناء الصفوة السفارديّة بتعاطف مع الأهداف الصهيونية، كان معظم اليهود الأشكناز الذين كانوا من أبناء الطبقة الوسطى والفقيرة يمثلون قلب المجموعة الصهيونية، مع اليهود السفارديم المنتمين للطبقات الدنيا»، وأضاف: «في مقابل الموقف السياسي، والاجتماعي والاقتصادي القوي لجزء كبير من يهود مصر، اتسم موقف الحركة الصهيونية وقياداتها بعدم احترام تجاههم، وتحليل كتابات رؤساء الحركة الصهيونية يكشف غطرستهم تجاه الطائفة» (128).

مع ذلك، فإن باحثين مثل صموئيل أتينجر يقرون بأن يهود مصر كانوا بمنزلة حلقة وصل مهمّة عند تحويل الأموال إلى المستوطنين اليهود قبل العام ١٩١٧ (129).

ونشطت الحركة الصهيونية بين اليهود في مصر من خلال نوادي المكابي، التي تم إنشاؤها لتربية الشباب اليهود تربية صهيونية، إلا أن الصهيونية قويت شوكتها في مصر إبان حكم الفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا، وتم تشكيل هيئات يهودية بدعوى مكافحة النازية، إلا أنها كانت تحمل بين طياتها الدعاية الصهيونية، في محاولة لخداع اليهود المصريين بشكل خاص، المصريين ككل بشكل عام بالفكرة الصهيونية بشكل غير مباشر، بالإضافة إلى عدد من الصحف الصهيونية التي تم تأسيسها لترويج الفكر الصهيوني.

ووصل إلى مصر منذ العام ١٩٤٠ الآلاف من الجنود اليهود الذين كان من بينهم بعض المنخرطين في الحركة الصهيونية، وذوو الخبرة في تنفيذ المهام التي كانت تُلقى على عاتقهم من قبل قادة الاستيطان اليهودي، والخاصة بمخاطبة يهود الشتات. أجرى هؤلاء المبعوثون اتصالات عديدة مع فئات المجتمع اليهودي كافة في مصر بما فيها الطبقة الثرية التي لم يُبدِ أبناؤها حتى ذلك

الحين قدرًا كافيًا من الاهتمام بالنشاط الاستيطاني في فلسطين. انضم إلى هؤلاء الجنود في صيف عام ١٩٤٣ مبعوثو الوكالة اليهودية، والمؤسسة التي تولت تنظيم الهجرة اليهودية الثانية إلى فلسطين، الذين تلقوا قبل مجيئهم تدريبًا خاصًا للتعرف على طبيعة مهامهم التي تمثلت في تأسيس حركات شببية طلائعية، وانضم خلال الفترة (١٩٤٤ - ١٩٤٨) ما يقرب من ١٥٠٠ يهودي إلى الحركات الصهيونية العاملة في كل من القاهرة والإسكندرية وبورسعيد.

وكانت العائلات اليهودية تقيم حفلات في منازلها للمجندين وتدعم مبادئ الصهيونية، فعائلة يعقوب وايزمان وهو من أبرز أنصار المنظمة الصهيونية العالمية، وكان يعمل مديرًا لشركة «شل»، اعتاد أن يقيم في منزله حفلاً أسبوعيًا يدعو إليه عددًا من اليهود المجندين، وعائلة دافيد التي كان يقيم عميدها الصيدلاني صاحب «صيدلية مظلوم» بميدان العتبة، حفلات مستمرة يستقبل فيها المجندين وتدعو للمناقشات السياسية حول القضية الصهيونية، وعائلة الدكتور إنجيل التي كانت تقيم بحي الزمالك، استضافت اجتماعات تهدف إلى جمع التبرعات واستمالة اليهود المصريين إلى الصهيونية. وأعطت أميرة مصرية وهي نازلي حليم مزرعتها على طريق المنصورية لتكون معسكرًا لتدريب شباب «هشومير هتسعير» (الحارس الشاب) (130).

كانت هذه الحركات الصهيونية مقسمة على النحو التالي:

١ - حركة «الرائد الصغير» التي انقسمت في عام ١٩٤٧ إلى حركتين متنازعتين فيما بينهما، وهما «البناء» وحركة «درور» (الحرية).

٢ - حركة «العبري الصغير»، وتأسست هذه الحركة في عام ١٩٣٢، وكانت أفكارها شببية بفكر منظمة الشببية الصهيونية «هشومير هتسعير».

٣ - حركة «بيتار» التي اضطرت لوقف أنشطتها بعد اغتيال اللورد موين عام ١٩٤٤. وفي اجتماع عقده «اتحاد المنظمات الصهيونية في مصر»، واستضافه في بيته تاجر القطن المعروف في الإسكندرية «ألبير روزانو»، خلال شهر فبراير عام ١٩٤٤، قال ديفليكس ألتمان الذي أصبح رئيسًا للاتحاد، إن: «الوقت قد حان لقيام دولة اليهود في فلسطين، وإذا فشلنا في تحقيقها سلمًا فإننا سوف نحققها حربًا» (131).

أعيد في عام ١٩٤٥ تأسيس «الاتحاد الصهيوني المصري» الذي تولى رئاسته ليون كاسترو - وأميل نجار، ويعقوب وايزمان، ومارس هذا الاتحاد أنشطته بشكل قانوني. وشهدت الطائفة اليهودية في مصر إبان الفترة نفسها تزايد حدة التوتر بين أتباع الحركة الصهيونية وبين قيادة المؤسسة اليهودية التقليدية التي طالبت بوقف أنشطة حركات الشببية، والجنود العبريين، ومبعوثي الاستيطان اليهودي في مصر الذين نشطوا في مجال تهجير اللاجئين اليهود الذين قدموا من أوروبا إلى مصر، ويهود مصر إلى فلسطين (132).

بدأت أنشطة هؤلاء الجنود تتوقف تدريجيًا مع تزايد معدل تسريح الجنود البريطانيين من

الخدمة وعودتهم إلى أوطانهم، ومع هذا تجدر الإشارة إلى أن السلطات المصرية لم تُصدر حتى العام ١٩٤٨ أي قانون يقضي بحظر الأنشطة الصهيونية.

يتعين القول: إن الحركة الصهيونية حرصت على تنظيم دعاية مكتوبة ومقروءة ممثلة في صحف ومجلات بغرض التأثير على الرأي العام، محلياً وإقليمياً وعالمياً (133).

ويمكن الإشارة إلى صحيفة «الحقيقة» التي صدرت في الإسكندرية، وكانت أول الصحف المعنية بتناول المسائل اليهودية، فمنذ صدور عددها الأول بدأت في نشر قصة سلسلة امتدت إلى عشرين عدداً عنوانها: «السلسيل في أسرار بني إسرائيل»، وتحدثت هذه القصة عن الاضطهاد والعنف اللذين يتعرض لهما اليهود في الشتات بعيداً عن أرض آبائهم!

اهتمت «الحقيقة» كذلك بنشر أخبار اليهود سواء في مصر أو العالم الخارجي، وكتبت عن الإسرائيليين في إفريقيا وفرنسا وأمريكا اللاتينية.

وإذا كانت صحيفة «الحقيقة» هي أول صحيفة تعنتي بالشأن اليهودي في مصر، فإن صحيفة «نهضة إسرائيل» هي أول صحيفة تحمل اسم «إسرائيل» في الأساس، وصدرت في العام ١٨٩٠ بدون رخصة رسمية، وكانت تنشر مباحث دينية وتاريخية يهودية، ولما رأى حاخامات الطائفة اليهودية في القاهرة، وبعض من عقلائها وأعيانها، أن هذه الصحيفة قد ينشأ عنها بعض المخاطر التي قد تحرق بهم كطائفة، توجهوا بأنفسهم إلى نظارة الداخلية ملتجئين لإغلاقها، وبالفعل حدث هذا (134).

بدأ اسم الصهيونية يتوغل في الإصدارات، فأصدرت جمعية «باركوخبا» صحيفة أسموها «الرسول الصهيوني»، وكانت أول صحيفة تحمل اسم «صهيون»؛ بل كانت أول صحيفة ناطقة باللغة الفرنسية، تهتم بالشأن اليهودي.

صحيفة «الرسول الصهيوني» صدرت في عام ١٩٠١، باللغة الفرنسية، وهو توجه بدأت تنتهجه الطائفة اليهودية في مصر خلال هذه الفترة لأسباب متعلقة بموقفهم داخل المجتمع المصري المسلم الراض لفكرة إقامة دولة إسرائيلية في فلسطين، ثم ظهرت كذلك صحيفة «ceve Idcaeliæ» أو «المجلة الصهيونية»، و«d'egyæ» أو «المجلة الإسرائيلية في مصر»، وكذلك le ceve dionidæ أو «المجلة الصهيونية»، وكان ظهور صحيفة «المصريين» - المصري - للناشر اليهودي إسحق كارمونا، حلقة مفصلية في حركة الدعاية الإسرائيلية في مصر؛ لأنها كانت أول صحيفة تصدر باللغة العبرية.

في أوائل عام ١٩٢٠ صدرت في القاهرة صحيفة «إسرائيل»، بلغات ثلاث «عربية وعبرية وفرنسية»، وكان صاحبها هو الطبيب اليهودي ألبرت موصيري، وقد صدرت الرخصة باسم موسى قطاوي باشا، رئيس الطائفة آنذاك، وكانت تشير إلى أنها صحيفة دينية، ولكن المادة التي كانت تنشرها، لم تكن ذات اتجاه ديني.

وفي الفترة من ١٩٢٠ وحتى منتصف الأربعينيات تقريباً واصل اليهود في مصر إصدار بعض

الصحف والمجلات، ولكنها كانت ذات تأثير محدود، باستثناءات قليلة ومنها صحيفة *la liberte* أو «الحرية»، والتي رغم سنوات صدورها المحدودة (٣ سنوات ونصف السنة تقريباً) فإنها تظل أكثر الصحف اشتباكاً مع الأحداث، وتظل أكثر الصحف جدلاً لارتباطها بحزب الوفد، أو بالأحرى بسعد زغلول على وجه التحديد⁽¹³⁵⁾. كذلك توجد صحيفة «الشمس» التي صدرت في ١٩٣٤ وقد غيرت من نهج تعامل الصحف والمجلات مع الحركة الصهيونية كوسائل دعائية، إلى نهج آخر وهو دعائي أيضاً، ولكن للطائفة اليهودية في مصر، في وقت كانت الطائفة في أمس الحاجة للدعم. ومن الفادح والمؤسف أن الصحافة المصرية في مطلع العقدين الأول والثاني من القرن العشرين - ربما بدافع قلة الوعي المبكر بالخطر الصهيوني ومخططاته، أو نتيجة للتركيز على مواجهة الشيوعية - تأثرت بالأصوات والأفكار الصهيونية وأفسحت لها مساحة لمخاطبة الرأي العام، فقد شاركت صحيفتا: «المقطم»، و«الأهرام» في الدعاية العالمية التي أثرت حول ما عاناه اليهود في فلسطين، وتطرقت إلى بحث أحوال المهاجرين بمصر وما اتخذته السلطات من العناية بهم وتدابير أشغال لهم. والأكثر من ذلك أنها أفسحت المجال في صفحاتها لمناقشة الأماني الصهيونية في فلسطين، ولدعوة غريبة ومبكرة لا تختلف في خطوطها العامة عن تلك التي كان يتولاها الصهيونيون في بريطانيا. وفتحت بذلك الباب مجدداً لبحث المسألة الصهيونية. ففي «المقطم» بتاريخ ٢٨ يناير ١٩١٠ مقال بعنوان: «من هم الإسرائيليون وما هي حقيقتهم؟»، وفيه يأسف الكاتب سلمون عمار «لأنه لا يجد على صفحة الخرائط للإسرائيليين متسعاً خاصاً رغم وفرة عددهم وتفوقهم الحضاري، فهم شعب بغير دولة مُستت في جميع أنحاء المعمورة..». ويجد نسيم ملول («المقطم» ٢٣ فبراير ١٩١٥) أن «طبيعة العمران وقوانين الاجتماع ومقتضى المدنية الحديثة تتطلب الآن حلاً نهائياً للمسألة الإسرائيلية وتصفية حسابها تصفية نهائية»، ويدعو الأمة الإسرائيلية «.. ألا تترك هذه الفترة دون أن تسعى للانتفاع بها»، في حين يطالب بشارة أنطونيوس في مقال عنوانه: «الإسرائيليون يطلبون حقاً» نشرته «المقطم» في ٧ أبريل ١٩١٥ دول أوروبا بإرجاع الشعب اليهودي إلى وطنه الأصلي ليصير له وطن خاص، وخاصة أنهم «الذين استعمروا جانباً من أرض فلسطين وأحيوا الأراضي الموات». أما جريدة «الأهرام» فقد أفسحت المجال لمناقشة المسألة الصهيونية على أساس أن القضية بها خصمان، ونشرت مقالات ذات عناوين دالة، منها مقال أبو عمران سينا بعنوان: «لماذا يجب أن تُعطى فلسطين لليهود؟» المنشور في ٢٩ يونيو ١٩١٥، كما نشرت في ١٨ يوليو ١٩١٥ خبر احتفال أقامه الإسرائيليون الصهيونيون في سينما «بالاس» في الظاهر، إحياءً لذكرى وفاة الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل، حيث ألقى جاك موصيري وغيره خطاباً عن حياة هرتزل وعمله⁽¹³⁶⁾.

وكانت الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ نقطة تحول في رؤية الشعب المصري بشكل عام واليهود المصريين بشكل خاص لـ«الصهيونية»، كان الجميع يعانون عدم وضوح الرؤية في هذه

القضية كما يقول د.محمد أبو الغار: «بعد الثورة الفلسطينية الكبرى انكشف تمامًا الخطر الصهيوني أمام الجميع في مصر، من خلال ما تمارسه العصابات الصهيونية من إرهاب تجاه المواطنين العرب، الذين تقتلعهم الصهيونية من أرضهم لصالح صهاينة يأتون من شتى بقاع الأرض، فبدأت حملة كبيرة لمناهضة الصهيونية، شارك فيها اليهود المصريون ومن بينهم قطاوي باشا، كما أسس الشيوعيون المصريون اليهود جماعة مناهضة للصهيونية كان من أعضائها: يوسف درويش، وشحاتة هارون، وريمون دويك، وغيرهم».

كان للرفض الشعبي للحركة الصهيونية في مصر، الذي أدى بالحكومة المصرية إلى حظر النشاط الصهيوني في نهاية الأربعينيات، وجود أيضًا في الأوساط اليهودية المصرية، وخلال «يوم الشهداء» ٣ مارس ١٩٤٦، حينما صدر بيان من الطلبة اليهود، رفضوا فيه الصهيونية، وأكدوا في الوقت نفسه وجود الطلاب اليهود في معركة الشعب المصري على اختلاف عقائده ودياناته، وقّع البيان طالب الطب فرج نسيم، وطالب الآداب ليون كرامر، وطالب الهندسة روبر شاول يوسف، وجاء فيه: «تحت خرافة الوطن المقدس وأرض الآباء والأجداد غررت الصهيونية بملايين العمال والفلاحين اليهود، بهذه النداءات المعسولة، وصوّرت الصهيونية أن اليهود سيضطهدون، ولن يفقدهم غير أرض الميعاد كما يدعون وليس هذا التضليل إلا تنفيذًا لخطة الاستعمار المدبرة، ها نحن المثقفين اليهود، تبيّننا لعبته وأدركنا خطره وخطر الصهيونية، لن نسمح بأن تفرق صفوفنا نحن المصريين، ولنكن يدًا واحدة مسلمين ومسيحيين ويهودًا، يدًا قويّة تدك صرح الاستعمار، نكافح مع المناضلين العرب للتححرر من الاستعمار وذنبه الصهيونية، حتى تسقط الصهيونية وتبقى فلسطين حرّة، ها نحن اليهود المصريين ننزل إلى الميدان مع زملائنا العمال والطلبة لنعلن احتجاجنا وسخطنا على الاستعمار والصهيونية، عاشت مصر حرّة.. عاشت فلسطين حرّة» (137).

وبعد حظر النشاط الصهيوني في مصر، وقيام إسرائيل ١٩٤٨، بدأت الحركة الصهيونية في تنظيم تهريب الصهاينة من مصر بشكل سري وأموالهم عن طريق شبكة صهيونية سرية باسم «جوشين»، وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ خضع النشاط الصهيوني في مصر لرعاية الموساد الإسرائيلي، واتجه لاستخدام الإرهاب وسيلة له، وهو ما ظهر واضحًا في عملية «سوزانا» التي عُرفت باسم «فضيحة لافون» نسبة إلى وزير الحرب الإسرائيلي «بنحاس لافون».

ففي شهر يونيو من العام ١٩٥٤ شارفت المفاوضات المصرية البريطانية على الانتهاء، بشأن اتفاقية جلاء القوات البريطانية من قناة السويس؛ الأمر الذي زاد من المخاوف الإسرائيلية من تمكن الجيش المصري من السيطرة على معسكرات ومطارات الجيش البريطاني المتروكة في شبه جزيرة سيناء وغيرها، ولهذا بحثت أجهزة المخابرات العسكرية الإسرائيلية إمكان عرقلة هذا الجلاء من خلال تفعيل خلية إرهابية يهودية مصرية، للتخريب في مرافق بريطانية وأمريكية

ومصالح غربيّة في مصر والإيعاز بأن هذه العمليات تمت من قبل خلية مصريّة. نجحت الخلية التي ضمت ١٣ يهودياً صهيونياً من القاهرة والإسكندريّة، في تنفيذ عدة عمليات تخريبية إلى أن أُلقي القبض عليها في يوليو ١٩٥٤ وأحيلوا للمحاكمة.

في ديسمبر من العام ١٩٥٤ صدرت أحكام قضائية على أعضاء الخلية الإرهابية بعقوبات مختلفة، تراوحت ما بين الإعدام لشخصين هما: موسى ليتو مرزوق، وسمويل بخور عازار، والأشغال الشاقة المؤبدة لكل من: فيكتور ليفي، وفيليب هرمان ناتانسون، والأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة لكل من: فيكتورين نينو وروبير نسيم داسا، والأشغال الشاقة لمدة ٧ سنوات لكل من: مائير يوسف زعفران، ومائير صمويل ميوحاس.

نظرت التيارات السياسيّة في مصر إلى العلاقة بين اليهود والصهيونيّة بوجهات نظر مختلفة، فكان التيار الليبرالي، وممثله الوفد، يرى أن هناك خلافاً بين اليهودية والصهيونية، وأن بعضاً من هذا التيار تعاطف مع الحركة الصهيونية في فترة من الفترات، وكان «ليون كاسترو» أحد قيادات «الوفد»، رئيس المنظمة الصهيونية في مصر. أما اليسار فكان يرى أن هناك فارقاً شاسعاً بين اليهود والحركة الصهيونية؛ لذا تأسست «الحركة الديمقراطية للتححر الوطني» (حدثو)، التي كانت قد نشأت عن اندماج فصيلين انشقا سابقاً عن «الاتحاد الديمقراطي»، الذي كان أسسه هنري كوريبيل مع آخرين⁽¹³⁸⁾. سعت «حدثو» إلى تكوين «الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية» المعروفة باسم «رابطة مكافحة الصهيونية»، وتأسست في مايو ١٩٤٧⁽¹³⁹⁾، وانضم إليها عدد من الطلاب اليهود المنتمين لليسار، مثل: مارسيل شيريزي، وشحاتة هارون، وعزرا هراري. وقد أصدرت الرابطة بياناً «ضد الصهيونية: في صالح اليهود، في صالح مصر»، وحددت أهدافها كالتالي:

١. الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب.
 ٢. الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية.
 ٣. العمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين.
 ٤. العمل على حل مشكلة اليهود المشردين (المشتتين في بعض المصادر)⁽¹⁴⁰⁾.
- قصرت الرابطة عضويتها على اليهود المصريين فقط انطلاقاً من اعتبار تثبيت المعارضة اليهودية المبدئية للصهيونية، وأن مقاومة الصهيونية لها أساس مبدئي كونها حركة عنصرية، وأساس وطني كونها حليفة للاستعمار⁽¹⁴¹⁾. وحذرت، في نداء آخر إلى يهود مصر، من أكاذيب الدعاية الصهيونية. ولكن وزارة الشؤون الاجتماعية رفضت التصريح للرابطة بالإشهار، ثم أمر محمود فهمي النفراشي باشا رئيس وزراء مصر بحلها في يونيو ١٩٤٧ بدعوى المحافظة على النظام والأمن العام في البلاد. وقال عزرا هراري، سكرتير الرابطة، إن الصهيونية تحظى بتأييد البوليس المصري نفسه⁽¹⁴²⁾. وتعكس أقوال هراري وحل الرابطة حقيقة أن السلطات المصرية،

آنذاك، لم تهتم بالقدر الكافي برصد النشاط السياسي لليهود ما عدا اليساري والشيوعي منها، وهو ما استغلته الحركة الصهيونية لتوسيع نشاطها.

وكان «جاك حاسون» مؤلف كتاب «تاريخ يهود النيل»، واحداً من اليهود اليساريين في مصر، الذي نفى تهمة انخراط يهود مصر في الحركة الصهيونية، وقال: «ولدت الحركة الصهيونية وسط اليهود الأشكناز الذين قديمًا من شرق أوروبا. وبينما استجاب بعض الشباب من الأوساط المتواضعة لنداء هذا الفكر، كثيرًا ما اصطدمت الدعاية الصهيونية بعداء (السفارديم) الذين ينتمون إلى الأوساط الأكثر ثراءً، خاصة من جانب الفئات القيادية التي انبثقت منها» (143).

من جهته، كان رينيه قطاوي - رئيس الطائفة اليهودية في ذلك الوقت، يبذل مساعيه لوقف النشاط الصهيوني في البلاد؛ حرصًا على مكانة اليهود وعلاقتهم الطيبة بالمصريين، وكذلك اتبع حاييم ناحوم - كبير حاخامات، القاهرة الطريق ذاته (144).

أما «مصر الفتاة»، و«الإخوان المسلمين»، فكان لهما موقف آخر. فقد بدأت حملة مشتركة من «جمعية مصر الفتاة»، و«الإخوان المسلمين»، و«الشبان المسلمين» لمقاطعة المنتجات والبضائع اليهودية، وشكّلت لجنة لهذا الغرض سميت باسم «لجنة تنظيم المقاطعة». وقادت جماعة «الإخوان المسلمين» حملة لمقاطعة المحال اليهودية في مصر تحت شعار «أيها الأخ الكريم... أيها المصري الأبوي... تأكد بأن كل قرش تدفعه لمحل يهودي قد يتحول إلى رصاصة تستقر في صدر أخيك» (145). وهناك عشرات المقالات التي نشرتها الجماعة في مجلاتها ضد اليهود، ويمكن هنا الإشارة - على سبيل المثال لا الحصر - إلى مقال «خطر اليهود على العالم الإسلامي والمسيحي» الذي نشرته مجلة «الندى» التابعة للإخوان عام ١٩٣٨ والذي ادعى أن اليهود هم المستعمرون الحقيقيون للهند وليس الإنجليز.

كما لا يمكن إغفال أعمال العنف التي أثارها شباب جماعة الإخوان المسلمين بشنها على المعابد، والمحال التجارية اليهودية، حتى تلك غير المملوكة لصهاينة، في ذكرى التنديد بوعد بلفور يومي ٢ و٣ نوفمبر ١٩٤٥، أو الأعمال الأكثر دموية التي اندلعت ضد المصالح اليهودية في القاهرة والإسكندرية عام ١٩٤٨ (146).

واعتبارًا من شهر يوليو عام ١٩٤٨ هزّت انفجارات شوارع القاهرة، فقد انفجرت شحنات من الديناميت في محلي شيكوريل وأركو، في ١٩ يوليو، تبعهما انفجار في محل «داوود عدس» للأقمشة في ٢٨ يونيو، ثم انفجاران في محلي بنزاويون وجاتينيوي في أول أغسطس (147). وفي ٣ أغسطس استهدف انفجاران مبنى شركة أراضي الدلتا بالمعادي، ومحطة ماركوني للتليغراف اللاسلكي التي اعتبرت مركزًا للاتصالات اليهودية (148).

في مذكراته، يقول علي عشاوي - أحد قادة التنظيم الخاص لجماعة الإخوان المسلمين - إن

الإخوان هم أول من استخدموا السيارات المفخخة، قائلاً: «لقد ابتكره أحد أقسام الإخوان وهو قسم الوحدات الذي يشرف عليه صلاح شادي، فقام بتفجير عربة محملة بالمتفجرات في حارة اليهود بالقاهرة في ٥/٦/١٩٤٨، ثم أتبعها بتفجير عربة يد أخرى في المكان نفسه وهو حارة اليهود في ١٩/٧/١٩٤٨، وقد كان هذا في شهر رمضان، وقد قُتِلَ في هذا الحادث مُفجر العربة وعدد من المارة الذين لا حول لهم ولا قوة، إلا أنهم يمرون في الشارع نفسه المفروض أن يكون آمناً» (149). ولكن الحوادث الأكثر مأساوية كانت في إشعال النيران في منازل حارة اليهود بالقاهرة، والتي وقعت في ٢٠ يونيو عام ١٩٤٨، واستفاضت الصحف المصريّة - حينذاك - في وصف تفاصيلها (150).

وبعد سلسلة التفجيرات التي طالت اليهود المصريين وممتلكاتهم، أرسل المرشد العام للجماعة حسن البنا، رسالة إلى الحاخام الأكبر حايم ناحوم، طالبه فيها بالإعلان عن مشاركة يهود مصر ماديّاً وأدبيّاً في الكفاح من أجل إنقاذ فلسطين (151).

غير أن هناك عوامل أخرى، وتفاصيل أكثر إثارة وراء هجرة اليهود من مصر. الشاهد أن معظم اليهود المصريين كانوا يشعرون بالأمن والراحة خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين. ويُلاحظ أنه في الفترة ما بين ١٩١٧ و ١٩٤٧ لم يغادر سوى ٤٠٢٠ يهودياً فقط إلى فلسطين، وكان جزء كبير منهم أصلاً من اليمينيين، أو المغاربة، أو الأشكناز، الذين أقاموا في مصر بشكل مؤقت (152).

ومن البدهي أن يكون منهم يهود فلسطينيون من الذين وصلوا إلى مصر عام ١٩١٤. ويمكن قياس قوة الصهيونية في نهاية الحرب العالميّة الثانية بحقيقة أنه أثناء الإعداد للمؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين عام ١٩٤٦، قام ٧٥٠٠ يهودي فقط (١٠٪ فقط من مجتمع اليهود المصريين) بشراء شيكلات (تعني دفعهم لرسوم العضوية؛ ما يخولهم التمثيل في المؤتمر).

ولمزيد من التفصيل، فإنه منذ مايو ١٩٤٨ وحتى نهاية العام، هاجر من مصر ١٧٩ يهودياً فقط، وفي عام ١٩٤٩ هاجر ٧١٤٥ شخصاً، وفي ١٩٥٠ ترك البلاد ٧١٧٨ شخصاً، وعام ١٩٥١، هاجر ٢٠٨٦ فرداً؛ أي أن هناك ١٦٥٨٨ يهودياً مصرياً هاجروا إلى فلسطين (إسرائيل) من مجموع المهاجرين البالغ عددهم ٢٥١٨٦؛ أي أن من ترك مصر تبلغ نسبتهم ٣٨.٣٪، هاجر منهم ٥٧.٦٪ فقط إلى فلسطين (إسرائيل) (153).

وإضافة إلى هجمات عناصر «الإخوان المسلمين»، و«مصر الفتاة»، كانت قوة الدفع التي حصلت عليها الصهيونية في الحالة المصريّة ناتجة عن ثلاثة عوامل خارجيّة:

المبعوثين الصهاينة من فلسطين، والنشطاء الصهاينة بين قوات الحلفاء، والفيلق اليهودي الفلسطيني المتمركز في مصر؛ وبالأساس، سلسلة الأحداث التي شجعت اليهود المصريين على الخروج باستنتاجات عن مستقبلهم قائمة على فهم خاص لمغزى الكارثة التي حلت بيهود أوروبا،

فهم ناتج عن وجود طائفة أشكنازية كبيرة في مصر أكثر تأثرًا بالأحداث الأوروبية من المجتمعات المحلية⁽¹⁵⁴⁾.

تسارعت وثيرة هجرة كبار الأغنياء من اليهود في الفترة من ١٩٤٧ إلى ١٩٥٤، بعد أن باعوا أو تركوا ممتلكاتهم في مصر. وكان من هؤلاء من قصد إسرائيل بعد تأسيسها، في حين سافر عدد منهم إلى أوروبا والولايات المتحدة.

وفي النظر إلى موضوع اليهود المصريين، يتعيّن ملاحظة أن أقلية ضئيلة فقط كانوا نشطاء صهاينة حتى بعد العام ١٩٤٨، وأن معظم اليهود الذين غادروا مصر بعد ١٩٤٨، خاصّة هؤلاء الذين لديهم خيار وإمكانات، لم يذهبوا إلى فلسطين (إسرائيل)⁽¹⁵⁵⁾.

ويحلل جيلبرت كاباسو أرقام الهجرة، مثبتًا أن خيار يهود مصر لم يكن إلى إسرائيل، فقد هاجر منهم ١٥ ألفًا إلى البرازيل، وعشرة آلاف إلى فرنسا، وتسعة آلاف إلى الولايات المتحدة، ومثلهم إلى الأرجنتين، وأربعة آلاف إلى بريطانيا، وأعداد أقل إلى كندا، وإيطاليا، وأستراليا، وهذا الرقم الذي يبلغ ٤٧ ألفًا يعادل ثلثي تعداد المجتمع اليهودي في مصر؛ ما يتعارض مع ادعاءات الوكالة اليهودية بخصوص الهجرة إلى فلسطين؛ ما لم نفترض وجود ٨٥ ألف يهودي قبل عام ١٩٤٨، وهو رقم يشكك في صحته عددًا من الباحثين⁽¹⁵⁶⁾. وتدل الأرقام على أنه فقط أقل من ثلث أعداد اليهود ذهبوا إلى فلسطين (إسرائيل)، ويعود ذلك، كما في كل مكان آخر، إلى أنها الجهة الوحيدة التي كانت متاحة لهم بعد اندلاع حرب ١٩٤٨ أساسًا، ثم حرب ١٩٥٦، وهذا يطابق ما حصل في العراق، واليمن، والمغرب، وما سنلاحظ حدوثه في مجمل شمال إفريقيا.

بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، ازداد الموقف اضطرابًا، بعد أن تغيّرت موازين القوى بين العائلات اليهودية والسلطة الجديدة في مصر. الشاهد أن اليهود في مصر كانوا موزعين في تلك الفترة على ثلاث شرائح: الشريحة الأولى وتتكون من اليهود المصريين، والثانية من اليهود الأجانب المتمصرين (أي الذين حصلوا على الجنسية المصرية)، والشريحة الثالثة: اليهود الأجانب ممن ظل محتفظًا بالجنسية الأجنبية دون غيرها.

في البداية شهدت الثورة مؤشرات إيجابية على العلاقة بين الجانبين؛ إذ نُشرت مقالات لعدد من قادة ثورة يوليو في صحف يهودية مثل «الكليم» تؤكد إيمانهم بالتعددية الدينية، وزار الرئيس محمد نجيب معبد «اليهود القرائين» في ٢٥ أكتوبر ١٩٥٢ لتهنئة المصريين اليهود بعيد كيبور «الغفران». وتكفلت الحكومة المصرية بعلاج الحاخام ناحوم أفندي على نفقة الدولة، ووجّه بدوره شكرًا لجمال عبدالناصر على هذه المبادرة الطيبة.

نشير هنا إلى أن طائفة القرائين - التي لا تؤمن إلا بـ«العهد القديم» والتلمود - كانت أكثر اقتربًا من المجتمع المصري - بالمقارنة مع الربانيين (السفارديم والأشكناز) - من حيث طريقة الصلاة، وتزيين المعابد، والاحتشام في الملابس، وقد حمل قسم كبير من أفراد هذه الطائفة أسماء

عربيّة، مثل: عبدالواحد، وسليمان، وفرج، وأميين.. إلخ (157).

ويحكي جوئل بينين (158) كيف عنّف الرئيس محمد نجيب ذات مرة الشيخ أحمد حسن الباقوري (١٩٠٧ - ١٩٨٥)، وطالبه بالذهاب إلى الحاخام الأكبر لليهود في مصر والاعتذار عن كلامه عن اليهود في برنامج إذاعي. وفي عام ١٩٥٣ احترق مخبز يوفر الأكل الحلال أو «الكوشير» بحسب العقيدة اليهوديّة، ومن ضمن ما احترق كان كمية ضخمة من فطير «ماتسا»، مخزنة للأكل في يوم العيد، فطلب الحاخام الأكبر لليهود في مصر إذنًا باستيراد ٢٠ طنًا من الدقيق من الخارج. وبعد نقاش حول كمية الدقيق المطلوب استيراده، وافقت الحكومة على الاستيراد، على اعتبار أن منع الاستيراد سيؤدي إلى تعطيل شعيرة دينيّة، وهو ما كان مرفوضًا تمامًا.

وفي مذكراته، يقول محمد نجيب إنه: «في تاريخ مصر الحديث يهود وصلوا إلى أعلى مراكز الدولة - كانوا مثلًا وزراء - وحتى عام ١٩٥٥ كان يعيش في مصر حوالي ٨٥٠٠٠ يهودي ولدوا فيها، وكانت لهم الحقوق نفسها التي يتمتع بها باقي المصريين، فقد كانت الثورة حريصة في البداية أن تفرق بين الصهيونيّة واليهوديّة، وبين إسرائيل والمجتمع اليهودي الذي يعيش في مصر. وعند افتتاح شيكوريل اليهودي محله الجديد، بعد الذي احترق في حريق القاهرة، أرسلنا أحمد أنور قائد البوليس الحربي مندوبًا عن القيادة ليحضر الافتتاح، وأكثر من مرة حرصت على أن أزور معابد اليهود في القاهرة والإسماعيلية في يوم كيبور، وأمضيت وقتًا طويلاً مع الحاخام الأكبر حايم ناحوم أفندي الذي كان عضوًا في مجمع اللغة العربيّة، والذي كنت أدعوه دائمًا لحضور المناسبات الرسميّة مع شيخ الأزهر، وبطريك الأقباط» (159).

غير أن تلك العلاقة شهدت أزمة ناجمة عن عمليّة التجسس والتخريب التي نظمتها المخابرات الحربيّة الإسرائيليّة في مصر عام ١٩٥٤، فيما عُرف باسم عمليّة «سوزانا»، التي عُرفت باسم «فضيحة لافون». لقد أفسدت هذه العمليّة الإرهابيّة الأجواء في مصر تجاه اليهود، ثم جاء الهجوم الإسرائيلي على سيناء عام ١٩٥٦ ليُسم هذه الأجواء بدرجة أكبر (160).

وفي عام ١٩٥٦ كان عدد المصريين اليهود ٦٠ ألفًا، لكن ذلك العام شهد طرد ١٣ ألف بريطاني وفرنسي، كان بينهم آلاف اليهود من رعايا دولتيّ العدوان على مصر. وفي الفترة من ١٥ مارس إلى ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦، غادر ١٤ ألف يهودي إلى إسرائيل، وسط تصاعد الشعور القومي وزيادة العداء للقوى الأجنبيّة التي سيطرت على مقدرات البلاد طوال وقت الاحتلال، وقد كان معظم اليهود المقيمين في مصر يتمتعون بجنسيات هذه الدول (161). ويعد قرار تمصير الممتلكات البريطانيّة والفرنسيّة واليهوديّة بعد فرض الحراسة عليها في نوفمبر ١٩٥٦ - بالأمر رقم ٥ لسنة ١٩٥٦ - منعطفًا رئيسيًا في تاريخ مصر الاقتصادي، وفي تاريخ اليهود في مصر (162).

ونوضح هنا أن اليهود الذين صودرت ممتلكاتهم عام ١٩٥٦، تم تعويضهم بالكامل في نهاية

عام ١٩٥٧. كذلك فعلت الطبقة المتوسطة من اليهود في مصر التي خرجت من هذا البلد بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٧ بعد أن باعت معظمها ممتلكاتها بسرعة⁽¹⁶³⁾. وبقي في مصر ٢٥ ألف يهودي هاجروا بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦١ بعد تصفية أعمالهم وأموالهم، واتجه الكثير منهم إلى فرنسا والولايات المتحدة والبرازيل وإسرائيل⁽¹⁶⁴⁾.

الأكيد أن اليهود في مصر كانوا من أبرز المتضررين من القرارات الاشتراكية التي أعلنها الرئيس جمال عبدالناصر خلال الفترة بين ١٩ و ٢٣ يوليو ١٩٦١. فقد كانت أغلب المصارف وشركات التأمين والشركات الصناعية والتجارية وتجارة القطن والتجارة الخارجية، إما مملوكة لليهود والأجانب والتمصرين، أو تقع تحت سيطرتهم.

ويروي هيكل أن أحد أسباب صدور قرارات يوليو ١٩٦١ «أن عبدالناصر اكتشف في أوائل عام ١٩٦١ أن الرعايا البلجيكين في مصر يمتلكون قرابة مليون سهم في شركات تعمل في مصر في مختلف المجالات؛ مما دفعه إلى طلب تقرير كامل عن ملكية الأجانب في الاقتصاد المصري، وكانت النتيجة أن نحو ٢٠٠ عائلة يهودية تملك مصالح تزيد قيمتها على ٥٠٠ مليون جنيه بقيمة النقود في ذلك الوقت»⁽¹⁶⁵⁾.

أضيفت العوامل السياسية والاقتصادية إلى تنامي النشاط الصهيوني والعمليات التخريبية في مصر ومنها «عملية سوزانا»، لترد السلطات الرسمية بتضييق الخناق على اليهود في مصر، وخاصةً عن طريق التمسير والتأميم، الذي طال، فيمن طال، أغنياء اليهود، وعن طريق الامتناع عن إعطاء جوازات سفر لليهود الأقل ثراءً أو عن طريق ختم جوازات سفر أولئك الذين استطاعوا الحصول على تلك الوثائق بختم «للمغادرة النهائية - بدون عودة» عند سفرهم للخارج. ويشير البعض إلى قصة المناضل اليساري اليهودي شحاتة هارون (١٩٢٠ - ٢٠٠١) الذي أصيبت ابنته الكبرى «منى» بسرطان الدم، واستدعى الأمر سفرها للخارج للعلاج، وعندما شرع في ذلك اشترطت عليه السلطات وضع ذلك الختم على جواز سفره، وهو ما رفضه تمسكًا منه بوطنه، فما كان منه إلا أن فقد ابنته⁽¹⁶⁶⁾.

بقي في مصر عدد من اليهود - أغلبهم من القرائين وبعضهم من اليسار المصري - ممن رفضوا الصهيونية وارتبطوا بمصر وطنًا لهم، مثل يوسف درويش⁽¹⁶⁷⁾، وألبير آريه، وشحاتة هارون، وريمون دويك، وأحمد صادق سعد الذي كان يهوديًا ثم اعتنق الإسلام.

في المقابل، لم يلتزم الكثير من اليهود المصريين البارزين الصمت إزاء عداء الغرب لبلدهم الأصلي؛ بل إن عددًا كبيرًا منهم أصبحوا جزءًا لا يتجزأ من الحملات الغربية المناوئة لمصر والعرب بشكل عام. ويعتبر الملياردير الليكودي الأمريكي المولود في ١٥ أكتوبر ١٩٤٤ بمدينة الإسكندرية، حايم صبان، واحدًا من أبرز الداعمين والممولين الرئيسيين للسياسات الإسرائيلية. غادر صبان مصر عام ١٩٥٦ إلى إسرائيل حيث أقامت أسرته في تل أبيب، ثم هاجر إلى أمريكا

حيث بنى ثروته في تسويق برامج الرسومات المتحركة. أنشأ مركز صبان لسياسات الشرق الأوسط التابع لمعهد بروكنغز في واشنطن العاصمة(168).

وفي عام ٢٠٠٣ اشترى كبرى شركات الإعلام في ألمانيا، شركة «كيرش ميديا» المتعثرة بمبلغ ٥.٧ مليار دولار. وفي عام ٢٠٠٦، كان ضمن مجموعة مستثمرين، بقيادة تكساس باسيفيك جروب Teiad Pacific Goofa التي اشترت شبكة Univision وهي أكبر شبكة تلفزيون ناطقة بالإسبانية في الولايات المتحدة. الصفقة كان مقدارها ١٢.١ مليار دولار.

أما ناداف صفران، القاهري المولد، والأستاذ السابق في جامعة هارفارد الذي كان يتقاضى مبالغ طائلة من «سي آي إيه»، فهو صهيوني النزعة منذ وقت مبكر، قبل عام ١٩٤٨، وكان بالفعل مستوطنًا يعيش في كيبوتز عام ١٩٤٦، وقد شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨(169).

في عام ١٩٦١، بقي في مصر ٧ آلاف يهودي في القاهرة والإسكندرية، منهم ٢٠٠٠ من القرائين و ٥٠٠ أشكنازي. وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ تبقى في مصر ٢٥٠٠ يهودي، انخفض عددهم إلى ألف في نهاية عام ١٩٦٨. وفي سبتمبر ١٩٧٠، تبقى ٣٠٠ يهودي(170)، قبل أن يصبح عددهم بحلول ٢٩ يوليو ٢٠١٦ ست أفراد جميعهم سيدات(171).

وإذا كانت قيادة الطائفة اليهودية في مصر منقسمة على مدار تاريخها بين مجموعتين في القاهرة والإسكندرية، فإن خلافًا بين كل من الطائفتين منذ ١٩٦٦ أدى إلى انفصال كل منهما عن الأخرى حتى الآن، حتى في إدارة الأملاك تختص الطائفة اليهودية في الإسكندرية بإدارة أملاكها بمعزل عن رئاسة الطائفة في القاهرة، ولها مجلس عام يتكون من رئيس ونائب له وسكرتير، ويقع مقرها في معبد «إلياهو هانابي» في الإسكندرية.

وتفردت طائفة يهود القاهرة بالسيطرة النسائية على قيادتها بعد أن وقع انقلاب نسائي داخلها نهاية ١٩٩٦ على إدارة رئيس الطائفة آنذاك، إيميل روسو، وقررت الجمعية العمومية للطائفة إقالته أثناء زيارته لفرنسا، وتتصيب إستر وينشتاين لتكون أول رئيسة لطائفة يهودية، لتشهد الطائفة من بعدها صراعًا على رئاسة الطائفة بين ابنتيها كارمن وماريكا سموحة ليفي، ليحسم الصراع في النهاية لصالح كارمن، المولودة لأب إشكنازي وأم سفارديّة، والتي درست في مدرسة اللبسيه، لتلحق من بعدها بجامعة القاهرة التي تخرجت فيها ١٩٥٤، لتكمل دراستها بالجامعة الأمريكية في القاهرة وتخرج فيها عام ١٩٧٢.

وفي ٨ يوليو ٢٠١٠، صدر حُكم غيابي بسجن رئيسة الطائفة اليهودية كارمن وينشتاين لمدة ثلاث سنوات وكفالة ١٠ آلاف جنيه لإيقاف التنفيذ، وإلزامها بدفع مبلغ ٤٠ ألف جنيه على سبيل التعويض المؤقت لرجل الأعمال نبيل وديع بشاي، بعد إدانتها بأنها باعت له عقارًا مملوكًا لأحد اليهود في مصر الجديدة دون أن يكون من حقها بيعه لعدم حملها تفويضًا من ماله.

فقد باعت كارمن وينشتاين لرجل الأعمال المذكور العقار رقم ٥ بشارع المسلة في مصر

الجديدة، وأوهمته بأحقيتها في بيع عقار لا تمتلكه، وقبضت منه ٣ ملايين جنيه ثمن العقار، وحررت له توكيلاً رسمياً عاماً. وبحسب حيثيات الحكم، فوجئ بشاي بأن وينشتاين ألغت التوكيل الرسمي، ثم أثبتت عدم وجود صفة لها لبيع العقار وذلك من خلال رفعها الدعوى رقم ٩١٤٩ لسنة ٢٠٠٤ مدني شمال القاهرة بإثبات أنها لا تملك سلطة بيع عقارات اليهود (172). بعد صدور الحكم بأيام، قال رؤوف فؤاد توفيق، سكرتير عام الطائفة اليهودية ومدير عام المعابد اليهودية في مصر: إن كارمن غادرت البلاد إلى الولايات المتحدة (173). غير أن عقوبة الحبس غيابياً بحق كارمن ألغيت، بعد أن قضت محكمة جناح مصر الجديدة بعدم اختصاص المحكمة محلثاً (مكانيًا) بمحاكمة رئيسة الطائفة اليهودية بالقاهرة. وقررت المحكمة إحالة الدعوى إلى النيابة العامة، موضحة أن الاختصاص المحلي لنظر الدعوى ينعقد لمحكمة جناح عابدين (174).

وعندما تُوفيت كارمن وينشتاين عن عمر يناهز ٨٢ عاماً، أصدر الرئيس - حينذاك - محمد مرسي بياناً نعى فيه رئيسة الطائفة اليهودية في مصر. قال مرسي في بيان باللغة الإنجليزية نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية، «إنها كانت من المصريين المتقنين الذين عملوا بلا كلل للحفاظ على التراث اليهودي المصري، وقبل كل شيء، عاشت وماتت في بلدها، مصر» (175). بعد وفاة كارمن وينشتاين، تولت ماجدة هارون رئاسة الطائفة اليهودية في مصر، وهي ابنة المناضل اليساري شحاتة هارون. ولدت ماجدة في الإسكندرية عام ١٩٥٢، ودرست بمدرسة الليسيه بباب اللوق بالقاهرة، وتخرجت في كلية الفنون التطبيقية بجامعة القاهرة، وهي أم لفتاتين، وتجيد اللغات: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية.

ومع توليها رئاسة الطائفة، أبدت ماجدة هارون رغبة، مع ترجمة عملية على الأرض، في الانفتاح على بقية مكونات الشعب المصري، رغم أن الأمر لم يكن سهلاً في ظل حكم جماعة الإخوان المسلمين - حينذاك - فانفتحت على وسائل الإعلام، وفتحت أبواب المعبد اليهودي بشارع عدلي بالقاهرة، للمرة الأولى، أمام المواطنين المصريين (176). وترفض ماجدة بشكل قاطع زيارة إسرائيل، وهي التي نشأت على مبادئ والدها الذي رفض الهجرة من مصر.

وفي حديث لهيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي»، قالت ماجدة هارون إن «أفراد الطائفة هاجروا من مصر بعد حرب عام ١٩٤٨، وإقامة دولة إسرائيل، حيث تغيرت النظرة لليهود في ذلك الوقت وساد الاعتقاد بأن ولاءهم سيكون لدولة إسرائيل». وأضافت ماجدة أن الطائفة اليهودية في مصر اليوم في طريقها إلى الزوال، وعلى الجميع أن يتعاونوا لحماية التراث اليهودي والحفاظ عليه باعتباره جزءاً من تاريخ هذا البلد، ومطمعاً تسعى «دول بعينها» للاستيلاء عليه بهدف تزيف تاريخ المنطقة (177).

وفي يوليو ٢٠٠٨ تُوفي رئيس الطائفة اليهودية في الإسكندرية، ديماس سلامة، عن عمر يناهز ٩٤ عاماً، بعد أن خدم في رئاسة الطائفة ٨ سنوات. وكان سلامة طبيب الأسنان الخاص

بعائلة كل من الملك فاروق، وشقيق الرئيس جمال عبدالناصر. وبعد وفاته تولى رئاسة الطائفة اليهودية في الإسكندرية يوسف جاؤون، الذي يعد واحداً من أصغر اليهود المصريين الذين ظلوا يعيشون في مصر، حيث بلغ عمره ٥٤ عاماً في عام ٢٠١٠. وجاؤون هو ابن جو يوسف بنيامين جاؤون، الذي كان خياطاً ناجحاً للطبقة العليا، وقام بحياكة عدد من ملابس الرئيس جمال عبدالناصر. جاؤون الذي يحتفظ في مكتبه بصورة للرئيس حسني مبارك، يقول: إن والده لم يكن يتدخل في السياسة، وكان رجلاً بسيطاً⁽¹⁷⁸⁾.

غير أن المال والسياسة يتقاطعان كثيراً، إن لم يكن دائماً. الأكد أن الدولة المصرية تحركت في العقد الثاني من الألفية الثالثة باتجاه إعادة الاعتبار للعديد من المواقع الدينية الخاصة باليهود في مصر. فقد شكلت وزارة الآثار لجنة «جرد وحصر وتسجيل الآثار اليهودية» في أبريل عام ٢٠١٨، حيث انتهت من تسجيل مجموعة من مقابر اليهود بالإسكندرية وجنوب القاهرة.

وانتهت هذه اللجنة إلى تسجيل عدد من المعابد اليهودية في القاهرة والإسكندرية وبعض مدن الدلتا، وأصبحت هذه الآثار خاضعة لقانون حماية الآثار الذي يلزم الحكومة بالحفاظ عليها وترميمها ووضعها على خريطة الزيارات والمناطق الأثرية. كما أعلنت الحكومة المصرية في ١٠ ديسمبر ٢٠١٨ عن خطة لتخصيص مليار و ٢٧٠ مليون جنيه مصري لتجديد التراث اليهودي في البلاد. وفي ٢٠٢٠، أعادت الحكومة افتتاح معبد «إلياهو هانبي» في الإسكندرية، الذي يعود تاريخ تأسيسه لعام ١٣٥٤؛ وذلك بعد عمليات ترميم بتكلفة ٦٤ مليون جنيه، كما شاركت الحكومة في مشروع تطوير مقابر البساتين ومعابد أخرى.

ويعد هذا المعبد من أقدم معابد اليهود في الإسكندرية حيث تم إنشاؤه في عام ١٣٥٤، إلا أنه تعرّض للقصف خلال الحملة الفرنسية، ثم أعيد بناؤه مرة ثانية عام ١٨٥٠ بمساهمة من أسرة محمد علي الحاكمة آنذاك.

ويمتاز معبد «إلياهو هانبي» بطراز معماري فريد، كما يتسع لسبعمئة مصلاً، ويضم مكتبة بها ٦٣ نسخة من التوراة وكتباً يعود تاريخ بعضها إلى القرن الـ ١٥. ويقع هذا المعبد في شارع يختصر تاريخ الإسكندرية كملتقى للحضارات والأديان، ففي الجهة المقابلة لمعبد «إلياهو هانبي» تقع الكنيسة المرقسية، وهي أقدم كنيسة في مصر وفي إفريقيا كلها حيث تم إنشاؤها عام ١٨٧٠، واستمرت مقراً للكرسي البابوي لمدة ألف عام، وفي نهاية الشارع مسجد كبير يحمل اسم «النبي دانيال».

وتضم مصر ١٤ معبداً يهودياً، بينها ١٢ في القاهرة وحدها، صالحة لإقامة الشعائر اليهودية لم يمسه أحد بسوء، لا في ١٩٤٨، ولا في ١٩٥٦، ولا ١٩٦٧، ولا ١٩٧٣، ولا ما بينها من أحداث جسام في العلاقات العربية الإسرائيلية. كما تضم مصر مقابر ونسخاً تاريخية من أسفار

التوراة فضلاً عن ثلاث مكتبات تعج بمئات الكتب النادرة المكتوبة باللغة العبرية والعربية وثلاث مدارس. كما توجد أكثر من ٢٠٠ ألف وثيقة يعود أقدمها إلى القرن الـ ١١ الميلادي، عُثر عليها في «جنيزة كنيس بن عزرا». وتتنوع هذه الوثائق بين عقود زواج وطلاق ومواليد ومخطوطات توثق حياة اليهود المصريين منذ الخلافة الفاطمية، والدولة الأيوبية، وعصر المماليك. وتصف ماجدة هارون رئيسة الطائفة هذه الوثائق بأنها «فيسبوك اليهود في العصور الوسطى» (179).

وبموافقة الدولة المصرية، أصبحت جمعية «قطرة اللبن» - التي كانت مخصصة قبل نحو مائة عام لمساعدة الفقراء واليتامى من اليهود - اعتباراً من العام ٢٠١٦ معنية بحماية التراث اليهودي والحفاظ عليه، بمساعدة فريق من المتطوعين يضم ٣٠ شاباً وفتاة من المسلمين والمسيحيين.

إن الذي يعرف ذلك يدرك أن اليهود المصريين عاشوا في وطنهم دون مشكلات تُذكر، ومارسوا شعائر دينهم بلا قيود، حتى إن الحاخام اليهودي شارك في الأعمال التحضيرية لدستور عام ١٩٢٣، كما تولى «قطاوي باشا»، اليهودي المصري، وزارة المالية في عشرينيات القرن العشرين؛ ولذلك فإن المصريين هم آخر شعب يُتهم بعداء السامية أو كراهية اليهود. وما زلنا نتذكر بعض المحال الكبرى في القاهرة التي كانت تستثمر رؤوس أموال يهودية في حرية وانطلاق؛ بل وشعبية داخل السوق المصرية، كذلك نتذكر أيضاً أن اليهود المصريين قد اكتسبوا سمعة طيبة في ميادين الاقتصاد والمال والبنوك وأيضاً في الطب وتجارة المجوهرات، إلى أن بدأت الحركة الصهيونية تعبت بالمنطقة وتُحيل أجواءها إلى صدام كبير باعتمادها لسياسة عنصرية توسعية استيطانية مع عدوان دائم على الشعب الفلسطيني والأرض العربية (180).

واليوم يُثار بين فترة وأخرى ملف التعويضات عن ممتلكات اليهود المصريين، التي تقدر منظمات يهودية قيمتها بأكثر من ٣٠ مليار دولار، وهي قيمة التعويضات في ٣٥٠٠ قضية مرفوعة على الحكومة المصرية في الولايات المتحدة ودول أوروبية. بل إن مؤسسة يهود مصر، ومقرها باريس، أرسلت إلى رئاسة الجمهورية رسمياً في يوليو ٢٠١٢ تطالب بتعويضات عن هذه الممتلكات، وحددت المبلغ المذكور أعلاه قيمة لها (181).

وشهدت مدينة حيفا عام ٢٠٠٦ مؤتمراً كبيراً تحت عنوان: «استرداد أملاك اليهود في مصر» بحضور نحو ٢٠٠ يهودي هاجروا من مصر في خمسينيات القرن العشرين. وصدر عن المؤتمر بيان يحث الحكومة الإسرائيلية على مطالبة السلطات المصرية بتعويض اليهود المصريين عن أملاكهم الضائعة في مصر التي تركوها خلفهم عند هجرتهم إلى إسرائيل.

كما عقدت «الجمعية التاريخية الأمريكية لليهود المصريين» مؤتمراً في إسرائيل، تحت عنوان: «النزوح الثاني لليهود المصريين»، بغرض الاستماع إلى الشهادات الشخصية لأفراد من عائلات يهودية، عاشت في مصر، وهي الشهادات التي جُمعت بناءً على توصيات مؤتمر حيفا، وهدفت

الجمعية من وراء ذلك إلى جمع وثائق وبيانات لاستخدامها في رفع قضايا ضد الحكومة المصريّة والمطالبة بتعويضات كبيرة (182).

أيضاً تم تشكيل عدة لجان من يهود الولايات المتحدة من ذوي الأصول العربيّة لتلقي التقارير من اليهود العرب المهاجرين إلى الولايات المتحدة بشأن ما يعتبرون أنها ممتلكات تركوها وراءهم وهاجروا.

ونجح أعضاء «الجمعية التاريخيّة ليهود مصر» في مد خطوط اتصال قويّة مع لجنة الحريات الدينيّة التابعة لوزارة الخارجية الأمريكيّة، وهي اللجنة التي تم تشكيلها بموجب قانون الحريّة الدينيّة، الذي أصدره الكونغرس الأمريكي عام ١٩٩٦. وسبق لوفد من لجنة الحريات الدينيّة الأمريكيّة أن وضع على أجندة مطالبه من مصر قضية «ممتلكات اليهود المصريين»، وسلم الوفد عام ٢٠٠٦ الحكومة المصريّة ملفاً كاملاً عن أملاك اليهود في مصر وأماكنها (183).

غير أن رئيسة الطائفة اليهوديّة في القاهرة، كارمن وينشتاين، نأت بنفسها عن هذا الموضوع وذكرت في حديث صحفي: «أنا أقول: إن من يملك أي أملاك في مصر يأتي ويطلب بها في المحاكم المصريّة، ولكن نحن لن نطالب بأملاك أحد ولن نتصدى لأحد. أنا الآن أتصدى لأصحاب هذه الادعاءات لسبب واحد، فعندما تولى السادات الحكم قال «أي يهودي مهاجر له حق أو أملاك مثبتة بأوراق يأتي ويطلب بها وسيأخذ حقه».. لماذا لم يأتوا وقتها ويأخذوا حقوقهم، وبعد ٥٠ سنة يأتون ويقولون لنا أملاك قيمتها ٥ مليارات جنيه «لا ده مش ممكن ولا يليق» (184).

من جهته، رد رئيس الطائفة اليهوديّة في الإسكندريّة، يوسف جاؤون، على إثارة تلك المطالب بقوله: «أنا لم أر أي أملاك، كل ما أعرفه هو أملاك الطائفة، وقصة الأملاك الشخصية هذه لا دخل لي بها مطلقاً ولا أعرفها ولا أريد أن أعرف عنها شيئاً. كل الأشياء «المعوجة» لا دخل لي بها ولا أحب أن تمر عليّ، صحيح هي مرت على غيري، ولكني لا أحب أن أتدخل في هذا الموضوع.. أنا أحب «أمشي عدل يحتر عدوي فيّ».

ومن أشهر القضايا التي أقامها يهود مصر لاسترداد ممتلكاتهم، قضية ورثة جوزيف سموحة التي قيّدت برقم ١٤٦ لسنة ٨ قضائيّة أمام محكمة القيم ضد هيئة الإصلاح الزراعي ووزير الماليّة ورئيس جهاز تنمية وتعمير منطقة سموحة، والتي طالبوا فيها برد مساحة ٣٧ فداناً من أرض منطقة سموحة.

ينتسب حي سموحة إلى المليونير اليهودي جوزيف سموحة (١ يناير ١٨٧٨ - سبتمبر ١٩٦١) عميد عائلة سموحة، التي يرجع نسبها إلى يهود بغداد.

كان سموحة رجل اقتصاد وصناعة من الطراز الأول، وفد إلى مصر ليتاجر في الأقمشة، وشغل منصب رئيس مجلس إدارة شركة «صباعي البيضاء». وفي عام ١٩٢٤ جفف بحيرة الحضرة التي كانت تُسمى ملاحه رجب باشا، وبدأ في تشييد حي سموحة. كانت البداية بإنشاء نادٍ

رياضي لممارسة الفروسية في الإسكندرية ما زال يحمل اسمه (نادي سموحة).
كان جوزيف سموحة معروفًا بصداقته الشخصية للملك فؤاد الأول، وقد اشتهر بكرمه في تمويل مشروعات الخدمات الاجتماعية للطائفة اليهودية، وعلى رأسها مساهمته في إنشاء المستشفى اليهودي في حي سيدي جابر في الإسكندرية.

كما أقام ورثة الثري ألبرت ميتزغر الذي ينحدر من عائلة أتت من منطقة الألزاس - اللورين شرقي فرنسا دعوى قضائية عام ١٩٧٨ لاسترداد فندق «سيسيل» الشهير بمحطة الرمل، الذي أنشئ عام ١٩٢٩ وصدر القرار الجمهوري رقم ٥ لسنة ١٩٥٦ بتأميمه لدواع أمنية.
وفي نوفمبر ٢٠٠٧ قال رئيس الشركة المصرية القابضة للسياحة والفنادق والسينما: إنه تم التوصل إلى تسوية نهائية مع ورثة الفندق الأصليين وسداد ثمنه بالكامل، في حين أشارت وسائل الإعلام إلى أن باتريشيا وريثة ميتزغر نالت ما يتراوح بين ٥.٥ ملايين و ١٠ ملايين دولار لتسوية الموضوع⁽¹⁸⁵⁾.

ومن القضايا الشهيرة أيضًا قضية أملاك بيجو، التي رفعها رافال بيجو اليهودي الكندي ذو الأصول المصرية (حفيد نسيم بيجو) وآخرون ضد شركة «كوكا كولا»، التي اتهمها بالاستيلاء دون وجه حق على أملاك أسرته بالقاهرة، بعد قيام الحكومة المصرية في عهد جمال عبدالناصر بفرض الحراسة على ممتلكات أسرة الخواجة بيجو الجدّ إثر قيامها بتحويل مبالغ مالية كبيرة إلى إسرائيل بالتعاون مع الوكالة اليهودية.

وفي صيف عام ٢٠٠٩، أثرت قضية بيع أملاك الطائفة اليهودية بالقاهرة، قبل أن يقرر النائب العام المستشار عبدالمجيد محمود إحالة بدر عامر المقاول المتهم الرئيسي في القضية إلى محكمة الجنايات⁽¹⁸⁶⁾، التي قضت بمعاقبة بدير علي عبدالحميد عامر الشهير ببدر عامر، بالسجن المشدد ٥ سنوات، بعد إدانته بتزوير محررات رسمية، وبيعه عقارات ملك الطائفة اليهودية بمنطقة وسط البلد، والصقالبة بالجمالية. كانت النيابة قد نسبت إلى المذكور اتهامات تتعلق بالنصب علي عضو مجلس الشعب عن دائرة باب الشعرية، محمد عبدالنبي و ٤ آخرين؛ إذ باع لهم أرض المعبد اليهودي، بحارة الصقالبة بالجمالية، وعقارات تخص الطائفة اليهودية بمنطقة وسط القاهرة، كما اتهمته بالتزوير في محررات رسمية والاستيلاء على أملاك الغير⁽¹⁸⁷⁾.

وأثيرت ضجة كبيرة في مصر، حين دعا د. عصام العريان، نائب رئيس حزب الحرية والعدالة، التابع لجماعة الإخوان المسلمين، يهود مصر إلى العودة من إسرائيل واسترداد أملاكهم، وفسح المجال للفلسطينيين للعيش في بلادهم. وحذر البعض من أن هذه التصريحات تعيد فتح ملف التعويضات الضخمة التي يطالب بها يهود مصر⁽¹⁸⁸⁾.

قبل ذلك بفترة وجيزة، أعلنت مباحث القاهرة عن ضبط ١٣ طردًا عبارة عن حقائب كبيرة الحجم داخل شركة شحن بضائع بمدينة نصر، تحوي أوراقًا ووثائق تعود إلى هيئة أملاك الدولة

أو دار الوثائق، حَاصَّةً بأملاك اليهود في مصر، ومنها الأملاك التي صودرت خلال ثورة ١٩٥٢. كانت هذه الطرود مُعدة للخروج إلى الأردن، ويرجح أن تكون وجهتها النهائية إسرائيل، لاستخدامها في إثارة قضية أملاك اليهود المصادرة في مصر (189). وفي عالم المال، الماضي أرنبٌ يقفز دوماً إلى الحاضر، وإن ساعدته قوائمه امتدت القفزة إلى المستقبل أيضاً.

يعد يهود العراق أقدم جالية يهودية في العالم؛ إذ بدأ تاريخهم مع سبي يهود إسرائيل من قبل الآشوريين ثم البابليين فيما عُرف بالسبي البابلي. موجات السبي الرئيسية لبني إسرائيل كانت ثلاثاً هي:

- ١ - سبي سامريا (٧٢١ ق.م.)، حيث سبى الآشوريون اليهود وعلى رأسهم الأسباط العشرة. وخلال هجومه على مملكة يهوذا، ادعى الملك سنحاريب في سجلات التاريخ التي سجلها هو بأنه احتل ٤٦ مدينة محصنة، وقام بترحيل ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ عائلة يهودية إلى مملكة آشور (190).
- ٢ - سبي يهوذا (يهوياكين) (٥٩٧ ق.م.)، حيث سبى نبوخذ نصر ١٠ آلاف (وفي تقديرات أخرى ٥٠ ألفاً) (191) يهودي ونقلهم إلى بابل.
- ٣ - سبي صدقيا (٥٨٦ ق.م.)، التي كانت علامة لنهاية مملكة يهوذا، وتدمير أورشليم ومعبد سليمان الأول. ٤٠ ألف يهودي تقريباً جرى سبيهم إلى بابل خلال ذلك الوقت. وبعد نحو ٢٥٠٠ عام، أصبحوا يشكلون ٤٠ في المائة من سكان بغداد وثاني أكبر مكون في مجتمع العاصمة.

وعندما زار الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي العراق حوالي عام ١١٦٠، روى أنه كان في الموصل ٧٠٠٠ يهودي، ومن مشاهيرهم في عهده الربان زكاي والربان يوسف الفلكي الشهير الملقب ببرهان الفلك، وكان لهم فيها كنائس. وفي الرحلة عاش ٢٠٠٠ يهودي وفي الجبة على الفرات ٢٠٠٠ يهودي، وبلغ عدد اليهود في بغداد ١٠٠٠ نسمة، ولهم عشر جمعيات أو عشرة مجالس، ولكل منها رئيس، ولم يكن لأعضائها عمل غير النظر في مصالح الشعب الإسرائيلي في كل أيام الأسبوع ما خلا يوم الاثنين. وكان للطائفة مستشفيات و ٢٨ كنيسة في جانب الرصافة والكرخ، وكان عددهم في الحلة ١٠ آلاف نسمة (192).

وتكاد المصادر المختلفة تجمع على أن يهود العراق قد تمتعوا بجميع حقوقهم وحررياتهم، وأن علاقاتهم مع المسلمين كانت طيبة للغاية، وأنهم لم يشهدوا ذلك «الغيتو» الذي شهدته إخوانهم في الغرب. ولو حظ أنه عندما فكرت السلطات العثمانية في إصلاح نظامها وقوانينها وشؤون إدارتها نال اليهود شيئاً كثيراً من الاستقرار والتطور في بلاد العراق. وكان أول من فكر في هذا الإصلاح هو السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ - ١٧٨٩). غير أن ما أتاه السلطان محمود من إبادة الانكشارية عام ١٨٢٦ كان من أكبر الخطوات في سبيل الإصلاح وتنظيم الإدارة، علماً بأن هذه الفرقة كانت قد سيطرت على البلاد، وأنت أعمالاً رزح تحت ثقلها الأهالي في طول المملكة وعرضها وضمنها العراق.

واستفاد اليهود من مرسومين عثمانيين، الأول أصدره السلطان عبدالمجيد في ٣ نوفمبر ١٨٣٩ وسُمِّي هذا المرسوم «خط شريف كلخانة» وفيه إجراءات إصلاحية وصون للحرية الشخصية واحترام للملكية والمساواة(193). أما المرسوم الثاني فقد أصدره السلطان عبدالمجيد عام ١٨٥٦ وهو فرمان الإصلاحات، أو كما يسميه البعض «الخط الهمايوني» لعام ١٨٥٦، وتضمن نصوصاً مهمّة لحفظ حقوق المسيحيين واليهود وإدارة شؤونهم الشخصية وسلطة رؤسائهم الدينية وتدبير مؤسساتهم ومساواتهم في الحقوق العامّة مع جميع سكان البلاد(194).

بحلول أوائل القرن التاسع عشر، أعيد تأسيس بغداد كمركز يهودي رائد في الشرق الأوسط. كان هناك أكثر من ٦٠٠٠ يهودي في المدينة، ومعبدان يهوديان ومؤسسات مجتمعية قوية. ويقول الرَّحالة اليهودي بنيامين الثاني الذي زار العراق في منتصف القرن التاسع عشر إن في بغداد ٣٠٠٠ بيت يهودي وتسعة معابد، ويساعد علمهم وصناعاتهم وترفعهم على امتداد التجارة والنشاط العام في العراق. ويقبض اليهود على زمام التجارة وبينهم تجار كبار، وأشغالهم واسعة النطاق. وفي الحلة ٥٠ بيتاً ولهم كنيس واحد. أما في الموصل فقد وجد فيها ٤٥٠ بيتاً لليهود، معظمهم من التجار، ولديهم كنيس كبير. وفي البصرة، وجد فيها ٥٠ بيتاً من اليهود. وطاف بنيامين الثاني في البلدات الكردية: كاربيل، وراوندوز، وكركوك، وانتقد جهلهم بأمور دينهم(195).

وكان لافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ تأثير إيجابي في امتداد تجارة العراق؛ إذ اتجه يهود العراق إلى إقامة بيوت تجارية في أوروبا لا سيما في مانشستر ومارسيليا. وعندما تأسس مجلس المبعوثين عام ١٨٧٦ انتخب من يهود بغداد مناحيم أفندي دانيال عضواً، فسافر إلى الآستانة وحضر جلساته(196).

ومع ذلك، لم يكن هذا العصر الذهبي.

بمرور الوقت، تدهورت السيطرة العثمانية المركزية على المنطقة وتفاقم وضع اليهود، لكن السكان استمروا في النمو بسرعة كبيرة. مثال على هذا التدهور هو اضطهاد داوود باشا، الذي بدأ عام ١٨١٤ واستمر حتى عام ١٨٣١؛ إذ أُجبر كثير من قادة الجالية اليهودية، مثل سليمان معتوق، على الفرار. وأجبر ديفيد ساسون، أحد أبرز قادة المجتمع، على الفرار أولاً إلى بوشهر ثم إلى الهند.

بحلول أوائل القرن التاسع عشر، قيل: إن التجارة بين بغداد والهند أصبحت بالكامل في أيدي الجالية اليهودية. على الرغم من أن التجار اليهود من الشرق الأوسط كانوا يعبرون المحيط الهندي منذ العصور القديمة، فإن الوضع المتدهور في الإمبراطورية العثمانية وظهور الفرص التجارية في الهند البريطانية أدى إلى قيام عدد من يهود العراق بتأسيس أنفسهم بشكل دائم في الهند، في البداية في سورات، ثم بشكل خاص، في كلكتا، وبومباي.

كانت هذه بداية الشتات اليهودي العراقي في آسيا المعروف باسم اليهود البغداديين، حيث فرّ

ديفيد ساسون، والكثير من العائلات اليهودية الرائدة الأخرى في بغداد من اضطهاد داوود باشا. هذه المجتمعات الناطقة باليهودية والعربية، التي تتبع في الغالب عادات يهودية عراقية، سوف تتشكل على طول ما يسمى بطريق الأفيون بين الهند والصين، بما في ذلك سنغافورة، وهونغ كونغ، وشنغهاي. قاد هؤلاء جميعًا عائلات يهودية عراقية بارزة مثل ساسون، وعزرا، وإلياس، ويهودا(197). كانت هذه العائلات راعية فاعلة للحياة الدينية والأعمال الخيرية في العراق (198).

بالمثل، كانت هناك هجرات فردية بأعداد محدودة ليهود العراق إلى فلسطين خلال الفترة بين عامي ١٨١٨ و١٨٥٦، لأسباب اجتماعية واقتصادية بالدرجة الأولى (199).

كتب إسرائيل جوزيف بنجامين، الرحالة والباحث اليهودي الأشكنازي من مولدوفا، الذي أجرى رحلات مكثفة لزيارة حتى أبعد المجتمعات اليهودية السفارديّة والمزراحية في آسيا بين عامي ١٨٤٥ و١٨٥٩، عن بغداد أنه «لا يوجد مكان آخر في الشرق لي وجدت إخوتي الإسرائيليين في مثل هذه الظروف السعيدة تمامًا» (200).

وكان أحد الملامح المشتركة للمجتمعات في بغداد والبصرة التي لاحظها الرحالة الأشكنازيون هو الزواج في سن مبكرة للغاية بالنسبة للفتيات؛ وذلك في حدود سن الثانية عشرة. ملمح آخر هو الحجاب التقليدي للوجه والملابس الطويلة التي كانت ترتديها النساء اليهوديات اللواتي لم يكن من المؤلف أن يُظهرن وجوههن في الأماكن العامة مثل جاراتهن المسلمات.

خلال القرن التاسع عشر، تلاشى تأثير العائلات اليهودية في حلب في القرن العشرين مع ظهور بغداد كمركز يهودي واقتصادي قوي في حد ذاتها. نما عدد السكان اليهود بسرعة كبيرة حتى أنه بحلول عام ١٨٨٤، كان هناك ٣٠.٠٠٠ يهودي في بغداد. وبحلول عام ١٩٠٠، كان هناك ٥٠.٠٠٠، وهو ما يمثل أكثر من ربع إجمالي سكان المدينة. استمرت الهجرة اليهودية على نطاق واسع من كردستان إلى بغداد طوال هذه الفترة. بحلول منتصف القرن التاسع عشر، نمت البنية التحتية الدينية لبغداد لتشمل مدرسة دينية كبيرة درّبت ما يصل إلى ٦٠ حاخامًا في ذلك الوقت. ازدهرت الدراسات الدينية في بغداد، والتي أنتجت حاخامات عظام، مثل: جوزيف حايم بن إياهو مزال توف، المعروف باسم بن إيش شاي (١٨٣٤ - ١٩٠٩)، والحاخام عبدالله صوميح «سومخ» (١٨١٣ - ١٨٨٩).

وفي الجيل الأخير من يهود العراق اختفت الاختلافات في الأسماء. وفي حين أن قلة فقط من اليهود واطبت على إطلاق الأسماء التوراتية، فإن الأغلبية راحت تستخدم أسماء عربية وأوروبية، مثل فيصل وغازي وريتشارد وموريس؛ لذا فقد بات صعبًا في كثير من الأحيان تمييز اليهودي من اسمه (201).

في تاريخ العراق المعاصر كانت الغالبية العظمى من يهود العراق تسكن المدن، وكانت فئة قليلة منهم تسكن الريف، وتركزت في ريف شمال العراق. وتشير الإحصاءات المتاحة إلى أن أكثر

الأقليات الدينيّة في العراق تحضرًا هم اليهود ونسبة تحضرهم ٩٦٪؛ مما يشير إلى الارتباط الوثيق بين توطن يهود العراق وبين المراكز الحضريّة. هذا الارتباط مرجعه ميل اليهود إلى ممارسة الحرف الحضريّة وتجنبهم للحرف الريفيّة، فحتى الـ٤٪ من اليهود الذين استوطنوا الريف لم يمارسوا حرفًا ريفيًّا كالزراعة، وإنما كانوا يقدمون بعض الخدمات للريفيين، مثل إقراض المزارعين بنسبة فائدة، أو بيعهم بعض المواد الاستهلاكية(202).

كان المجتمع اليهودي العربي في العراق أحد أكبر المجتمعات اليهوديّة العربيّة، وأعرقها؛ وتراوح عدده، قبل عمليات التهجير، بين ١٣٥ ألفًا و ١٥٠ ألف نفس، توزع معظمهم في المدن الكبرى(203). وتشير الإحصائيات إلى أن يهود بغداد شكّلوا، يومًا ما، ثلث سكان المدينة، وكان بعض يهود بغداد من أغنى أغنياء اليهود في العالم، صيارفة، وتجارًا دوليين(204).

سكن هؤلاء اليهود بشكل أساسي في المدن الرئيسيّة مثل: بغداد، والبصرة، والموصل، لكن كان لليهود وجود رئيسي في الكثير من المدن الأخرى مثل: السليمانية، والحلة، والناصرية، والعمارة، والديوانية، والعزير، والكفل، وأربيل، وتكريت، وحتى النجف التي احتوت على حي لليهود سُمي بعقد اليهود (عكد اليهود) وحي آخر في الساحل الأيمن من الموصل يسمى بمحلة اليهود (سوق اليهود) وغيرها من المدن.

وعلى الرغم من انتشار اليهود في معظم المدن العراقيّة، فإن حضورهم في بغداد والبصرة كان لافتًا؛ لأن بغداد كانت مركز كل الجهات الحكومية والإداريّة في البلاد، في حين كانت البصرة مركزًا إداريًا وتجاريًا ضخمًا؛ لذا شكّلت المدينتان قوة جذب اقتصاديّة لليهود؛ ونتيجة لهذا العامل الاقتصادي، فقد هاجر إليها يهود كردستان، بل ويهود إيران أيضًا(205).

أسس يهود بغداد «حي التوراة» ضمن منطقة «قنبر علي»، وقد تعرّض الحي إلى عمليات نهب وسلب وقتل ضمن حوادث «الفرهود» الشهيرة في مطلع يونيو ١٩٤١.

وما زالت أحياء منطقة «قنبر علي» تدل على الطابع العمراني اليهودي، على الرغم مما تعرضت له من إهمال. ويشير باحثون إلى أن الكثير من «الشناشيل» التي تحتوي على نجمة داوود تدل على أنها تعود إلى أسر يهوديّة.

وإضافة إلى أحياء اليهود الشهيرة في بغداد، مثل: «تحت التكية»، و«أبو سيفين»، و«سوق حنون»(206)، انتشر اليهود في غالبية المدن العراقيّة، مثل: الموصل، والناصرية، والبصرة، وسامراء. وهناك مئات المواقع التراثيّة اليهوديّة في تلك المدن.

بحلول مطلع القرن العشرين، شكّل اليهود شريحة مهمّة من أكبر ثلاث مدن عراقية: فقد شكّلوا ما يصل إلى ٤٠ في المائة من سكان بغداد، وربع سكان البصرة وجزءًا كبيرًا من سكان الموصل. وفي أواخر أربعينيات القرن العشرين في بغداد، كانت الجالية اليهوديّة تمول أكثر من ٦٠ كنيسة ومدرسة ومستشفى وعيادة صحيّة.

وبلغ عدد يهود العراق بحسب إحصاءات سلطات الاحتلال البريطاني في عام ١٩٢٠ (٨٧ ألفاً و٤٨٧ نسمة)، منهم ٥٠ ألفاً في بغداد وحدها، وستة آلاف في الديوانية، و٧٦٣٩ في الموصل، و٤٨٠٠ في أربيل، و٦٩٢٨ في البصرة، وثلاثة آلاف في العمارة، و٢٦٠٠ في دليم، و١٤٠٠ في كركوك، و١٠٠٠ في السليمانية، و١٦٨٩ في ديالى، و١٠٦٠ في الحلة(207).

ويذكر الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ أن عدد اليهود في العراق خلال السنة المذكورة ارتفع إلى نحو ١٢٠ ألف نسمة، سكن ثلثهم مدينة بغداد، وانتشر الباقون في البصرة والموصل والمناطق الكردية وغيرها من مدن العراق(208).

شكّلت العائلات اليهودية عنصراً مهماً في المجتمع العراقي، فقد كان يهود العراق نشطاء في كل مجالات الحياة: من صياغة، وأطباء، ومهندسين، واقتصاديين، ورجال أعمال، ومزارعين، وقضاة، وموسيقيين، ومطربين، ووزراء، وحاخامات. إلا أن نشاطهم في المجال الاقتصادي قد فاق الأنشطة الأخرى، وهذه صفة يشترك فيها اليهود بشكل عام.

لم تعد أنشطة اليهود الاقتصادية بدءاً من القرن التاسع عشر مقصورة على المجالات التقليدية، فقد عملوا في مجالات عديدة أخرى. وتفيد كتابات الرحالة التي يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأن غالبية يهود العراق كانوا يعملون في المهن اليدوية، والصرافة، وفي إنتاج الصابون، والزيت، والحلويات، والنبيد، كما عملوا أيضاً في التجارة(209).

وحين تأسس في بغداد البنك العثماني الذي كان أول بنك حديث في العراق، ثم أقيمت بنوك أخرى، كان معظم المشتغلين فيها من اليهود. وبينما أضر نظام البنوك الحديث باليهود الذين عملوا في الصرافة، فإنه أتاح لهم فرصة تغيير نظامهم التقليدي في الصرافة، وفرصة إقامة بعض البنوك اليهودية التي كان منها بنك زلخة، وبنك كريدية، وبنك عبودي، وهي البنوك التي أصبحت من أبرز المؤسسات المالية في العراق. وبلغ رأسمال بنك زلخة في عام ١٨٩٩ ٢٥٠ مليون دولار، ووصلت أنشطته إلى كل من: لبنان، ومصر، وسوريا، والولايات المتحدة، وأوروبا، وأمريكا الجنوبية، والشرق الأقصى(210).

يُذكر أن التجار العراقيين لم يكتفوا لأهمية الخدمات البنكية، فكان البنك هو الذي «يذهب» إلى دكاكينهم في سوق بغداد. ومن ذلك أن اليهودي يوسف «جوزيف» سموحة يدور عليهم صباحاً، بصحبة فراش يحمل أكياس النقود. ولم يستمر يوسف في هذه الوظيفة، فسرعان ما تركها إلى بريطانيا، ثم هاجر إلى مصر ليكون من أغنيائها، وشيّد هناك مدينة «سموحة». وحكاية سموحة واحدة من مئات حكايات اليهود العراقيين، الذين برزوا في الشتات، وأصبحوا من الوجهاء، فعائلات: آل ساسون، وإدوارد شلدون تبوأ أبنائها مناصب وزارية في بريطانيا. على أن «صراف باشي»، رئيس صياغة بغداد، هرب إلى مدينة أبي شهر الإيرانية بعدما غضب والي بغداد المملوكي عليه، وهناك أسس خلال عشرة أعوام أسرة داود ساسون، التي اشتهرت بالتجارة

والعلاقات العامّة، ثم أسست في بريطانيا «روتشيلد الشرق».

ما إن وضعت الحرب العالميّة الأولى أوزارها وتخلّص العراقيون من استبداد العثمانيين وظلمهم حتى هبوا للعمل على تأسيس دولة تكفل لمواطنيها على اختلاف مللهم ونحلهم من مسلمين ومسيحيين ويهود كآفة، تكفل لهم المساواة وحرية العقيدة والعبادة لتكوين مجتمع تسوده روح المحبة والأخوة.

ومن مشاهير عائلات يهود بغداد في تلك الفترة: عائلة دانيال، وعائلة حاخام حسقيل، وبيت المعلم إياهو، وعائلات زلوف، وشلومو داوود، وإسحق، وطويق، وعاني، وبيخور، وشماش(211). كانت بداية القرن التاسع عشر، قد شهدت ظهور بعض الشخصيات الماليّة والتجاريّة المهمّة في بغداد (مثل الشيخ ساسون بن صالح عميد عائلة ساسون التي استوطنت الهند فيما بعد، وإسحق المصرفي، ومناحم عيني)، كما ازدهرت الأوضاع الاقتصاديّة لأعضاء الجماعة اليهوديّة بعد افتتاح قناة السويس حيث أصبح خط التجارة الواصل بين إنجلترا والهند يمر عبر البصرة. وكان من أهم الشخصيات الماليّة في البصرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر: خوجا يعقوب، وأدون عبدالله. وسيطر اليهود تقريبًا على تجارة الصادرات والواردات وعلى نسبة عالية من تجارة التجزئة، كما احتكروا تجارة أهم البضائع في أسواق العراق (مثل صناعة: الأبسطة، والحصر، والأثاث، والأحذية، والأخشاب، والأدويّة، والأسلحة، والأقمشة، والتبغ، والأرز، والحلويّات). كما كانوا من كبار تجار الأحجار الكريمة والجواهر ومن كبار الصاغة. وكان أصحاب أكبر الشركات في بغداد (شركة خضوري، وعزرا ميدلاوي) الوكلاء الوحيدين لاستيراد دهون وشحوم شركة «موبل أويل» الأمريكيّة للبتترول بفرعها في البصرة والموصل وكركوك. وكان يهود البصرة يحتكرون ٩٥٪ من الأعمال التجاريّة في البلاد عام ١٩١٤. ورغم تراجع النسبة قليلاً، ظلت ٨٥ - ٩٠٪ عام ١٩٣٣، و٦٥ - ٧٥٪ في عام ١٩٤٦. وكان ٩٥٪ من واردات العراق قبل الحرب العالميّة الثانية (ولكن ١٠٪ فقط من صادراتها) في يد اليهود. وكان أغلبها، وهو ما كان يُسمّى «بضائع مانشستر»، وكان يتم استيرادها من مانشستر بإنجلترا. وحقق أعضاء الجماعة اليهوديّة ثروات كبيرة من خلال إعادة تصدير هذه البضائع إلى إيران(212).

كان المجموع العام لأعضاء اللجنة الإداريّة لغرفة تجارة بغداد خلال السنة الماليّة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ هو ١٨ عضوًا، منهم تسعة من اليهود. وخلال عام ١٩٣٦، كان من أصل ٣٩ صرافًا مسجلاً في بغداد، ٣٥ من اليهود. أما خلال السنة الماليّة ١٩٣٨ - ١٩٣٩، فقد بلغ المجموع العام لعدد أعضاء غرفة تجارة بغداد من جميع درجات العضويّة الست، ٤٩٨ عضوًا، منهم ٢١٥ عضوًا من اليهود(213).

استفاد يهود العراق بشبكة علاقاتهم التجاريّة والماليّة في الخارج، وخصوصًا مع اليهود العراقيين الذين استوطنوا في الهند والشرق الأقصى وإنجلترا (مثل عائلة ساسون، وعائلة عزرا).

أما بعد عام ١٩٤٨، فقد انخفضت النسبة إلى ٢٠٪ من واردات العراق و ٢٪ من صادراتها. وفي حكومة الانتداب البريطاني، سيطر اليهود على ما يربو على ٩٠٪ من حركة الواردات وأعمال المقاولات، وشغلوا أيضاً ٥٠٪ من حجم الوظائف الحكومية، وعملوا في مجالات التدريس والطب والصيدلة والصحافة والمحاماة⁽²¹⁴⁾. وعمل كثير من يهود العراق في هيئتي البريد والموصلات⁽²¹⁵⁾، وعمل آخرون في مجال تزويد معسكرات الجيش البريطاني باحتياجاته الغذائية، محققين جراء ذلك ثراءً كبيراً⁽²¹⁶⁾؛ بل إن بعضاً منهم تطوع في صفوف القوات البريطانية⁽²¹⁷⁾.

وكان لليهود، عام ١٩٢٤، أربعة نواب في البرلمان، اثنان منهم عن بغداد، وواحد عن كل من: البصرة، والموصل، وأصبح لهم، عام ١٩٤٦، ستة نواب أسوة بالطائفة المسيحية، وقد ألغي تمثيلهم عام ١٩٥٢ بعد الهجرة الجماعية⁽²¹⁸⁾.

استمرت الطائفة اليهودية على نشاطها وازدهارها بعد تأسيس الحكومة العراقية عام ١٩٢٠ وتتويج الملك فيصل الأول في العام التالي. وفي عام ١٩٣٣ تُوفي فيصل الأول، وفي توقيت متزامن جاء أولف هتلر إلى السلطة في ألمانيا، وأخذ الدكتور غروباً وزيره المفوض في بغداد يبيث الدعاية النازية ويحرّض الطبقة المثقفة ضد اليهود عموماً.

في الفترة المذكورة، وجدت الصهيونية في البيئة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في العراق ما ساعدها على تحقيق أهدافها اعتباراً من عشرينيات القرن العشرين. كان يهود بغداد سمعوا، لأول مرة، شيئاً عن الصهيونية من خلال الصحافة العبرية نهاية القرن التاسع عشر. وكانت المدارس اليهودية مع الصحافة أداة للدعاية للصهيونية ونشر أفكارها في العراق.

ويعود تاريخ إنشاء أول مدرسة يهودية في بغداد إلى عام ١٨٣٢ من قبل موشي لاوي، وتُدعى «مدراس تلمود وتوراة»، وكانت تُعنى بالدروس الدينية، كما أسست جمعية «الأليانس» مدرسة «الأليانس» الابتدائية والمتوسطة في بغداد عام ١٨٦٤ وعهدت رئاستها إلى المستر ماركس بمشاركة اثنين من اليهود الأوروبين هما: إسحق لورين ساعاتي، وهيرومان روزنفيلد خياط، وعُنيت كغيرها بتعليم اللغات الأجنبية مثل: الفرنسية، والإنجليزية، ولم تغفل عن اللغة العبرية كي يتقنها الطلاب فيتصلوا بكتبهم المقدسة، وتخرّج في هذه المدرسة معظم رجال اليهود في بغداد. وأسست أول مدرسة يهودية للبنات عام ١٨٩٣، وهي مدرسة لورا خضوري الابتدائية والمتوسطة للبنات، كما تأسست مدرسة رفقة نورائيل الابتدائية للبنات عام ١٩٠٢.

كان بعض هذه المدارس مختصاً بدروس المحاسبة والمالية ومسك الدفاتر، واعتنت جميعها باللغات الأجنبية؛ ولذا تخرج فيها كبار موظفي المالية والتجارة والنفط والاقتصاد في العراق، وانصرف بعضها لتعليم المهن اليدوية والحرف والصناعات خاصة للبنات⁽²¹⁹⁾. نشطت مدارس اليهود في الدعاية للصهيونية؛ بل كانت بيئة خصبة لها، وألحق بسبع منها معابد لليهود، وتوسعت

بعضها في رياض الأطفال حتى يغرسوا ثقافتهم في نفوس الأطفال مبكرًا. وبادر أفراد قلائل في البصرة وبغداد إلى تبادل الرسائل مع المنظمة الصهيونية العالمية التي كانت قد اتخذت من برلين مقرًا لها. أما أول جمعية صهيونية في العراق فقد تأسست في البصرة عام ١٩١٣ على يد محام يهودي يدعى (أي. ايسايك)، ومصور يدعى (جي جي أرون)، وتألقت من عشرة أعضاء، وشرعت بإقامة مدرسة عبرية حديثة في البصرة. بعدها، تأسس تنظيم صهيوني في بغداد عام ١٩١٤. وفي ١٩١٧، صدر وعد بلفور؛ لكن ردود الفعل في أوساط يهود بغداد اتسمت بعدم المبالاة(220).

بدأت المنظمات الصهيونية في إرسال مبعوثيها إلى العراق منذ عقد العشرينيات. وكان وضع الحركة الصهيونية في البصرة أنشط من نظيره في بغداد، ربما لعدم اهتمام السلطات بمتابعة كل ما يدور فيها، فتنشأت في هذه المدينة رابطة صهيونية ضمت عشرات الأفراد، وتأسست بها في نهايات عام ١٩١٣ أو بدايات عام ١٩١٤ مدرسة عبرية صغيرة ذات توجهات صهيونية(221). وتأسس أول محفل ماسوني في البصرة عام ١٩١٨ بمبادرة من الجنود الإنجليز، ثم تبعه محفل آخر في بغداد.

كان العراق قد شهد قبيل الحرب العالمية الأولى تأسيس عدد من الجمعيات اليهودية بعضها كان علنيًا بينما كان البعض الآخر سرّيًا، ووصل عدد المعلن منها عام ١٩٣٠ إلى ٢١ جمعية وناديًا يهوديًا(222)، وخاصة بعد إنشاء مكتب أو إدارة تابعة للوكالة اليهودية تتولى أمر النشاط الصهيوني في البلاد العربية يشرف عليه اثنان من اليهود العرب، وله نفوذ وعلاقات على أعلى المستويات مع شخصيات عربية وخاصة في لبنان(223). استطاعت هذه الجمعيات التواصل مع بعض أفراد الأقلية اليهودية في الكويت والبحرين، وبخاصة أن أغلبية أفرادها قد جاؤوا من العراق. الشاهد أن الجماعات الصهيونية في العراق لعبت دورًا مهمًا في جذب بعض أفراد الأقلية اليهودية في الكويت والبحرين للإيمان بالصهيونية، وتقديم الدعم لدولة إسرائيل الناشئة.

ويمكن أن نعزو نجاح الحركة الصهيونية في العراق إلى ثلاثة عوامل، أولها: أن الحركة الصهيونية استطاعت تحليل واقع المجتمع العراقي بشكل عام، وواقع الطائفة اليهودية في العراق بشكل خاص، وتمكنت بفعل هذا التحليل من معرفة القوى المؤيدة والمعارضة والمحايدة للنشاط الصهيوني، ثم رسمت بالتالي سياستها الدعائية للتأثير على هذا المجتمع. وثانيها: تنظيم دقيق قوامه الطائفة اليهودية في العراق يتغلغل في جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمع العراقي. وثالثها: المال الذي يمكن هذا التنظيم من الحركة والنشاط من أجل الوصول إلى الأهداف الدعائية لهذا النشاط(224).

كانت المدارس اليهودية في العراق خلال عقد العشرينيات من القرن العشرين القاعدة الفكرية والسياسية للتوجه الصهيوني في العراق، وخاصة بعد عام ١٩٢١. وتركز النشاط الصهيوني في

أوساط خريجي مدارس جماعة «كل شعب إسرائيل أصدقاء». كما انتشرت الكتب والمطبوعات التي تروج للصهيونية، بالإضافة إلى المجالس اليهودية، مثل مجلس مناحيم دانيال ومجلس الحاخام ساسون خضوري ومجلس نعيم زلفة ومجلس يوسف الكبير، والمحافل الماسونية وخاصة في بغداد والبصرة⁽²²⁵⁾، وتأسست الصحف العبرية مثل: «يشرون»، و«المصباح»، و«الحاصد»، و«سباق حاسين»، وكذا الجمعيات الصهيونية مثل: الجمعية الأدبية العبرية، والجمعية الصهيونية في بلاد ما بين النهرين في البصرة، وجمعية الشبيبة الإسرائيلية، وجمعية خريجي مدرسة «الأليانس» في البصرة، وجمعية «كيرن كايميت» (الصندوق القومي اليهودي)، ونادي لورا خضوري، وجمعية احي عبير، ومنظمة الشبيبة العبرية⁽²²⁶⁾.

وفي العام ١٩٢١، أسست القيادة الصهيونية «جمعية العون والمساعدة للعابرين الإسرائيليين» Aid and Addidance foc Idœalie Paddeod - Thoofgh في بغداد؛ بهدف التعامل مع اللاجئين اليهود الذين وصلوا إلى المدينة من كردستان، والاتحاد السوفيتي. رعت هذه الجمعية إنشاء المكتبات والمجموعات الدراسية التي اعتنت بنشر اللغة العبرية؛ وذلك بتشجيع من المدرسين الذين أرسلوا من فلسطين⁽²²⁷⁾.

وفي الوقت الذي سُمح فيه في شهر مارس من العام ١٩٢١ بإقامة رابطة صهيونية في العراق، أصدر المندوب السامي البريطاني في عام ١٩٢٢ قرارًا بوقف أنشطة هذه الرابطة، كما طالب زعماء الطائفة اليهودية في بغداد أهارون ساسون رئيس الرابطة الصهيونية بالحد من نشاطه، وقررت الطائفة إزاء إصراره على ممارسة نشاطه الصهيوني وقفه عن العمل في مدارسها، ولكنه أنشأ مدرسة خاصة بث من خلالها أفكاره الصهيونية، هي مدرسة «برديس هيلديم» (أي فردوس الأولاد)، وبلغ عدد طلابها في عام ١٩٢٤ (٢٥٠) فتى، وفي العام التالي أصبحوا ٣٥٠، وقد تغافلت الحكومة عن أمر المدرسة التي لم تصدر تصريحًا رسميًا بتأسيسها إلا في عام ١٩٣٠، وظلت قائمة حتى مغادرة أهارون ساسون بغداد إلى خارج العراق عام ١٩٣٥⁽²²⁸⁾.

كما توقف حاخامات الطائفة في عام ١٩٢٦؛ بسبب خوفهم من رد فعل المجتمع الإسلامي، عن جمع التبرعات لصالح «الصندوق القومي اليهودي» أو لصالح أي مؤسسات صهيونية أخرى. مع ذلك، كان لبعض الروابط الصهيونية في العراق إبان عقد العشرينيات بعض المنجزات المهمة في مجالي التبرعات «للصندوق القومي اليهودي»، وشراء الأراضي في فلسطين. ولا يدل حجم التبرعات التي قدمها يهود العراق إبان عقد العشرينيات على مدى تحمسهم للفكرة الصهيونية فحسب، وإنما يدل أيضًا على أن أوضاعهم الاقتصادية إبان فترة الاحتلال البريطاني للعراق كانت جيدة؛ ولذلك رأت المنظمات الصهيونية أنه من الممكن الاعتماد على يهود العراق في مجال التبرعات المالية، وليس في مجال الهجرة إلى فلسطين. وربما يكون خير دليل على هذا الأمر أن المؤسسات الصهيونية في فلسطين لم تهتم كثيرًا بإرسال مدرسين يهود من فلسطين إلى

العراق(229). ويعد المعلم أبراهام روزين، الذي وصل العراق قادماً من فلسطين عام ١٩٢٩، من أبرز المدرسين الصهيونيين في العراق؛ إذ بدأ بالتدريس في مدرسة «شماش»، فقام بتدريس التوراة، واللغة العبرية، والأدب العبري الحديث.

ومن مظاهر ازدياد النشاط الصهيوني في المجال الثقافي والتربوي، افتتاح مدارس جديدة للطائفة اليهودية، ومن هذه المدارس: المدرسة الوطنية، التي افتتحت عام ١٩٢٣ وهي من المدارس الابتدائية للبنين، ومدرسة نوعم وطوبه الابتدائية للبنات، وقد افتتحت عام ١٩٢٩، ومدرسة شماش الإعدادية للبنين التي أنشئت عام ١٩٢٨، وكانت تُدرّس فيها التوراة، واللغة العبرية، وبعض اللغات الأجنبية. وشرع قسم من الصهيونيين في استيراد الكتب الصهيونية من فلسطين؛ فقد وصل عام ١٩٢٣ إلى بغداد قادماً من القاهرة ميخائيل سر كيس، وهو مسيحي سوري، للترويج لكتابه «النهضة الإسرائيلية وتاريخها الخالد» الذي طُبِعَ في مطبعة رمسيس في شارع الفجالة(230).

كذلك قامت دور السينما المملوكة ليهود في العراق بعرض الأفلام الصهيونية والدعائية للمستعمرات ومدن تل أبيب وحيفا وهرتسليا، كما جاء في مجلة «المصباح» بتاريخ ٣ يونيو ١٩٢٦، كما عُرض فيلم دعائي سافر للصهيونية عنوانه: «بئر يعقوب» في أكتوبر ١٩٢٧؛ ما أثار استياء الرأي العام العراقي، وهو ما عبّرت عنه جريدة «الاستقلال» العراقية(231).

وتأسست في العراق إبان عقدي العشرينيات والثلاثينيات بضع روابط شبابية صهيونية، كان من بينها رابطة «مكابي»، و«هكواح» (القوة)، ورابطة «ناشري اللغة العبرية»، ورابطة «الوحدة»، و«أحيعير» وغيرها. وسرعان ما تصدرت «الهاغاناه» و«هيحالوتس» (الطليعي - الرائد)، قائمة المنظمات الصهيونية الرئيسية في العراق، وعملت هذه المنظمات على مساعدة الشباب على الانضمام إلى المنظمات الصهيونية السرية والهجرة إلى فلسطين(232).

وخلال صيف عام ١٩٣٤، كانت من بين التنظيمات السرية الصهيونية في العراق، جمعية «أهي عبر»، التي اشتملت أنشطتها السرية على تسهيل هجرة اليهود العراقيين إلى فلسطين، وتعليم اللغة العبرية، وعقد اجتماعات، وإلقاء محاضرات، وجمع تبرعات مالية للصندوق القومي اليهودي. وكان معظم أعضاء هذه الجمعية من الطلبة الشباب الذين كانوا يدرسون في المدارس اليهودية في بغداد، مثل مدرسة شماش، ومدرسة الأليانس، ومدرسة التعاون الفرنسية المنشأة L'Alliance لصاحبها راحيل شمعون(233).

استغلت الحركة الصهيونية ظروف الحرب العالمية الثانية، ومهدت الطريق أمام عدد من الصهاينة للتسلل من فلسطين إلى العراق، بذريعة انتسابهم كجنود متطوعين في الجيش البريطاني. في مقدمة هؤلاء المتسللين عزرا سيرين، الذي جاء إلى بغداد بصفة مندوب شركة البناء الكبيرة «سوليل بونيه» في شهر أبريل من عام ١٩٤٢، وبمجرد وصوله، باشر بتنظيم الحركة الصهيونية

السريّة في العراق. لحق به فيما بعد في العام نفسه اثنان آخران أرسلتهما الحركة الصهيونيّة، هما عزرا خضوري، وكان من سكان كيبوتز «ماعوز حايم»، وشمرياهو غوتمان من سكان كيبوتز «ناعن»، وكلاهما من أوائل رجال «البالماخ».

تسلل الاثنان خلسة بصفة سائقي شاحنات للقوات البريطانيّة في العراق، واتصلا مع عزرا سيرين بعميل آخر يعمل في العراق يُدعى سالم خليفة، وهو المسؤول عن منظمة «شباب الإنقاذ» الصهيونيّة، وعملوا جميعًا على تثقيف أكبر عدد من يهود العراق بالفكر الصهيوني، وتعليمهم مبادئ اللغة العبريّة، وتدريبهم على حمل السلاح. أما نشاطهم لدفع اليهود بالهجرة غير الشرعيّة إلى فلسطين فلم يتوقف (234).

وقد انكشف أمرهم عندما تم إلقاء القبض على خمسة من اليهود العراقيين وهم في طريقهم من العراق إلى فلسطين، من قبل السلطات العراقيّة؛ مما أدى إلى إيقاف الأنشطة العسكريّة للحركة، كما تسبب في نشوب خلافات وتراشق الاتهامات بين يهود العراق أنفسهم، وكذلك فيما بين القادة الصهاينة في فلسطين وبين زعامة يهود العراق.



يهود عراقيون خلال نقلهم جواً إلى إسرائيل

بالتزامن مع هذا كلّ، كان هناك تحرك في الاتجاه المضاد؛ فقد أدرك عددٌ من المثقفين اليهود العراقيين خطر الدعوة الصهيونيّة، حذر اليهودي مناحيم صالح دانيال -الذي عُيّن ممثلاً للطائفة اليهوديّة في مجلس الأعيان العراقي بين عام ١٩٢٥ و ١٩٣٢ - المنظمة الصهيونيّة العالميّة من نشر دعايتها في بغداد على يد المبعوث اليهودي بن تسيون، ووصف هذا النشاط بأنه يهدف إلى إثارة البلبلة في فكر الطبقة الفقيرة من اليهود وجعلها تعتقد أن الصهيونيّة سببٌ في تخليصها من ذلك الخوف والاضطراب والقلق، وإيصالها إلى حالة عدم الحاجة إلى مراعاة شعور العرب،

والإيحاء لهم أن موقف يهود العراق معادٍ لهم. ولم يرغب رئيس الطائفة اليهودية في البصرة، يعقوب نوح، في العمل من أجل القضية الصهيونية، وكذلك يحزقيئيل ساسون، حاخام البصرة، ويعقوب موسي، رئيس الطائفة اليهودية في خانقين، الذي وقّع على برقية يندد فيها بالصهيونية⁽²³⁵⁾.

ونشر يوسف الكبير، أحد كبار المثقفين اليهود وهو مُحام شهير، رسالة، في جريدة «الأوقات» العراقية عام ١٩٣٨، فنّد فيها الادعاءات الصهيونية، وهاجم فيها الدعوة إلى إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. ورغم ترحيب سلطات الانتداب البريطانية بزيارات موفدي المنظمة الصهيونية للعراق، فقد تناقص حجم التبرعات التي قدّمها اليهود العراقيون خلال عام ١٩٢٥ إلى المنظمة الصهيونية. لكن معظم يهود العراق كانوا يتجاهلون هؤلاء الموفدين، وعندما سمحت السلطات العراقية للمنظمة الصهيونية بالعمل رسمياً في العراق، اعترض وجهاء المجتمع اليهودي المحلي على ذلك لدى سلطات الانتداب⁽²³⁶⁾.

وفي الأول من سبتمبر ١٩٢٩، أرسل عدد من اليهود العراقيين بركات إلى جريدتي: «العراق»، و«النهضة» أعربوا فيها عن دعمهم للموقف العربي المعارض لوعده بلفور، وألقى الشاعر العراقي اليهودي أنور شأوول كلمة في مؤتمر نصرة فلسطين ومناهضة المشروع الصهيوني، في ١٣ سبتمبر ١٩٢٩، ندّد فيها بوعده بلفور.

من الناحية السياسية والحزبية، كان نشاط اليهود محددًا ضمن إطار الحزب الشيوعي السري. وفي أوائل العام ١٩٤٥، عندما أجازت الحكومة تأسيس نقابات وأحزاب علنية، انتهاز الشيوعيون الفرصة ودفعوا بعدد من أعضائهم لتأسيس جمعية «عصبة مكافحة الصهيونية»، التي انخرط فيها عدد من اليهود⁽²³⁷⁾. إضافة إلى أن الأساليب التي اتبعتها الصهيونية، عبر تغذية المشاعر القومية الدينية، لم تكن ناجحة بسبب صعود تيار الحداثة لدى اليهود العراقيين، وتبني الكثيرين للعلمانية، وعدم حرصهم على التقاليد اليهودية بسبب اندماجهم، أو سعيهم للاندماج في مجتمعاتهم⁽²³⁸⁾.

وقد أصدرت «عصبة مكافحة الصهيونية» في العراق عدة كراسات حول انعدام الصلة بين اليهود العراقيين والحركة الصهيونية، وأصدرت جريدتها «العصبة»، التي نشرت سلسلة مقالات حول فضح الصهيونية وارتباطها بالاستعمار العالمي، وأكدت باستمرار أن ليس لليهود قضية منفصلة عن شعوبهم، معتبرة أن الصهيونية عميلة للإمبريالية وأداة لها، ورأت في الفاشية والصهيونية «توأمين لبغي واحدة هي العنصرية»⁽²³⁹⁾.

ويمكن القول: إنه في الوقت الذي سعى فيه التيار الحاخامي، لأسباب دينية، إلى معارضة الصهيونية في البداية، وحارب بشدة أفكار «كل شعب إسرائيل أصدقاء» الاندماجية المتحررة؛ نتيجة حرصه على عدم تداعي شبكة النفوذ التي يفرضها على اليهود، وحماية البنية البطيريركية الإكليريكية للمجتمع اليهودي القديم، فإن هذه الطبقة وجدت نفسها تدريجًا في أحضان الصهيونية،

ففشلت في المحافظة على نفوذها ومصالحها من جهة، وقدمت رعاياها لُقمة سائغة للصهيونية⁽²⁴⁰⁾. في فورة المد القومي، أنشئ نادي «المتنى» الذي جمع الوطنيين المتعصبين للقومية العربية، ونشط المدرسون الوافدون من فلسطين وسوريا في نشر الدعاية المناهضة، وكانت هذه الدعاية بارزة بوجه خاص في وزارة المعارف.

كانت أولى الإجراءات الحكومية تجاه الصهيونية في ثلاثينيات القرن العشرين هي إرغام هارون ساسون معلم إياهو ناحوم الملقب بـ«المورية» رئيس الجمعية الصهيونية في بغداد، على إيقاف نشاطه الصهيوني؛ لأن الحكومة العراقية لم تكن تعترف بأية جمعية تخالف قانون تأليف الجمعيات⁽²⁴¹⁾. ومن بين أبرز الإجراءات الحكومية في تلك الفترة للحد من النشاط الصهيوني في العراق، هو وضع أبرز الأفراد المتهمين بالصهيونية تحت مراقبة الشرطة، ومنهم: إسحق قرعين، وسلمان شينه، ويهودا زلوف، وإياهو دنكور، وكرجي لاوي؛ إذ اشتبعت السلطات في اجتماعهم في نوادي: الرشيد، والزوراء، ولورا خضوري؛ بهدف الترويج للدعاية الصهيونية. كما قررت السلطات العراقية مراقبة مجموعة من الشباب اليهود الذين يجتمعون في المكتبة العبرية في محلة (حي) التوراة، ومنهم مدير المكتبة ناجي يعقوب، وعزرا رحانة، وأنور رجوان لتبادل الآراء في المسألة الصهيونية⁽²⁴²⁾. أعقب ذلك مراقبة أربع مجموعات يهودية لجمع الأموال من الطائفة الإسرائيلية لإرسالها إلى فلسطين باسم الفقراء وتشجيع الزواج، وهي جماعات: «تومخيه تورا» (محافظة التوراة)، و«فاعاد هانسوئيم» (جمعية الزواج لمعاونة الفقراء)، و«دورشيه تورا» (طلاب العلم)، و«بعلى باتيم مينوعيم» (مساعدة بيوت الفقراء).

ويمكن اعتبار إجراءات وزير الاقتصاد والمواصلات أرشد العمري عام ١٩٣٤ من أشد الإجراءات الحكومية تجاه اليهود في العراق خلال عقد الثلاثينيات؛ حيث طرد ١٥٠ من الموظفين اليهود في وزارته، وكان من بينهم اثنان من كبار الموظفين اليهود، أحدهما بدرجة مدير عام، وهما: ساسون زلخة، وجوزيف صبون، ويبدو أن دخول المطبوعات والمنشورات الصهيونية إلى العراق هو السبب في إقدام الوزير العمري على هذه الخطوة⁽²⁴³⁾.

ومع تولي وزارة ياسين الهاشمي السلطة في مارس ١٩٣٥، صدر قانون مُنعت بموجبها الصحف الصهيونية من دخول العراق، لا سيما صحف: «دافار»، و«هأرتس»، و«فلسطين بوست»، و«إسرائيل مسنجر»، و«جويش كرونكيل»، و«جويش تربيون»⁽²⁴⁴⁾.

ووقعت في عام ١٩٣٦ عدة اغتاليات لرجال من اليهود، وجرت محاولات للحد من نشاط التجار في ميدان الاستيراد، لكن محمد جعفر أبو التمن رئيس غرفة تجارة بغداد، قال في العام ١٩٣٩: «إن حرية التجارة كانت، وما زالت، خير نظام ينتهجه العراق لاستكمال نهضته الاقتصادية، وإدراك ما يصبو إليه من الثراء والرخاء»⁽²⁴⁵⁾.

ويرى الباحث أري ألكسندر أنه حتى أربعينيات القرن العشرين كانت الصهيونية في موقع

هامشي للغاية في التاريخ اليهودي العراقي. فهي لم تكن مُهمّة، ولم تترك فيهم تأثيرًا كبيرًا، إلى أن حصلت أحداث «الفرهود» عام ١٩٤١، التي اعتبرها مؤرخون صهاينة نقطة حسم في تحويل موقف اليهود العراقيين. واستغلت الحركة الصهيونيّة الحدث وسقوط قتلى وجرحى لتخويف اليهود، وبث الرعب في قلوبهم، ودفعهم إلى أحضانها، ومن ثم إلى الهجرة إلى فلسطين.

ويقول ألكسندر: إنه لا يمكن فهم أحداث «الفرهود»، التي بدأت بمشاجرة فرديّة وانتهت بمقتل ما بين ١١٠ و ١٣٠ شخصًا من اليهود والمسلمين، سوى أنها نتيجة لعدد من العوامل الخاصّة بالسياق المحلي، منها المواجهة العسكريّة بين العراقيين والبريطانيين، والدعاية الألمانيّة، والقوميين العراقيين المتشددين، وقيام البريطانيين بإعادة احتلال البلد، والاعتقاد بوجود صلة قويّة بين اليهود والبريطانيين، والابتهاج الذي أظهره اليهود أمام هزيمة القوات العراقيّة المؤيدة لألمانيا (قوات رشيد عالي الكيلاني)(246).

والذي حدث هو أنه صادف يوم الأحد الأول من يونيو عام ١٩٤١ عيد زيارة النبي يوشع عند اليهود، فخرج لفيّف منهم إلى المطار المدني للتنزه، وللتفرج على مهرجان استقبال الأمير عبدالإله، وكان فريقٌ من المسلمين والمسيحيين قد خرج إلى هذا المطار للغرض نفسه، فحدثت مشادة كلامية بين أحد اليهود وأحد المسلمين، أدت إلى ضرب ولكم، اشترك فيهما لفيّف من الفريقين، وأسفرت عن جرح ١٧ يهوديًا ووفاة اثنين من المصابين. وبعد احتواء قوات الأمن الموقف واعتقال المعتدين، عدّت ما جرى حادثًا اعتياديًا. إلا أنه في اليوم التالي، وقعت استفزازات من حركات الشبان اليهود، فاشتبك معهم فريقٌ من الشبان المسلمين، وهاجم الأعراب - ومعهم لفيّف من الرّعاع - البيوت والأسواق فوقعت حوادث دامية، قبل أن يأمر الوصي على العرض الأمير عبدالإله بتدخل القوات العراقيّة في شوارع العاصمة وأسواقها، فاحتلت مداخل الشوارع الرئيسيّة وأقامت المتاريس، وشرعت في إطلاق النار، فقتل ١١٠ أفراد وأصيب آخرون بجروح(247).

وبعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية، استبشر العراقيون خيرًا، وراودتهم الآمال باستئناف الحياة الطبيعيّة، «لكن سرعان ما بدأت الحملة في بعض الصحف وفي الإذاعة تندد بالصهيونيّة واليهود عامّة دون استثناء اليهود العراقيين الذين أبدوا إخلاصهم لوطنهم وشعبهم في أكثر من مناسبة عرضت»(248).

وفي ١١ ديسمبر ١٩٤٧، قدّم ساسون خضوري استقالته من منصبه كحاخام لبغداد، وكان مناهضًا للصهيونيّة ويؤيده وجهاء بغداد لأنهم «وجدوا في الصهيونيّة مصدر بؤسهم وشقائهم»، وقال في استرجاع عام ١٩٥٥: «الصهيونيّة العالميّة نصبت نفسها مسؤولة عن يهود العراق مختلقة أخبارًا مزيفة عن مذابح ضد اليهود في العراق»، و«اليهود يعتبرون العراق وطنهم سواء في السراء أم في الضراء»(249).

وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، أُلّف مزاحم الباجه جي الحكومة الجديدة، التي استمرت بين ٢٦ يونيو ١٩٤٨ و٦ يناير ١٩٤٩. وكان مزاحم الباجه جي معروفاً بميوله القوميّة العربيّة بشكل عام وتأييده للقضيّة الفلسطينيّة بشكل خاص، وله علاقات وطيدة مع محمد أمين الحسيني الرمز الفلسطيني. بدأت الحكومة الجديدة بعزل الموظفين والمستخدمين في الوزارات والدوائر الرسميّة، وكان عددهم بضعة عشر ألفاً، وقيدت أعمال التجار اليهود، فعمّت البطالة وانتشر العوز والفاقة. ولم يقتصر تأثير ذلك على الطائفة اليهوديّة؛ بل اضطرت الحكومة إلى الاقتراض من البنك الشرقي لدفع رواتبها⁽²⁵⁰⁾.

ومع تصاعد الموقف القومي المؤيد للفلسطينيين في مواجهة النشاط الصهيوني واحتلال فلسطين، مارس الإعلام العراقي تصعيده، فنشرت جريدة «اليقظة» البغدادية، على سبيل المثال يوم ١٦ مايو ١٩٤٨، مقالة أيدت فيها الأحكام العرفيّة مستهدفة اليهود العراقيين جملة، باعتبارهم طابوراً خامساً. كما دعت الجريدة، في عددها يوم ٢٣ مايو ١٩٤٨، إلى مقاطعة المتاجر اليهوديّة في العراق «لتحرير الشعب من العبوديّة الاقتصاديّة التي فرضتها الأقلية اليهوديّة عليه»⁽²⁵¹⁾.

جرّمت الحكومة العراقيّة الانتماء إلى الصهيونيّة، وأعدمت الكثير من اليهود العراقيين المتهمين بأنهم صهاينة أو عملاء شيوعيون، وأبرزهم رجل الأعمال البصراوي شفيق عدس الذي وُجّهت إليه التهمتان، إلى جانب تهمة تهريب السلاح والبضائع إلى إسرائيل، وأُعدم في ٢٣ سبتمبر ١٩٤٨⁽²⁵²⁾.

في البداية لم تكن الهجرة خياراً واضحاً في أوساط يهود العراق، حيث كان التيار السائد بينهم رافضاً للصهيونيّة. ولم يتجاوز عدد اليهود العراقيين الذين تركوا البلد نهائياً إلى فلسطين، بين عامي ١٩٢٤ - ١٩٤٤، الخمسة آلاف، من أصل حوالي ١٥٠ ألفاً، أما في العام ١٩٤٨، فلم يتجاوز عدد المغادرين خمسة عشر شخصاً⁽²⁵³⁾. أما عدد اليهود العراقيين الذين غادروا العراق نهائياً إلى فلسطين خلال ١٩٤٩، فبلغ ١٧٠٨ أشخاص.

وفي مارس ١٩٥٠، أصدرت الحكومة العراقيّة برئاسة توفيق السويدي قانون إسقاط الجنسيّة العراقيّة. ولعلّ البعض يعتقد أنّ القانون أسقط الجنسيّة العراقيّة عن كل اليهود العراقيين آنذاك، وهو اعتقادٌ غير صحيح من الناحية القانونيّة؛ ذلك أنّ القانون لم يقر بهذا؛ بل أسقط الجنسيّة عن اليهودي العراقي الذي يغادر العراق بصورة غير مشروعة، واليهودي العراقي الذي يغادر العراق نهائياً. صدر هذا القانون في عهد حكومة السويدي الثالثة؛ إذ تبنت هذه الحكومة لائحة إسقاط الجنسيّة عن اليهود العراقيين بعد أن لاحظت أنّ بعضاً منهم غادر العراق نهائياً، وبعضهم غادره بصورة غير مشروعة.

سُميت السنة التي تم فيها تشريع هذا القانون بين أوساط اليهود العراقيين بـ«سنة التسقيط». وبعد إلقاء قنابل على مباني بعض الشركات والمحال العامّة ودور العبادة اليهوديّة ما بين عامي

١٩٥٠ و ١٩٥١⁽²⁵⁴⁾، وسط شكوك حول تورط ناشطين صهاينة في هذه الهجمات بقصد ترويع يهود العراق⁽²⁵⁵⁾، اندفع كثير منهم إلى تسجيل أنفسهم لطلب نزع الجنسية والهجرة، حتى بلغ عدد الذين أسقطت عنهم الجنسية بداعي الهجرة نحو ١٢٠ ألف يهودي⁽²⁵⁶⁾، وكان للحركة الصهيونية دور في تشجيعهم على طلب نزع الجنسية والهجرة إلى إسرائيل⁽²⁵⁷⁾، قبل أن تُنظّم إسرائيل رحلات جوية لنقلهم إلى إسرائيل عبر قبرص، في إطار عملية «عزرا ونحميا»⁽²⁵⁸⁾.

تدخل الموساد لتوفير خطوط نقل جوي تنقل يهود العراق إلى إسرائيل؛ ولأجل ذلك، اعتمد على شريكه الموثوق، خطوط نيراسكا الجوية للتصرف، فأنشأ حينها خطوط نقل جوية جديدة سُميت «نيتا»، خطوط نقل الشرق الأدنى. في ١٩ من مايو عام ١٩٥٠، بدأ تهجير العراقيين اليهود من بغداد باستخدام طائرات «سي ٥٤ سكاي ماستر»، في عملية سُميت في البداية «علي بابا»، ولاحقاً «عزرا ونحميا».

حرصت الحكومة العراقية في البداية على توجه الطائرات التي تنقل المهاجرين اليهود إلى قبرص؛ لذلك أرسلت شرطياً في كل طائرة للتأكد من هذا التوجه، إلا أنه بتعاظم حركة الهجرة غضت الطرف عن ذلك فأصبحت الطائرات تقلع من بغداد لتحت مباشرة في مطار اللد. ولوحظ حتى بدء الهجرة القانونية استمرار بعض اليهود العراقيين في استخدام طرق غير شرعية في الهجرة عبر إيران، ليتجنبوا - كما يبدو - أسئلة السلطات العراقية التي قد تثار حول الطرق التي صفوا بها أعمالهم أو هربوا بها أموالهم⁽²⁵⁹⁾.

وبحلول عام ١٩٥١، كان نحو ٩٦٪ من يهود العراق قد خرجوا من البلاد، وتقلص عددهم إلى حوالي ١٥ ألفاً من أصل حوالي ١٣٥ ألف نسمة عام ١٩٤٨. وفي الإحصاءات الرسمية لعام ١٩٥٤، كان في العراق ٤٤٦٠ يهودياً⁽²⁶⁰⁾.

مهما يكن من أمر، فإن الهجرة الجماعية لليهود العراق في عام ١٩٥٢/١٩٥١ شكّلت نهاية للديانة الثانية في العراق بهجرة غالبية اليهود ولم يبقَ منهم إلا قلة قليلة منهم، فاخفت الكتابات عن نشاطاتهم باستثناء مقتطفات هنا وهناك، لا سيما بعد سقوط النظام الملكي وقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي حاولت التخفيف من القيود المفروضة على اليهود التي اقتصر على تعديل بعض القوانين ومنها قرار يقضي باعتبار أعياد اليهود عطلاً رسمية يتمتع بها اليهود، وألغى تجميد أموالهم⁽²⁶¹⁾، كما تم إلغاء استثناءات السفر بحق اليهود⁽²⁶²⁾.

تحسنت، إذن، أوضاع يهود العراق بعد وصول عبدالكريم قاسم للسلطة، إلا أن انقلاب عبدالسلام عارف وحزب البعث في عام ١٩٦٣، أعاد إحياء إسقاط الجنسية، مع فرض قوانين وتعليمات تقيد الحقوق المدنية لليهود، فأخذوا في الهجرة من العراق شيئاً فشيئاً. ومن ٤٣١٩ يهودياً في العراق بحسب إحصاء عام ١٩٥٧، إلى ٣١٧٨ شخصاً عام ١٩٦٥، ثم تدهورت أرقامهم ليصل عددهم بحسب الإحصاء السكاني لعام ١٩٧٧ إلى ٣٨١ يهودياً⁽²⁶³⁾.

بعد حرب يونيو ١٩٦٧، صودرت ممتلكات اليهود، وجمّدت الحسابات المصرفية، وطُرد اليهود من الوظائف العامّة، وأغلقت أعمالهم التجاريّة، وألغيت تصاريح التجارة التي يملكها اليهود، ومُنع من ارتياد الجامعات أو تلقي عروض عمل من غير اليهود، ولم يُسمح لهم باستخدام الهواتف، ووُضعوا تحت الإقامة الجبرية لفترات طويلة، وكانت تحت المراقبة المستمرة ومقتصرة على المدن.

عقب انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، الذي أطاح عبدالرحمن عارف، شكّل حزب البعث مجلس قيادة الثورة وتسلّم مقاليد الحكم وانتخب أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية. وجاء في بيان الانقلاب أن «الثورة جاءت لإنهاء الحكم الفاسد المهترئ المتمثل في زمرة الجهلة، والأميين، والانتهازية، واللصوص، والجواسيس، والصهاينة، والعملاء الذين لا تربطهم رابطة بهذا الوطن»⁽²⁶⁴⁾. أظهرت السياسات الحكومية لحزب البعث إصراره على اتباع العنف تجاه خصومه السياسيين تأكيداً لاحتفاظ البعث بالسلطة⁽²⁶⁵⁾، كما عملت على محاربة ما وصفته بشبكات التجسس التابعة لإسرائيل، مع وصفهم بأنهم «الطابور الخامس من صنّع الإمبرياليّة والصهيونيّة»⁽²⁶⁶⁾؛ بحجة تجاوز هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧.

كان للأقليّة اليهوديّة نصيب من اعتقالات البعث ومحاكماته⁽²⁶⁷⁾، ففي أواخر عام ١٩٦٨، أعلن البعث عن سقوط شبكة تجسس في البصرة يديرها عزرا ناجي زلخة، اتُهمت بالعمل لخدمة إسرائيل وإيران. سُجن عددٌ من اليهود في إطار هذه الشبكة التي أُعلن عنها، وانتهى الأمر بإعدام ١٣ فرداً بينهم تسعة يهود. وبعد تشكيل البعث «محكمة الثورة»، استمرت الاعتقالات والمحاكمات، التي طالت يهوداً - منهم الموظف جارلس روفائيل حوريش⁽²⁶⁸⁾ - واجهوا عادةً اتهامات بالعمل للحساب إسرائيل وتزويدها بمعلومات حساسة عن الجيش ومعداته العسكريّة. وبلغت الأمور ذروتها في عام ١٩٦٩ حين أُعدم ١٤ رجلاً، منهم تسعة يهود، بتهمة التجسس لإسرائيل؛ مما أدى إلى تسارع حملة الهجرة في صفوف البقية الباقية من يهود العراق التي شهدت ذروتها في بداية السبعينيّات⁽²⁶⁹⁾.

بعد إعلان ٢٧ يناير ١٩٦٩ عطلة رسميّة، ودعوة إذاعة بغداد المواطنين العراقيين «للحضور والاستمتاع بالعيد»، سار نصف مليون شخص في موكب ورقصوا في ساحة التحرير أمام السقالات التي شهدت شنق الرجال؛ مما أثار انتقادات دوليّة. إلا أن رئيس المحكمة التي نظرت في القضية علي هادي وتوت قال: إن المحكمة لم تنظر إلى ديانة المتهمين؛ لكونها برأت سبعة يهود من مجموع ٣٥ متهمًا⁽²⁷⁰⁾.

وتضمّن تقرير وزارة الداخليّة العراقيّة المرقم ٣/٤ / ١٩٦٨، أسماء ٨٨٩ من «التجار والمستوردين اليهود والصيديليات والمذاخر والشركات الذين يسيطرون على ٧٥٪ من التجارة الخارجيّة ويتحكمون في الأسواق المحليّة»⁽²⁷¹⁾.

ويقول أنور شأؤول: إنه لم تعد العرائض والشكاوى التي يقدمها رئيس الطائفة اليهودية ذات تأثير، ولم يعد بمقدوره مقابلة المسؤولين العراقيين ليعرض عليهم ما يتحتم عرضه من شؤون الطائفة الموسوية، وساد أبناء الطائفة جوٌّ من الفزع والهلع⁽²⁷²⁾.

ونُفذ الإعدام سرًّا بحق ١٨ يهوديًا من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٢، وفي أبريل ١٩٧٣ قُتل خمسة أفراد من عائلة يهودية واحدة بناءً على أوامر من رئيس المخابرات العراقية انتقامًا من اغتيال إسرائيلي لزعيم فلسطيني⁽²⁷³⁾؛ نتيجة لذلك، فرَّ اليهود من البلاد بالسفر إلى كردستان العراق، ثم التسلل إلى إيران بمساعدة المهريين الأكراد. ومن هناك هاجر الكثيرون إلى إسرائيل، في حين انتقل البعض الآخر إلى دول أخرى مثل المملكة المتحدة وأستراليا. في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، رضخت الحكومة العراقية للضغوط الدولية وأيقنت أن حظر الهجرة لا جدوى منه، فسمحت بالهجرة اليهودية وغانر معظم اليهود المتبقين. غالبية الذين بقوا كانوا من كبار السن، وتعرَّض المجتمع لاحقًا للضغط من قبل الحكومة لتسليم أكثر من ٢٠٠ مليون دولار من ممتلكات الطائفة اليهودي دون تعويضات. في عام ١٩٧٤، كان ما يقرب من ٤٠٠ يهودي يعيشون في العراق⁽²⁷⁴⁾.

أقيم آخر حفل زفاف يهودي في العراق عام ١٩٧٨ وآخر حفل زفاف لبريت ميلاه عام ١٩٨٤⁽²⁷⁵⁾. وتقع أكبر مقبرة لليهود العراقيين في أطراف مدينة الصدر الشيعية شرق العاصمة بغداد، حيث يرقد فيها نحو ٤ آلاف يهودي عراقي.

تدرجًا وعلى مر العقود، تلاشى وجود هذه الطائفة الصغيرة؛ إثر الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨) ثمَّ غزو الكويت عام ١٩٩٠ وما أعقبه من حصار اقتصادي استمر حتى غزو العراق وإسقاط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣. وبعد هذه المرحلة أيضًا، تواصل تناقص أعداد اليهود وسط حرب طائفية وسنوات من العنف الدامي.

في عام ١٩٨٥، استمر كنيس يهودي في العراق، وهو كنيس منير طويل، الواقع في حي البتاوين، الذي كان ذات يوم الحي اليهودي الرئيسي في بغداد. سُمح لليهود بممارسة شعائهم الدينية بحرية لكنهم مُنعوا من شغل وظائف في مؤسسات الدولة أو الالتحاق بالجيش⁽²⁷⁶⁾.

وعند الاجتياح الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ كان مجموع اليهود المتبقين في العراق أقل من ١٠٠ شخص، معظمهم إن لم يكن كلهم في بغداد والغالبية العظمى منهم من كبار السن والعجزة⁽²⁷⁷⁾. وبحلول عام ٢٠٠٩، لم يبق سوى ثمانية يهود عراقيين في بلدهم، بحسب برقية دبلوماسية أمريكية. وتواصل العنف ضد أبناء هذه الطائفة، فقد هدَّد مسلحون صائغ ذهب فضَّل مواصلة عمله والعيش في العراق على الهجرة بعيدًا عن بلاده، ليرغم على الرحيل. ودفعت الظروف ذاتها عامر موسى نسيم حفيد المؤلف والاقتصادي الشهير مير بصري (١٩١١ - ٢٠٠٥) لمغادرة العراق عام ٢٠١١.

وفي مارس ٢٠٢١، ترك رحيل الطبيب العراقي اليهودي ظافر فؤاد إياهو أثرًا عميقًا لدى

العراقيين، ليس فقط لمواقفه الإنسانية التي عُرف بها؛ بل لأن الأمر لفت النظر للتناقص الكبير في أعداد أبناء هذه الطائفة التي تسكن العراق منذ قرون، ولم يبقَ منهم اليوم سوى أربعة، باستثناء إقليم كردستان.

دُفِنَ إلياهو، وهو أحد أشهر أطباء العظام في العراق ولقّب بـ«طبيب الفقراء»، في مقبرة خاصّة باليهود في مدينة الصدر ذات الغالبية الشيعية في شرق بغداد وعلى مقربة من نصب الشهيد الذي أقيم إبان حكم صدام حسين (278).

في المقابل، تشير إحصاءات رسمية إلى وجود ٢١٩ ألف يهودي من أصل عراقي في إسرائيل يشكلون أكبر مجموعة من اليهود المنحدرين من آسيا. وترك هؤلاء خلفهم منازل ومعابد كانت حتى عام ٢٠٠٣ بحالة ممتازة لدى مالكيها معروفين، قبل أن يتغيّر وجه العراق بفعل تطورات سياسية ومذهبية وأمنية متلاحقة.

في نوفمبر ٢٠٢١، لقي قرار القضاء العراقي بمعاينة شبكة تزوير حاولت الاستيلاء على عقارات لليهود إشادات من جانب مراقبين، اعتبروا ما حدث خطوة على طريق دولة المواطنة ووضع حد لـ«مافيا التزوير». وكانت محكمة جنايات محافظة بابل ومركزها مدينة الحلة، وسط العراق، أصدرت أحكاماً متفاوتة بالسجن على أفراد في شبكة تزوير حاولت نقل ملكية عقارات تعود لمواطنين يهود عراقيين في المحافظة، بطريقة غير قانونية.

دفع هذا الأمر خبراء قانونيين ومحللين سياسيين في العراق إلى المطالبة بتشكيل وحدة حكومية مختصة بتلقي بلاغات وشكاوى العراقيين المقيمين في الخارج، الذين اغتصبت أملاكهم؛ وصولاً حتى لتشريع قانون لتعويض اليهود العراقيين، وإعادة الاعتبار لهم (279).

مهما يكن من أمر، فإن دراسة تاريخ يهود العراق بجوانبه المتعددة حظيت باهتمامات واسعة من الدراسات الأكاديمية ورسائل وأطروحات علمية تناولت صفحات من تاريخ يهود العراق؛ بل وتعدتها لتدرس الشخصيات اليهودية العراقية ومنهم ساسون حسقيل، وزير مالية أول حكومة عراقية شكّلت في عهد الانتداب البريطاني وأول من وضع أسس النظام المالي للعراق.

وكان اليهودي العراقي إبراهيم الكبير، مدير عام المحاسبة والمالية، هو أول من وضع النقود العراقية (١٩٣٢) بدلاً من الروبية الهندية والليرة التركية. وأنشأ سليمان عنبر جريدة «تفكر» باللغتين العربية والتركية (١٩١٢)، وكانت تصدر إلى جانب مجلة «لغة العرب» لصاحبها الأب أنستاس الكرمل (١٨٦٦ - ١٩٤٧). وغير هذا اشترك مع توفيق السويدي (رئيس وزراء فيما بعد) في المؤتمر العربي بباريس ١٩١٣.

احتفظت ذاكرة العراقيين، وخصوصاً البغداديين، بنوادير كثيرة لأول طبيب أعصاب بالعراق وهو اليهودي جاكى عبود، الذي تولى تأسيس وإدارة مستشفى الأمراض العقلية، وكانت له جولات مع مرضاه المجانين، حتى استخدم اسمه على سبيل المزاح في الشارع البغدادي، وهو الآخر مات

مغترباً في بريطانيا.

ومن رواد الحياة الثقافية في العراق، يبرز اسم الأديب والمحامي أنور شاؤول، وكذا مير بصري، الذي تخصص في علوم الاقتصاد وألف كتباً عديدة منها كتاب: «مباحث في الاقتصاد والمجتمع العراقي»، ليبقى للباحثين جوانب أخرى يمكن من خلالها دراسة أحوال اليهود في ألوية العراق الأخرى.

ولم يقتصر البحث عن يهود العراق على الباحثين الأكاديميين؛ بل كانت مصادر أخرى وهي المذكرات الشخصية لليهود العراقيين روت تفاصيل أكثر شمولاً عن حياتهم، ومنها مذكرات: داوود سمرة، وأنور شاؤول، ومير بصري، وشمويل موريه.

ولم تنته دراسة تاريخ يهود العراق بما خطه الباحثون والشخصيات اليهودية أنفسهم؛ بل تعداه هذه المرة ليكتب يهود إسرائيل عن أوضاع يهود العراق، ومنهم من شغل وظائف في حكومة الكيان الصهيوني ومنهم وزير الحرب موشي ديان، ليخصص فصلاً من مذكراته عن دوره في تهجير يهود العراق. ويبقى ما كتبه مؤسس جهاز الموساد شاؤول أفيغور، ذا أهمية كبرى؛ إذ تحدّث عن دوره في الأربعينيات من القرن العشرين لتنظيم عملية الهجرة اليهودية⁽²⁸⁰⁾، في حين يغطي شلومو هيلل، وهو عراقي المولد، ووزير الداخلية فيما بعد في حكومة الكيان الصهيوني في مذكراته عملية تنظيم الهجرة فيما عُرف بعملية «عزرا ونحميا».

وفي العراق، أنشأ مناحيم صالح دانيال دار «الميثم الإسلامي» ببغداد ١٩٢٨ من ماله الخاص. وكان أول طيار مدني عراقي هو اليهودي ساسون دانيال صالح، وكان لليهود في العشرينيات عزاءٌ حُسيني بكربلاء.

ويمكن القول: إن صورة يهود العراق تجسّدت في شخص نعيم دنكور، وهو مثقف واسع المعرفة، ورجل أعمال وإحسان، وصحافة، وتاريخ.

وُلِدَ نعيم دنكور في بغداد في العام ١٩١٤، في بيت جده عزرا دنكور رئيس حاخامي الطائفة الموسوية في العراق، وكان والده تاجر ورق بحكم صناعة العائلة، التي أسست أقدم المطابع الأهلية للكتب في العام ١٩٠٤. حينها كانت الأسرة تستورد الورق من السويد، لتصدر مئات الكتب العربية التي انتشرت في المشرق، علاوة على الكتب المدرسية للمراحل الابتدائية والثانوية والعليا، كما ذكر مير بصري في كتابه: «أعلام اليهود في العراق الحديث»⁽²⁸¹⁾، الذي رصد فيه أكثر من مائة شخصية يهودية عراقية، ومن طبقات مختلفة: الحياة العامة، رجال الدين، الفكر، والأدب، والصحافة، والاقتصاد، والتجارة.

والد نعيم دنكور هو الرابي إياهو دنكور الذي أصدر في العام ١٩٢٩ جريدة «الدليل» الاقتصادية الأسبوعية، ثم أصدر في العام ١٩٣٦ «الدليل العراقي الرسمي» في مجلدين ضخمين بالعربية والإنجليزية. بقي إياهو دنكور في العراق، ولم يغادره سوى في العام ١٩٧٣.

في سن السابعة عشرة، قرّر نعيم دنكور القيام بمغامرة شخصيّة من أجل التعلم، فسافر إلى لندن في رحلة استغرقت خمسة أيام، ليدرس الهندسة بدءًا من العام ١٩٣٠، ثم عاد إلى بغداد ليلتحق بالخدمة العسكريّة الإلزامية. وهناك التقى بمن سيصبح صديقه وشريكه لاحقًا.

في بغداد أسس نعيم دنكور شركة «الصناعات الشرقيّة المحدودة» بالتشارك مع صديقه وزميل تربيّاته العسكريّة أحمد صفوت؛ لبدأ مغامرته الثانية في مجال التجارة والصناعة، وخلال سنوات قليلة، سيلتقي نعيم الشاب برينيه، الفتاة التي تُوجت ملكة لجمال للعراق، في العام ١٩٤٧. ليتزوجا ويكملًا معًا رحلة ستمتد طويلًا، لكنّ خطاهما ستأخذانهما بعيدًا عن العراق بعد سنوات.

كانت البلاد بلاد خير، والتنمية كانت هدف الجميع، لكن الاضطرابات السياسيّة لا تترك أثرًا لأيّ محاولة أو بناء. تحمّل نعيم دنكور أحداث «الفرهود»، التي أجبرت اليهود العراقيين على الرحيل عن أرضهم التي تعلقوا بها. وبقي في بلاده منتقلًا من نجاح إلى آخر في الصناعة والتجارة. غير أن ذلك كله لم يكن ليستمع مع التضيق الذي تعرض له اليهود في الستينيّات مع ارتفاع ما عرف بالمد القومي في العالم العربي، واشتداد أتون الصراع العربي الإسرائيلي.

غادر نعيم دنكور العراق في العام ١٩٦٤، إلى لندن، مضمّنًا بكل ما يملك من ثروات ومعامل ومنشآت، لتقوم الحكومة بعد فترة بمصادرتها والاستيلاء عليها، في حين بدأ هو من جديد في الاستثمار في مجال العقارات (282).

لكن الحنين إلى العراق، لم يكن لتتوقف جذوته في صدر البغدادي نعيم دنكور؛ إذ سرعان ما افتتح مجلته «سكرايب» الموجهة إلى يهود بابل، في العام ١٩٧١. وترأس تحريرها لثلاثة عقود متواصلة، وألحقها بمؤسسة «المنفيون» الخيريّة التي تهدف إلى مدّ اليد إلى طلاب العلم في بريطانيا والعالم.

بداية التسعينيّات، وبعد فرض الحصار على الشعب العراقي، حرص كثير من معارضي نظام صدام حسين على الإطباق على الشعب وتجويعه، ساعد نعيم دنكور العراقيين في الداخل، وقدم أكثر من مليون جنيه إسترليني بعيدًا عن الإعلام للأسر المحتاجة. واللافت وقتها أن دنكور اشترط شرطين، الأول ألا يعرف هو لمن هي مرسلته، والثاني ألا يعرف المستفيدون منها من الذي تبرع بها.

حرص نعيم دنكور على الظهور من موقع الباحث أكثر من حضوره كرجل أعمال، وقدم الكثير في سبيل إنهاء الصراعات في الشرق الأوسط. لم يكن أولها وآخرها رعايته ورئاسته لمبادرة القسيس أندرو وايت «رئيس مؤسسة الإغاثة والمصالحة في الشرق الأوسط»، والتي تمثلت في عقد مؤتمر يجمع القيادات الفكرية للأديان الإبراهيمية الثلاثة، تحت رعاية «برنامج الدكتور نعيم دنكور للتوحيد العالمي»، وتحت شعار «إله واحد وعالم واحد. نعمل سوية من أجل تحقيق السلام».

وخلال حياته التي استمرت مائة وعامًا واحدًا، قدّم دنكور الكثير من أجل التنمية الفكرية في العالم، لا سيما العالم العربي والإسلامي، فتبرع في عام ٢٠٠٥ بمنحة تقدر بمليون جنيه إسترليني لطلاب الجامعات البريطانية.

وفي العام ٢٠٠٦ حصل على أعلى وسام في بريطانيا من الملكة إليزابيث الثانية في عيدها الثمانين، عندما منحته وسام الإمبراطورية البريطانية على أعماله الخيرية في دعم مجال التعليم، ومساعدة المدارس المتضررة من الهدم، ومشروع الأرز في القدس، إضافة إلى إرسال عشرة آلاف من الأكياس أسبوعيًا للمدن الفقيرة.



رينيه دنكور، أول ملكة جمال في العراق
عام ١٩٤٧ من عائلة يهودية.

يُذكر أن رينيه دنكور أول ملكة جمال في تاريخ العراق عام ١٩٤٧ هي ابنة البروفيسور نعيم دنكور ابن بغداد.

وتشمل قائمة أسماء اليهود من أصول عراقية كلاً من: عوفاديا يوسف حاخام اليهود الشرقيين في إسرائيل والزعيم الروحي لحزب «شاس» لليهود الأرثوذكس، وهو من مواليد ١٩٢٠ في البصرة.

هناك أيضًا بنيامين بن إيعازر وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق، وإسحق موردخاي وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق، ومناحيم دانيال الذي كان عضوًا في مجلس الأعيان في العهد الملكي، وتوفي عام ١٩٤٠، وابنه عزرا مناخيم الذي عُيّن كذلك عضوًا في مجلس الأعيان. ومن اليهود العراقيين المشهورين السير إيلي (أليعازر) خضوري (١٨٦٧ - ١٩٤٤) الذي كان وثيق الصلة بالملك فيصل الأول، وقد وضع داره الفخمة في أرقى أحياء لندن تحت تصرف الملك كلما زار

العاصمة البريطانية (283).

في عالم السياسة، نذكر السير جوشوا إبراهيم حسن رئيس وزراء جبل طارق، والوزيرة الفرنسية فرانسواز جيرو ابنة صالح كورجي البغدادي، ومن رجال المال والاقتصاد خضوري عبودي زلخة، مؤسس البنوك في بغداد، ودمشق، وبيروت، والقاهرة، والإسكندرية. نضيف إلى هؤلاء الكاتب المعادي للصهيونية نعيم جلعادي، ونعيم قطان، وهو كاتب روائي وباحث وناقد كندي الجنسية من أصول عراقية يهودية.

وتمتد القائمة لتشمل كلاً من:

*سمير نقاش: كاتب مسرحي، كتب حصراً باللغة العربية.

*سامي ميخائيل: شيعي عراقي، كاتب ومترجم.

من العراقيين اليهود الذين اشتهروا في المجال الموسيقي:

*المطربة سليمة مراد أو سليمة باشا، وهي أول امرأة تحصل على لقب باشا.

*الموسيقار صالح يعقوب عزرا، أو كما هو مشهور «صالح الكويتي» (١٩٠٨ - ١٩٨٦)،

والموسيقار داوود يعقوب عزرا، أو كما هو مشهور «داوود الكويتي» (١٩١٠ - ١٩٧٦).

والشقيقان صالح وداوود عراقيان من مواليد الكويت. تتلمذا على يد الموسيقار الكويتي المعروف خالد البكر، وتعلما الموسيقي الكويتية والبحرينية والحجازية واليمانية. أما الموسيقي العراقية والمصرية فقد تعرفا إليها بالاستماع إلى الأسطوانات. كانت بدايتهما مع العزف في حفلات الأقارب والشيوخ والوجهاء الكويتيين وكان صالح بارعا بالعزف على آلة الكمان، أما داوود فقد تخصص في آلة العود، وجاءا برفقة المطرب عبداللطيف الكويتي إلى مدينة البصرة لإحياء حفلات فيها، وتعاونوا مع الفنان والملحن العراقي الشهير محمد القبانجي، ثم قررا الانتقال إلى بغداد عام ١٩٢٩ حيث عملا عازفين في ملهى «الهلال» مع المطربة سليمة مراد. كلفت الحكومة العراقية صالح الكويتي بتشكيل فرقة الإذاعة الموسيقية برئاسته لغاية عام ١٩٤٢، ثم وضع موسيقى الفيلم العراقي الرائد «عليا وعصام» ولحن جميع أغانيه لبطلة الفيلم سليمة مراد. وفي عام ١٩٥١ سُحبت الجنسية العراقية منهما وسافرا إلى إسرائيل (284).

*عزوري العواد، وهو موسيقي معروف وعازف على آلة العود.

*ساسون الكمنجاتي، الذي تُوفي في أواسط أربعينيات القرن العشرين.

*يوسف زعرور الكبير: عازف قانون بارع.

*يوسف زعرور الصغير: ابن عم يوسف زعرور الكبير، وهو موسيقي مميز.

*حوكي بتو: عازف السنطور الذي وُلد في القرن التاسع عشر، وتُوفي في بداية ثلاثينيات القرن

العشرين.

*يهودا شماش: عازف إيقاع.

*سليم شبت: قارئ المقام العراقي.

*يوسف حوريش: قارئ المقام العراقي.

*حسقيـل قصاب: قارئ مقام.

*فلـفل كرجي: قارئ مقام.

*سلمان موشي: الخبير بالمقام العراقي.

*يعقوب العماري: عازف ناي، وقارئ مقام.

*نـجاة (العراقية) التي تُوفيت في إسرائيل ١٩٨٩.

*ألبير إلياس: عازف على آلة الناي موسيقي معروف، ولديه ألحان كثيرة.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن السينما في العراق بدأت عام ١٩١١، وعُرفت أول سينما في العراق باسم «سينما بلوكي» نسبة إلى تاجر يهودي مستورد للآلات السينمائية، وظهرت بعدها «سينما عيسائي»، و«سينما أولمبيا»، و«سنترال سينما»، و«السينما العراقي»، و«السينما الوطني». كانت دور العرض هذه مملوكة لليهود في بغداد (285).

أما استوديو بغداد السينمائي الذي أسسه عام ١٩٤٨ عددٌ من تجار اليهود الأغنياء فقد أنتج أفلاماً ناجحة منها: «عليا وعصام» في العراق، وكان ملحقاً به «استوديو هاماز»، وهو مختبر لتظهير الأفلام التي يصورونها.

يهود سوريا.. من حلب إلى بروكلين

توزع اليهود في دمشق بين ثلاث طوائف، أولها: اليهود الربانيون، وهم أكبر طوائف اليهود عددًا، ويُعرفون بالناموسيين، والربانيم، والكتبة، وكانوا يقيمون عادةً في حي اليهود في الزاوية الجنوبية الشرقية لدمشق، داخل السور. في عام ١٢٥٦ هـ، بلغ عدد الذكور منهم ١١٣٢ رجلاً، بحسب رسالة من حاكم دمشق شريف باشا إلى محمد علي باشا في مصر (286).



حفل زواج يهودي في حلب، سوريا، عام ١٩١٤

اليهود القراؤون هم الطائفة الثانية من حيث العدد، ويعود تاريخ ظهور نحلّتهم إلى عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، وكانت بغداد هي مركزهم الرئيسي، أما في دمشق، فكان لهم وقفٌ مشهور في منطقة الإحدى عشرية، خارج باب شرقي، كما كان لهم كنيس كبير في حي الزيتون، حيث كانوا يقيمون، إلى الشرق من حي اليهود (287).

أما الطائفة الثالثة فكانت يهود السامرة، وكانوا يعيشون في نواحي جوبر الشماليّة حول جسر تورا، عند عقدة القابون اليوم، وقد انقرضوا من دمشق، وعُثِرَ على وثيقة واحدة مفصلة عن هؤلاء اليهود في بيت الآلهة أو بيت لهيا، ويعود تاريخها إلى ذي القعدة ٩٩٢ هـ (288).

غير أن هناك من يرى أن يهود سوريا ينقسمون أساسًا إلى مجموعتين: المجموعة الأولى هم

المزراحيون، الذين وُجدوا منذ العصور القديمة، وحسب رواية الكتاب المقدس منذ أيام النبي داوود، في الألف الثاني قبل الميلاد في المنطقة المسماة توراتياً «آرام زوربا» التي تقارب حسب رأي بعض الباحثين حلب، وحسب رأي البعض الآخر حدود لبنان.

خلال مرحلة السبي البابلي، كانت مناطق من سوريا الحديثة لا سيما ضفاف البليخ والخابور من مناطق استقرار اليهود، وهو استقرار لم ينقطع منذ ذلك التاريخ وحتى القرن العشرين. لفترة حكم ذريّة النبي داوود أيضاً يعود استقرار اليهود في دمشق، وقد قدر عددهم بُعيد الفتح الإغريقي للمدينة بنحو ١٠.٠٠٠ نسمة شملوا يهوداً ومحولين إلى اليهودية من الأديان المحليّة الوثنيّة.

هناك بعض الروايات التي تفيد بوجود يهود في أنطاكية منذ تأسيسها كعاصمة لسوريا الإغريقيّة في القرن الرابع قبل الميلاد⁽²⁸⁹⁾، ووجود يهود بشكل مؤكد في حوران قبل منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، أعادهم يهوذا المكابي إلى منطقة اليهودية في وسط فلسطين، ولكن ما لبثوا أن عادوا إلى حوران وسائر أنحاء سوريا مع بداية العصر الروماني. ويقول موريس سارتر إن اليهود قد وُجدوا في جميع المدن الرئيسيّة في سوريا الرومانيّة مثل دمشق، وأفاميا، واللاذقيّة، التي يتحدّث سترابو عن «أعداد كبيرة» من اليهود فيها بعد زيارته المدينة⁽²⁹⁰⁾.

وفي الرقة، صدر أمر الإمبراطور ثيودوس لأسقف المدينة بأن يعيد بناء الكنيس اليهودي الذي احترق عام ٣٩٣؛ ما يدلّ على وجود مواطنين يهود فيها، وعُرفَ أحد أرباع أنطاكية بوصفه «ربع اليهود»⁽²⁹¹⁾؛ كما أصدر الإمبراطور الروماني جستنيان الأول قانوناً في تنظيم أحوال اليهود الدينيّة والمدنيّة في القرن السادس⁽²⁹²⁾؛ إضافة إلى جماعات ريفيّة في سوريا الجنوبيّة، لا سيما في حوران والجولان، بينهم مستوطنون عسكريون، عمل هيرودس الكبير وأخلافه على إسكانهم على مفترق الطرق التجاريّة، بعد أن أوكل إليهم الرومان أمر المنطقة ليكافحوا فيها قطع الطرق⁽²⁹³⁾. وكان على هذه الجماعات أن تعاني من تمرد أنسبائها في اليهودية بين عامي ٦٦ و ٧٠ حين ظهر عموم السكان معادين «بشكل طبيعي» كما يقول سارتر للأقلية المتمردة؛ نتيجة انسجامهم مع الحكم الروماني⁽²⁹⁴⁾.

في الواقع، أفاد تشتت يهود منطقة اليهودية عام ٧٠ خلال الحرب اليهودية الرومانيّة، ثم مرة أخرى عام ١٣٥ بعد ثورة بار كوخبا، أفادت الجماعات السوريّة منها في ازدياد عددها وقوتها بانضمام مزيد من الوافدين إليها من الجليل وغيرها.

استقرت هذه الجماعات في المناطق الداخليّة من سوريا، وكذلك على الحدود الشرقيّة للمنطقة مثل دورا أوربوس عام ١٦٥. ومما لا شكّ فيه أن قرب سهول سوريا الجنوبيّة من القدس، ومراكز التعليم اليهودي في الجليل ساعد على اجتذاب مزيد من يهود الشتات إلى هذه المنطقة.



عدد من يهود سوريا في منزلهم في دمشق
عام ١٩٠١

أما المجموعة الثانية من اليهود في سوريا، فهم الذين استقروا في البلاد في أعقاب طرد اليهود من إسبانيا في أعقاب سقوط الأندلس، خلال القرن السادس عشر والمعروفون باسم السفارديين. فبعد سقوط غرناطة خيّر اليهود بين اعتناق المسيحية أو الهجرة، فالذين اختاروا الهجرة انتقلت أعدادهم الكبرى إلى البرتغال والمغرب، غير أن أعداداً أخرى انتقلت إلى البلقان وأراضي الدولة العثمانية ومنها إلى الشام لا سيما دمشق، التي اكتسبت أهمية خاصة نظراً لموقعها القريب من الأراضي المقدسة. وخلال القرن التالي ستغدو المدينة أحد المعاقل الأساسية لـ«قبالة لوريا»، التي برز منها شخصيات مثل حاييم فيتال وإسرائيل نجارة.

لم يتأثر يهود البلاد سلباً بالفتح الإسلامي. خلال مرحلة الحروب الصليبية وفد إلى دمشق أعداد متزايدة من يهود منطقة فلسطين واستقروا فيها خشية من ممارسات الصليبيين وضرائبهم الثقيلة التي فرضوها عليهم.

ترك الحبر أبراهام بن عزرا وصفاً للمجتمع الدمشقي اليهودي إثر زيارته المدينة عام ١١٢٨. وقال الرَّحالة اليهودي بنيامين التطيلي إن: «عدد الأبحار الربانيين في دمشق وحدها ٣٠٠٠ حبر» إثر زيارته المدينة عام ١١٧٠ وهي تحت حكم نور الدين زنكي، وكان لهم «رئيس محلي» يمثل الطائفة لدى السلطات الحاكمة؛ وكانت هناك مدرسة أكاديمية لدراسة التوراة تشتهر بها دمشق.

اختار السلطان قلاوون الحبر الدمشقي جيسي بن حزقيا رئيساً للطائفة برتبة أمير ونقله إلى القاهرة عام ١٢٨٩. وفي حلب قُدّرت أعداد اليهود - بحسب بنيامين التطيلي - بخمسة آلاف نسمة

«يقيمون في أفضل مناطق المدينة حول القلعة، ولهم رئيس محلي يمثلهم لدى السلطات الحاكمة، وهم الأبرز في دراسات التوراة»، وذكر الرَّحَّالَة أيضًا خمسين عائلة يهودية تقيم في قرقيسيا خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر.

خلال الفترة التي أصبحت البلاد فيها جزءًا من الدولة الفاطمية، حصل تعيين منقطع النظر في تاريخ سوريا؛ إذ عيّن الخليفة العزيز بالله، صديقه اليهودي السوري منشا (منسى) بن إبراهيم، واليًا على سوريا ونائبًا للخليفة فيها، وقد ذكر الحدث أبو الفداء والسيوطي وسواهما من المؤرخين (295).

في سوريا العثمانية، لم يختلف وضع اليهود أو ثقلمهم. وتمركز اليهود في مدينة دمشق، وسكنوا فيها في حي خاصّ بهم دُعي «حارة اليهود» وبعض مناطق ريف دمشق مثل جوبر، وكانت لهم ١٢ مدرسة يدرس فيها نحو ٣٥٠ تلميذًا العلوم والديانة باللغة العبرية، أما معابد اليهود في دمشق وحدها فبلغ عددها عشرة كنس أشهرها «كنيس سوق الجمعة» (296). وتتقلّ الرَّحَّالَة اليهودي داوود الذي من بيت هيلل في أوساط الطائفة اليهودية في سوريا ولبنان في عام ١٨٢٤، ووجد في دمشق ٢٠٠ عائلة يهودية، وأعدادًا محدودة من اليهود القرائين، فضلًا عن ٦٠٠ عائلة يهودية في حلب، و١٥٠ عائلة يهودية في بيروت وطرابلس. ويمكننا وفقًا لهذا التقدير تصور أن عدد اليهود الذين أقاموا في كل هذه المناطق كان يُقدَّر بأربعة آلاف يهودي، وكانت الطائفة اليهودية في حلب - حينذاك - هي أكبر الطوائف اليهودية في هذين البلدين (297).

ويذكر الرَّحَّالَة اليهودي بنيامين هشيبي (بنيامين الثاني) الذي زار دمشق عام ١٨٤٨ أن هناك ٦٠٠ عائلة يهودية في دمشق، ومن أبرز هذه العائلات: فارحي، مزراحي، لينادو، فتال، شطاح، سويد حمراء، جاجاتي، هراري، إسلامبولي، البقاعي، اللحام، مراد، أبو خضر، رمانو، طوطح، حاصباني، لوزه، كبارتي، فريج، شامية، الجليلاتي، فابينا، الحلبي، دبوب، الصيرفي، فويرني (298).

وبحسب شهادة الرَّحَّالَة الألماني ألفريد فون كريمير، الذي كتب وصفًا عن دمشق العثمانية إثر زيارته لها عام ١٨٥٣، فإن اليهود داخل الأسوار قُدِّر عددهم بنحو ٤٠٠٠ نسمة، نحو ١٠٠٠ منهم يدفعون الضرائب (ذو الجنسية الأجنبية لا يدفعون الضرائب). وذكر أن في دمشق حيين للمسيحيين وحيًا لليهود.

وبحسب الإحصاء السكاني العثماني لعام ١٨٩٣، كان هناك ١٠٧٦١ يهوديًا في ولاية حلب ويعيش معظمهم في المدينة، وبالذات في الجزء الشمالي الغربي منها، في حين كان هناك ٦٢٦٥ يهوديًا يعيشون في دمشق وجوارها. وفي عام ١٩٠٨، كان هناك ٩٣٣٥ يهوديًا من مجمل سكان المدينة البالغ عددهم ١١٩ ألفًا و ٨١١ فردًا (299).

أشهر قضيتين ارتبطتا باليهود خلال القرن التاسع عشر، كانتا حادثة دمشق عام ١٨٤٠ حين

أُتهم اليهود بقتل أحد الرهبان الأوروبيين، وتمكّن يهود دمشق بدعم من شخصيات يهودية مرموقة في أوروبا - من إطلاق سراح المتهمين بعد أن دفعوا ستين ألف كيس من النقود لممثل إبراهيم باشا في المدينة(300)؛ والثانية مجازر ١٨٦٠، حين أُتهم ٢٠٠ يهودي إلى جانب ٥٠٠ مسلم بارتكاب المجازر، فحكّم عليهم جميعاً بالإعدام شنقاً، غير أن الصدر الأعظم فؤاد باشا عاد وبراً اليهود من الضلوع بالأحداث وأعدم المسلمين وحدهم. إلا أن اغتيالات وأعمال عنف متفرقة طالت اليهود في المرحلة التالية بسبب تلك المجازر.

وخلال فترة الحكومة العربية في دمشق (١٩١٨ - ١٩٢٠)، لم تُسجّل أي اعتداءات ضد اليهود، أو أي تمييز بحقهم. كما لم تقع طوال الحقبة الطويلة للانتداب الفرنسي التي دامت ٢٥ سنة (١٩٢٠ - ١٩٤٥) أي حوادث ضد اليهود(301).

وضمنت جميع الدساتير السورية بعد الاستقلال حقوقاً مشابهة لجميع المواطنين، ومن بينهم اليهود، ومن بين النواب اليهود الذين دخلوا مجلس النواب السوري: يوسف لنيادو، ووحيد مزراحي (عن دمشق)، وعزرا أزرق، ورحمو نحما (عن حلب) (302).

كغيرهم من السوريين لا سيما المسيحيين، فإن الهجرة اليهودية بدأت أواخر القرن التاسع عشر، وتسارعت نتيجة الكوارث قبيل وخلال الحرب العالمية الأولى في سوريا العثمانية نتيجة مجاعة ١٩١٥ والتي قضت على المحاصيل الزراعية وأهمها زراعة القطن الذي كان المورد الاقتصادي الرئيسي للعديد من العائلات اليهودية، كغيرها من العائلات في حلب تحديداً. كانت مصر أحد معاقل الهجرة القريبة، مقابل مانشستر في بريطانيا - على الأرجح بسبب تجارة القطن(303) - ونيويورك في الولايات المتحدة كمعاقل للهجرة البعيدة، والتي نشطت فيها مجتمعات سورية يهودية قوية، وفي مراحل لاحقة نشأت مثل هذه المجتمعات في دول أمريكا اللاتينية. اللافت للانتباه أن موجات الهجرة في تلك الفترة لم تكن مقتصرة على اليهود دون غيرهم.

ووقعت في دمشق عام ١٩٢٥ مصادمات الدروز؛ ما تسبب في هروب اليهود من المدينة التي لم يتبقّ بها في عام ١٩٢٦ سوى ٦٦٣٥ يهودياً. وارتفع تعداد يهود سوريا فيما بعد، فقدر في عام ١٩٣٢ بستة وعشرين ألفاً ومائتين وخمسين يهودياً، ووصل عددهم في عام ١٩٤٣ إلى ٢٩ ألفاً و٧٧٠ يهودياً(304).

وبالرغم من أن عدد اليهود لم يكن كبيراً، فقد قاموا بدور مؤثر ومهم في الاقتصاد، والمعاملات المالية عن طريق العائلات الغنية التي عمل أفرادها أعماماً كثيرة كمقرضين للولاية والباشوات المتعاقبين. اشتهر يهود سوريا بأعمال التجارة والصناعات الترابية، والذهب والصرافة والعمل في البنوك، ومثلت حلب كمدينة اقتصادية مركز استقطاب لهم. ورصد د. محمود حريتانى أن واحداً من خانات المدينة فيه ٥٢ مستأجراً يهودياً، فضلاً عن وجودهم في الأسواق المركزية.

وكتب حريتانى: «لعب اليهود دوراً اقتصادياً كبيراً كشركاء وعاملين مع البيوت التجارية

الأوروبية، كما جاءت جاليات يهودية إيطالية من: ليفورنو، وجنوة، والبندقية، ومن إسبانيا، والبرتغال، واليونان؛ لتقطن في حلب في الخانات كالأوروبيين، وفيما بعد في أحياء حديثة كالجملية، والصليبية الصغرى، والتل، وغيرها» (305).

وكان ليهود حلب، مثلاً، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ٢٤ بيتاً تجارياً رأسمالها قرابة خمسة ملايين فرنك فرنسي؛ لذا سيطروا بشكل طبيعي على معظم التجارة السورية (306). وبقي يهود دمشق يمارسون أعمال الصيرفة على أوسع نطاق، وكذلك الإقراض بفوائد مرتفعة، وكانت كميات النقد الكبيرة التي في حوزتهم، في عهد كان النقد السائل قليلاً مصدر قوة لهم (307). وامتازوا أيضاً بالانفراد بصناعات معينة أهمها الأكياس، والكبريت، والنقش على الأواني النحاسية.

وفي خمسينيات القرن العشرين وما بعدها، عُرف من التجار والصناع اليهود الكبار -على سبيل المثال لا الحصر - رحمون جاجاتي، ومحل فرح، وخضر لوز، وموريس نصيري. ومن أبرز رموز الطائفة اليهودية في سوريا: المحامي شحادة القطري، ويوسف جاجاتي صاحب «المخزن الكبير»، ويعقوب رفاعي «تاجر شقيقات»، والأخوان: ديب، وسامي اللاطي (308).

مرّ النشاط الصهيوني في سوريا بثلاث مراحل رئيسية. المرحلة الأولى: وتمتد منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية الحرب العالمية الأولى. وانصرف النشاط الصهيوني التنظيمي في ذلك الوقت إلى إقامة مؤسسات اقتصادية لتمويل عملية الاستيطان في فلسطين. ومن جهة أخرى، بُذلت مساعٍ لتشكيل منظمات صهيونية بغرض تقديم الدعم المادي والمعنوي لمشروعات الاستيطان اليهودي في فلسطين، ومن أبرز هذه المنظمات جمعيات الرواد «حالوتسيم» في سوريا ولبنان. في تلك الفترة انقسمت مواقف يهود سوريا من الحركة الصهيونية إلى مجموعة حلب التي نادى بضرورة الهجرة إلى فلسطين لإقامة إسرائيل، ومجموعة دمشق التي كانت قريبة من خط اليهود (الأوغنديين) الذين وافقوا على فكرة التاج البريطاني، وإقامة دولة يهودية في أوغندا.

المرحلة الثانية: وتمتد منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ وحتى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨. وتأثرت هذه الفترة بتجاذبات العلاقة بين الحركة الصهيونية وسلطات الانتداب الفرنسي منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٤، لا سيما في مسألة الهجرة اليهودية، وموضوع الاستيطان اليهودي في البلاد السورية.

ومنذ عام ١٩٢٩ تأسست جمعية شبابية صهيونية في دمشق وقدمت من بين صفوفها قادة لحركة الرواد الشباب Hehalf ez Haezaic التي كانت من أولى حركات الرواد التي أنشئت في بلدان الشرق الأوسط.

وكان من بين المبعوثين الصهاينة الذين أرسلوا إلى دمشق وحلب وبيروت ومدن أخرى عام ١٩٣٨ دافيدكا ناميري Davidka Dameci من مستعمرة «أشدوت ياكوف» في وادي الأردن. وبعد

غزو الحلفاء لسوريا في يونيو ١٩٤١، تزايدت الأنشطة الصهيونية لتشجيع اليهود في سوريا على الهجرة إلى فلسطين؛ بل حاولت الحركة الصهيونية تبني مشروعات للاستيطان اليهودي في سوريا بين عامي ١٩٣٤ و١٩٣٥، مثل مشروع «إميليو جافي» لاستيطان عشرة آلاف مزارع يهودي بولوني، ومشروع الاستيطان اليهودي في دولة العلويين، الذي نادى به الفرنسي غابرييل أرنو (309).

المرحلة الثالثة: وتمتد من قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وحتى اندلاع حرب عام ١٩٦٧. واتسمت هذه الفترة بتنامي نشاط المنظمات الصهيونية في تهجير يهود سوريا إلى فلسطين بشتى الطرق والإغراءات الممكنة.

عاش اليهود في سوريا كغيرها في المنطقة العربية، استقراراً اجتماعياً واقتصادياً حتى بروز التوترات المتصاعدة إثر حرب فلسطين عام ١٩٤٨، حين تدفقت الهجرات المنتالية من مناطق انتشارهم في مدن كحلب ودمشق والقامشلي، إضافة إلى تجمعات أصغر لهم في نصيبين واللاذقية. بدأ اليهود بتصفية أموالهم فعلياً عام ١٩٤٢ والهجرة إلى لبنان، التي ازدادت عام ١٩٤٧ مع تصويت الأمم المتحدة بشأن إنشاء دولة إسرائيل، وتسليم أمور فلسطين إلى هيئة الأمم. فقد فرّ الكثير من اليهود من سوريا إلى فلسطين؛ إثر أحداث عنف استهدفت اليهود في حلب في ديسمبر ١٩٤٧ عقب تصويت الأمم المتحدة لصالح قرار تقسيم فلسطين. تسببت هذه الأحداث في مقتل ٧٥ يهودياً وإصابة المئات، وإحراق عدد من الكُنىس و٦٠ محلاً تجارياً في الحي اليهودي (310). وأوكل المهاجرون أموالهم وأرزاقهم إلى من ظلوا في البلاد من صغار الكسبة، حيث سافروا إلى تركيا، ومنها إلى قبرص ثم إسرائيل.

أوجد اليهود شبكة منظمة تنقلهم ليلاً إلى الحدود السورية - التركية. وتشير وثائق المهاجرين التاريخية إلى اتجاه أغنياء اليهود للسفر نحو الأمريكتين أو اليابان، في حين اتجه الذين أقاموا في لبنان إلى أوروبا.

ويمكن القول: إن هجرة اليهود من سوريا مرت بعدة مراحل، بدأت بعد حرب فلسطين، حيث هاجر نحو خمسة آلاف من أبناء الطائفة «الموسوية»، كما يطلق عليهم في القيود والسجلات المدنية، وليصل تعدادهم بحسب إحصاء عام ١٩٥٧ إلى نحو ٣٠ ألفاً.

أما الهجرة الكبيرة، فكانت عقب حرب يونيو ١٩٦٧، حين أسفرت هزيمة العرب عن احتلال إسرائيل لمرتفعات الجولان. هاجر أغلبية اليهود بطرق غير شرعية بعد حرب ١٩٦٧، والتي خلقت هزيمة العرب فيها أجواءً معادية لليهود المحليين، وتهجماً عليهم.

بعدها، بقي نحو أربعة آلاف يهودي في سوريا، إلا أن الدعوات كانت تنشط لاستقطابهم. في عام ١٩٩٢ ألغى الحظر على مغادرة اليهود لسوريا (311) في أعقاب مؤتمر مدريد للسلام، فغادرت أغليبيتهم الساحقة نتيجة القرارات المقيدة للحقوق الأساسية التي طبقت عليهم خلال عقود

النصف الثاني من القرن العشرين. في غضون بضعة أشهر من قرار إلغاء قيود السفر، شق آلاف اليهود السوريين طريقهم إلى بروكلين، واختارت بعض العائلات الذهاب إلى فرنسا وتركيا، ثم استقر الغالبية في بروكلين بمساعدة أقاربهم في الجالية اليهودية السورية. وفي ديسمبر من عام ٢٠١٤ عاش في سوريا بين ٦٠ إلى ٧٠ يهوديًا فقط أقاموا في دمشق وحوالي ستة في حلب(312).

تناقصت الأعداد مع مرور الوقت، لتصل إلى نحو ٢٠ شخصًا يعيشون في حارة دمشق القديمة تسمى «الأمين»، وهي حارة اليهود، أو خارجها، لكن غالبيتهم من كبار السن بعد أن هاجر الشباب والأطفال.

ويوجد أكبر تجمع لليهود السوريين حاليًا في بروكلين في نيويورك، مع تجمعات لهم في مناطق أخرى في الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وإسرائيل.

وتقول الطائفة اليهودية في دمشق إنه: «في ظل التعايش الديني عاش اليهود في دمشق كجزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الدمشقي، فكانت العائلات اليهودية كمثيلاتها من المسيحية والإسلامية من حيث الحقوق والواجبات»(313).

وخصصت الطائفة، التي تقلص عددها بشكل كبير في تسعينيات القرن العشرين، علاوة على اندلاع الحرب الأهلية السورية بدءًا من العام ٢٠١١، صفحة رسمية على وسائل التواصل أشارت من خلالها إلى العائلات اليهودية في دمشق تاريخيًا، التي وصلت إلى نحو ٢٠٠ عائلة؛ وفق ما ذكر أحد الرخالة اليهود من أصل ٩٠٠ عائلة موجودة في أنحاء سوريا.

ولم يعرف اليهود، القاطنون في بلاد الشام، أي رغبة في السفر إلى فلسطين سوى لأداء الزيارات الدينية شأنهم شأن الطائفة المسيحية، مع تشابه كبير في العادات والتقاليد مع المسلمين والمسيحيين.

وأطلقت تسمية «بندرة» على حي سكنه اليهود في حلب، ولكن في حقيقة الأمر لم يكن هناك حي يسكنونه منعزلين عن غيرهم؛ بل عاشوا في أحياء فيها المسيحيون والمسلمون معًا، ومن أشهرها العزيزية، والإسماعيلية، والجميلية، وحي بحسيتا الذي يقع في وسط المدينة.

وعلى الرغم من الهجرة الواسعة، فإن أملاك أبناء الطائفة ما زالت تخضع للقانون من دون التصرف بها، إضافة إلى المعابد وأماكن العبادة القديمة وحتى المدارس الخاصة بهم.

تشابهت عادات اليهود في سوريا مع عادات وتقاليد السوريين كافةً، ولا يمكن تفرقة اليهودي عن غيره إلا في المناسبات الدينية أو الاجتماعية. ووثقت الدراما السورية فترة حياتهم ومعيشتهم في سوريا، ومن أبرز تلك الأعمال مسلسل «بواب الريح» عام ٢٠١٤ للمخرج مثنى صبح، وأدى فيه الفنان السوري دريد لحام شخصية اليهودي يوسف آغا، شيخ كار النحاسين.

ومع ذروة التوترات الإقليمية وإثر الصراع العربي الإسرائيلي والهجرة المتلاحقة، جُمِدَت

أملاك المستأجرين اليهود بموجب مرسوم صدر في أبريل ١٩٦٦، وأصبحت تُدار من قبل لجنة من وزارة الداخلية.

ومن أبرز اليهود السوريين أو من أصل سوري:

* ديفيد نحما (١٩٤٧): تاجر الفنون الجميلة المتقاعد الملياردير، وسليل عائلة فنيّة يهوديّة سوريّة تقيم في موناكو، وهو ابن عم رجل الأعمال إدموند صفرا.

* عزرا نحما (١٩٤٥): هو جامع أعمال فنيّة وملياردير سوري، يقيم في موناكو.

* سيمون حلبي (١٩٥٠): ملياردير سابق؛ كانت ثروته في عام ٢٠٠٧ تقدر بـ ٤,٣ مليار

دولار

* ستانلي شيرا (١٩٤٢ - ٢٠٢٠): مستثمر عقاري في نيويورك كان صديقاً مقرباً من دونالد ترامب، وقُدّرت ثروته بنحو ٤ مليارات دولار عند وفاته.

* جيف سوتون (١٩٦٠): ملياردير ومستثمر عقاري في نيويورك.

* إيلي هورن (١٩٤٤): ملياردير برازيلي من أصل سوري.

* جيري ساينفيلد (١٩٥٤): ممثل تلفزيوني أمريكي شهير وهو ابن لأبٍ يهودي مجري وأم يهوديّة سوريّة.

* جيلبرت بيجيو (١٩٣٥): ملياردير، وهو أغنى شخص في هايتي.

* إسحق سابا رفول (١٩٢٣ - ٢٠٠٨): ملياردير مكسيكي من أصل سوري، وتحديداً من حلب.

* دوغلاس جمال (١٩٤٢): مطور عقارات أمريكي، وهو أيضاً المؤسس المشارك لسلسلة

المتاجر الإلكترونيّة The Miz

* سوني جيندي (١٩٢٤ - ٢٠١٢): رجل أعمال أمريكي من أصل سوري يهودي من حلب، أسس هو وعائلته سلسلة متاجر Cenefcy ٢١ وقُدّرت قيمة ممتلكاتهم العقاريّة بنحو ٥ مليارات دولار.

* جوزيف نقاش (١٩٤٣): رجل أعمال إسرائيلي أمريكي من أصل سوري يهودي، كما أنه مستثمر عقاري، ومؤسس لشركة @cdache Eneecacided وتُقدّر ثروة جوزيف وإخوته بملياري دولار.

* خوسيه مغربي (١٩٣٩): هو جامع وتاجر إسرائيلي لقطع الفن المعاصر، وُلد في القدس لعائلة من أصل سوري.

* رونالد مراد كوهن (١٩٤٥): رائد أعمال وسياسي، يوصف بأنه «أبو رأس المال الاستثماري البريطاني».

* موشيه صفدي (١٩٣٨): مصمم معماري عالمي، لعائلته أصول لبنانيّة - سوريّة. اشتهر

بتصميمه «مارينا باي ساندز» وعدد من المباني العالمية.

يمتد وجود اليهود في لبنان الحالي إلى العصور التوراتية. في أزمنة ما قبل التوراة، كانت تعتبر مناطق شرق المتوسط من غزة وحتى الأناضول وحدة حضارية موحدة تجتمع حول لغة واحدة، وديانة واحدة وعادات موحدة. فاللغة كانت لهجات مختلفة للغة الكنعانية والتي تحدّرت إلى ما عُرف باللغة الفينيقية واللغة العبرية. وتعتبر هذه المناطق من أول المجتمعات الزراعية المستقرة في التاريخ، وأنشأت هذه المجتمعات شبكات اتصال وعلاقات تجارية متطورة مع معظم مناطق البحر المتوسط.

توجد دلائل على أن اليهود امتدوا إلى سفوح جبل الشيخ. وفي التوراة، سُمّي هؤلاء اليهود بقبائل «المنسي» والتي تعني في العبرية «الذين نسوا أنهم يهود». وكما يشير الإنجيل المسيحي إلى وجود تجمعات يهودية حول صور وصيدا وقانا؛ وذلك بناءً على قصص رحلات المسيح إلى تلك المناطق.



حفل زواج يهودي في كنيس ماغين أبراهام في لبنان

عقب ثورة بار كوخبا التي حصلت عام ١٣٢م، هرب اليهود من بطش الرومان واستوطنوا بعض المناطق في لبنان. وفي عام ٩٢٢م، كان هناك وجود لليهود في مدينة صيدا. وأنشئ المعهد اليهودي الفلسطيني في مدينة صور عام ١٠٧١م. وخلال اضطرابات ١٨٤٠ و ١٨٦٠ بين الدروز والمسيحيين نزح عدد من اليهود من دير القمر إلى مناطق حاصبيا.

وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت تسكن في صيدا الجالية اليهودية الأقدم والأكبر على مستوى الطائفة اليهودية في لبنان، وتألّفت من ٢٥ عائلة تقريباً. وبالإضافة إلى جالية صيدا، كانت هناك جاليتان يهوديتان أقل حجماً في كل من بيروت وطرابلس، بلغ تعداد كل منهما نحو ١٥ عائلة (عام ١٨٢٤). وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ازداد عدد اليهود في بيروت وصيدا،

وقدّر عددهم عام ١٩٠٤ بـ ٦١٠٠ في صيدا وثلاثة آلاف في بيروت. غير أن يهود صيدا أخذوا يهاجرون إلى بيروت وأمريكا، حتى لم يعد في صيدا في عام ١٩١٣ إلا ٣٥٠ يهودياً، في حين ارتفع عددهم في بيروت إلى خمسة آلاف.

تطورت الجالية اليهودية في بيروت خلال ثلاث مراحل متميزة⁽³¹⁴⁾. حتى عام ١٩٠٨، نما عدد السكان اليهود في بيروت بسبب الهجرة من الداخل السوري ومن المدن العثمانية الأخرى مثل: إزمير، وسالونيك، واسطنبول، وبغداد. النمو التجاري في المدينة الساحلية المزدهرة، والحماية القنصلية، والأمن النسبي والاستقرار في بيروت، كلها عوامل ساهمت في الهجرة اليهودية. وهكذا، من بضع مئات في بداية القرن التاسع عشر، نمت الطائفة اليهودية إلى ٢٥٠٠ بحلول نهاية القرن، في عام ١٩١١، انتقل يهود من إيطاليا، واليونان، وسوريا، والعراق، وتركيا، ومصر، وإيران، إلى بيروت؛ مما أدى إلى توسيع الطائفة هناك وزيادتها بأكثر من ٥٠٠٠ عضو إضافي.

وصل تعداد اليهود في لبنان إبان الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى ستة آلاف، أقام معظمهم في بيروت. وأظهر إحصاء أجري في عام ١٩٣٢ أنه كان في بيروت في ذلك التاريخ ٣٠٦٠ يهودياً وفي صيدا ٤٥٨ يهودياً؛ ونتيجة للحركة المستمرة لليهود من سوريا إلى لبنان، تزايد عدد اليهود في لبنان حتى وصل في إحصاء عام ١٩٤٤ إلى ٥٦٦٦ يهودياً. وقدّر عددهم عام ١٩٤٧ بما يقرب من ٥٩٥٠ يهودياً.

وبينما زاد عدد اليهود بشكل كبير، ظلت الطائفة غير منظمة إلى حد كبير. خلال هذه الفترة، كانت الطائفة تقتصر إلى بعض المؤسسات الأساسية مثل: القوانين المجتمعية، والمجلس المنتخب، وآليات الرعاية، والضرائب. في هذه الفترة، كانت المؤسسة اليهودية الأكثر تنظيمًا وشهرة في المدينة هي على الأرجح مدرسة «تيفريت إسرائيل» الخاصة (مجد إسرائيل) التي أسسها زكي كوهين عام ١٨٧٤. جذبت المدرسة الطلاب اليهود من عائلات مزدهرة مثل: شلوش (يافا)، مويال (يافا)، ساسون (بغداد). كان مؤسسها، متأثرًا بالإصلاحات العثمانية والاتجاهات الثقافية المحلية، يطمح إلى إنشاء مدرسة يهودية حديثة. فقد عرضت موضوعات علمانية ويهودية بحتة بالإضافة إلى سبع لغات. كما عرضت موضوعات تجارية، ثم تم إغلاق المدرسة في بداية القرن العشرين بسبب الصعوبات المالية.

أشعلت ثورة تركيا الفتاة (١٩٠٨) عملية التنظيم. في غضون ستة أعوام، أنشأت الجالية في بيروت جمعية عامة، ومجلسًا منتخبًا من اثني عشر عضوًا، وصاغت قوانين مجتمعية، وعيّنت حاخامًا رئيسيًا، وشكلت لجانًا لإدارة الضرائب والتعليم، وتسببت هذه الإجراءات في حدوث توتر بل صراعات داخل الطائفة، ولكن في النهاية، أسس مجلس الطائفة المحلي حكمه وسلطته في صفوف اليهود، حيث تلقى كبير الحاخامات راتبه من الجالية وكان بحكم الواقع تحت سلطة المجلس.

مع تأسيس «لبنان الكبير» تحت الانتداب الفرنسي (بعد ١٩٢٠)، أصبحت الجالية اليهودية في بيروت جزءاً من كيان سياسي جديد، وبرزت فئة التجار والتموليين من أبناء الطائفة ومنهم: آل فرحي، وآل ديشي، وآل انزروت⁽³¹⁵⁾. تبنى حكام الانتداب الفرنسي التقاليد السياسية المحلية لتقاسم السلطة واعترفوا باستقلالية الطوائف الدينية المختلفة. وهكذا، كانت الجالية اليهودية واحدة من ١٦ طائفة في لبنان، وتتمتع بقدر كبير من الحكم الذاتي، على غرار نظام الملل العثماني إلى حد ما.

خلال المرحلة الثالثة من تطورها، أسست الطائفة مؤسستين رئيسيتين: كنيس «ماغين أبراهام» (١٩٢٦)، ومدرسة مجتمع التلمود - توراة سليم طراب (١٩٢٧). كما حافظت الجالية اليهودية أيضاً على خدمات الرعاية الاجتماعية مثل جمعيات: «بيكور حوليم»، و«أوزر دليم»، و«ماتان باستر». جاء التمويل لجميع هذه المؤسسات من مساهمات أفراد الجالية القادرين، الذين ساهموا في الأعياد والاحتفالات اليهودية، من خلال اشتراك الأعضاء البارزين، وفعاليات جمع التبرعات واليانصيب التي نظمتها الطائفة. في الواقع، كانت الطائفة اليهودية في لبنان مستقلة مالياً ولم تعتمد على الأعمال الخيرية اليهودية الأوروبية.

أثر تطور اليشوف⁽³¹⁶⁾ اليهودي في فلسطين على القيادة اليهودية، التي أظهرت عادة تعاطفاً ودعمًا نشطاً للصهيونية. انحازت القيادة اليهودية في بيروت خلال هذا الوقت أيديولوجياً إلى Aczei Ha - Lebanon منظمة «بناي بريث» التي تتخذ من أمريكا مقراً لها من خلال وكيلها المحلي الذي كان ينشط فيه عدد من قادة الطائفة في لبنان. في بيروت، على عكس الطوائف Lodge اليهودية الأخرى، كان معظم أعضاء مجلس الجالية من أعضاء «بناي بريث»؛ وبالتالي كان هناك تداخل بين المجلس والمحفل. بالطبع، كانت مدرسة «التحالف الإسرائيلي العالمي» (أو «الأيانس») تحظى بشعبية في أوساط الطائفة؛ لأنها ركزت على اللغة الفرنسية وأعدت الطلاب للتعليم العالي؛ نظراً لعدم وجود مدرسة ثانوية يهودية في بيروت، التحق الكثير من الطلاب اليهود بمدارس أجنبية (مسيحية)، سواء كانت علمانية أو دينية. كانت الجالية اليهودية واحدة من الطوائف الصغيرة في البلاد؛ وبالتالي لم يكن يحق لها الحصول على تمثيل مضمون في البرلمان. بعد استبعادها من الحياة السياسية اللبنانية، كانت القيادة اليهودية تتطلع إلى تحسين مكانة الطائفة العامة من خلال تعزيز الطائفة ككل وتحسين أوضاعها. بشكل عام، اتسمت فترة الانتداب الفرنسي بالنمو والتنمية والاستقرار.

تضمنت المادتان ٩ و ١٠ من دستور لبنان لعام ١٩٢٦ حرية الدين ومنح كل طائفة دينية، بما في ذلك الجالية اليهودية، الحق في إدارة شؤونها المدنية الخاصة، بما في ذلك التعليم؛ وبالتالي كانت الطائفة اليهودية محمية دستورياً⁽³¹⁷⁾. ازدهرت الجالية اليهودية في ظل الانتداب الفرنسي ولبنان الكبير، وكان لها تأثير كبير في جميع أنحاء لبنان وما وراءه. تحالف اليهود مع حزب الكتائب بقيادة بيار الجميل ولعبوا دوراً فعالاً في تأسيس لبنان كدولة مستقلة.

خلال فترة لبنان الكبير، تم تأسيس صحيفتين يهوديتين، هما: «العالم الإسرائيلي» باللغة العربية وهي دورية اقتصادية استمرت في التداول حتى يونيو 1921 Le Commerce de Levant واللغة الفرنسية 2021.

في القرن العشرين، أظهرت الجالية اليهودية في لبنان القليل من المشاركة أو الاهتمام بالسياسة. كانوا عموماً تقليديين ولم يشاركوا في منازعات الجماعات الدينية الأكبر في البلاد. بشكل عام، كانوا يميلون إلى دعم القومية اللبنانية وشعروا بتقارب تجاه فرنسا. كانت السلطات الفرنسية في ذلك الوقت تثبط التعبير عن الصهيونية (التي اعتبرتها أداة لمنافسها البريطاني)، وكانت الطائفة في الغالب لا تبالي بها. أيد عدد قليل من قادة الجالية، مثل جوزيف فرحي، بشدة القضية الصهيونية، وكان هناك مستوى من الدعم لمفهوم الدولة اليهودية في فلسطين. كان لليهود في لبنان اتصالات جيدة مع أولئك الموجودين في فلسطين، وكانت هناك زيارات منتظمة بين بيروت والقدس. وتحدثت روايات التحالف الإسرائيلي العالمي، الذي أنشأ المدارس التي التحق بها معظم الأطفال اليهود في البلاد، عن الصهيونية النشطة، في حين أعربت الوكالة اليهودية عن أسفها لغياب المشاعر القومية. كما أصيبت المنظمة الصهيونية العالمية بخيبة أمل من عدم وجود دعم أكثر فاعلية، ولم ترسل الطائفة اليهودية في لبنان وفدًا إلى المؤتمر الصهيوني العالمي.

ويقول شاب يهودي لبناني يدعى جوزيف عازار، أخذ على عاتقه النهوض بالقضية الصهيونية مع أفراد آخرين في أكتوبر 1930، في تقرير للوكالة اليهودية: «قبل اضطرابات أغسطس 1929⁽³¹⁸⁾، أبدى يهود لبنان... الكثير من التعاطف مع القضية الصهيونية وعملوا بنشاط من أجل فلسطين. فقد أنشأوا جمعيات جمعت الأموال من أجل «كيرن كايميت»⁽³¹⁹⁾. و«كيرين هايسود»⁽³²⁰⁾. ويضيف أنه بعد عام 1929، «بدأ اليهود يخافون من أي شيء له علاقة بالصهيونية، وتوقفوا عن عقد الاجتماعات وجمع الأموال». وقال إن المجلس الطائفي اليهودي في بيروت «سعى إلى منع أي شيء له طابع قومي يهودي خوفًا من أن يجرح ذلك مشاعر المسلمين».

تم الاعتراف بمنظمة مكابي⁽³²¹⁾ رسميًا من قبل السلطات اللبنانية، وكانت مركزًا نشطًا للشؤون الثقافية اليهودية في بيروت وصيدا. عملت مكابي على تدريس اللغة العبرية والتاريخ اليهودي، وكانت نقطة تركيز الحركة الصهيونية الصغيرة في البلاد. كما كانت هناك عناصر مؤيدة للصهيونية داخل الطائفة المارونية في لبنان؛ بل إن شخصيات مارونية تحت مسمى «المجموعة القومية في سوريا ولبنان» بزعامة نجيب صفير، أبرمت معاهدة مع يهوشوا حانكين، الذي زعم تمثيله «المنظمة الصهيونية في فلسطين» في 26 مارس 1920. «اعترف الموارنة في هذا الاتفاق بحق اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في أرض إسرائيل، ودعموا الهجرة اليهودية غير المحدودة، إلى هذا الوطن. وفي المقابل، اعترف الصهيونيون بلبنان بلدًا مسيحيًا مستقلًا منفصلًا

عن سوريا المسلمة، وتعهدوا بمساعدة كلتا الحكومتين في تنمية بلديهما بالمال والخبرة»⁽³²²⁾.

كما وقّعت الكنيسة المارونيّة معاهدة مع الوكالة اليهوديّة في ٣٠ مايو ١٩٤٦، يتضمن «اعترافاً كلياً، بشرعيّة الرابط التاريخي الذي يجمع الشعب اليهودي في فلسطين، وطموحات الشعب اليهودي في فلسطين، وأيضاً حق الشعب اليهودي في هجرة حرّة إلى فلسطين، والإقامة بحريّة في البلاد. وهو يعلن موافقته على البرنامج السياسي الحالي، المُعلن للوكالة اليهوديّة، الذي يتضمن بالأخص إنشاء الدولة اليهوديّة»⁽³²³⁾. ومن الواضح أن الكنيسة المارونيّة رأّت أن توقيع هذه المعاهدة يصب في مصلحة القوى المارونيّة في لبنان.

انخرطت الحركة الصهيونيّة في عمليات التهريب النشطة للبضائع والمواد الأولية عبر لبنان برّاً وقبرص وغيرها جوّاً، مستفيدةً في ذلك من نفوذها وعلاقاتها في لبنان منذ أوائل ثلاثينيّات القرن العشرين، وخاصةً لدى الطائفة المارونيّة؛ ما أدى إلى زيادة النشاط التجاري المتبادل عبر الحدود بين لبنان وإسرائيل في أواسط الثلاثينيّات⁽³²⁴⁾.

بعد «هبة البراق» التي اندلعت في القدس عام ١٩٢٩، طُرد مفتي القدس من فلسطين واختار الاستقرار في لبنان، حيث واصل حشد المقاومة ضد المطالبات الصهيونيّة بفلسطين. خلال هذه الثورة، سعى بعض القوميين ومحربي إحدى الصحف اليونانيّة الأرثوذكسيّة الكبرى (وكلاهما رأى مصير الدولة اللبنانيّة الناشئة كواحد ضمن سياق عربي أوسع) إلى التحريض على الاحتجاج في لبنان، في وقتٍ كانت فيه معظم الجماعات الدينيّة في هذا البلد بمعزل عن الصراع الذي يتفقم في فلسطين. كما يبدو أن هذه الأجواء المتوترة جاءت في جزءٍ منها احتجاجاً على الرد المبهم الذي قدّمه وزير الداخليّة حبيب أبو شهلة إلى جوزيف فرحي عندما طلب نيابة عن الجالية اليهوديّة الحصول على مقعد في البرلمان اللبناني الموسع حديثاً.

بعد تصاعد التوتر والاشتباكات في بعض مدن لبنان، وخاصة طرابلس؛ أدى استمرار انعدام الأمن إلى جانب الفرص الأكبر التي قدّمتها بيروت إلى دفع معظم اليهود المتبقين في طرابلس إلى الانتقال إلى بيروت⁽³²⁵⁾.

كانت الجالية اليهوديّة تتمركز تقليدياً في وادي أبو جميل، ورأس بيروت، مع تجمعات أخرى بدرجة أقل في الشوف، ودير القمر، وعاليه، وبحمدون، وحاصبيا.

ويمكن القول: إن يهود لبنان «تكاملوا» في الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة للبلد، لكنهم لم «يتماهوا» أو يذوبوا فيه كما حصل لكثيرين من اليهود في أوروبا الغربيّة. وترى الباحثة كيرستن شولتز أن «التكامل» الذي قصر عن «الذوبان» كان نتيجة لطبيعة النظام السياسي للبنان وتركيبته الطائفية العرقية. وتضيف أن «تاريخ يهود لبنان المتميز بانعدام أي عداة عنصري يذكر، وحماية الدولة والمواطن في لبنان لليهود في أوقات الاضطراب، يؤكد بطلان الزعم القائل: إن كل يهود الشرق الأوسط عوملوا كمواطنين من الدرجة الثانية وعانوا من التضييق الشديد

والتمييز والاضطهاد»(326).

كان لبنان الدولة العربيّة الوحيدة التي زاد عدد سكانها اليهود بعد إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، حيث وصل عددهم إلى حوالي ١٠.٠٠٠ شخص(327). ومع ذلك، بعد أزمة لبنان عام ١٩٥٨، غادر الكثير من اليهود اللبنانيين البلاد، وخاصّةً إلى إسرائيل، وفرنسا، والولايات المتحدة، وكندا، وأمريكا اللاتينيّة (في الغالب إلى البرازيل).

تعرّض الكنيس اليهودي الرئيسي في بيروت للتفجير في أوائل الخمسينيّات من القرن العشرين



كنيس ماغين ابراهام في لبنان

وشهد مجلس النواب اللبناني نقاشات محتدمة حول وضع ضباط الجيش اللبناني من اليهود، وبلغت النقاشات ذروتها بقرار بالإجماع بطردهم واستبعادهم من الجيش اللبناني(328). ثم تم تسريح ضابطين يهوديين من الخدمة، لكن القليل من اليهود استمروا في العمل لصالح الحكومة، حيث تضاعل عدد السكان اليهود في بيروت، الذين بلغ عددهم ٩٠٠٠ عام ١٩٤٨، إلى ٢٥٠٠ بحلول عام ١٩٦٩.

بدأ مد الهجرة اليهوديّة من لبنان بعد انتهاء عهد رئاسة كميل شمعون، المؤيدة لمشروع أيزنهاور وحلف بغداد، وبدء العهد الشهابي المنسجم مع التيار الناصري العربي. وتزايدت وتيرة الهجرة بعد حرب يونيو ١٩٦٧، ومن ثم توقيع «اتفاق القاهرة» بين الحكومة اللبنانيّة في عهد الرئيس شارل حلو والمقاومة الفلسطينيّة؛ وصولاً إلى اندلاع الحرب الأهليّة اللبنانيّة الثانية عام ١٩٧٥.

كانت الحرب الأهليّة اللبنانيّة أسوأ بكثير بالنسبة للجالية اليهوديّة اللبنانيّة، حيث قُتل حوالي ٢٠٠ في المذابح. هاجر معظم اليهود اللبنانيين الباقين البالغ عددهم ١٨٠٠ شخص في عام ١٩٧٦؛ خوفاً من أن يؤدي الوجود السوري المتزايد في لبنان إلى تقييد حريتهم في الهجرة. وبعد عام من الحرب الأهليّة اللبنانيّة، لم يتبقّ إلا ٥٠٠ يهودي لبناني. في عام ١٩٨٢، أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان وما بعده، تعرّض ١١ من قادة الطائفة اليهوديّة للخطف والقتل على أيدي

متطرفين، وكان من بين المخطوفين د.إيلي حلاق نائب رئيس الطائفة. كما عانت المباني المجتمعية خلال تلك الأيام. أثناء تقدّم الجيش الإسرائيلي نحو بيروت، كلّف ياسر عرفات مسلحين فلسطينيين بالوقوف في حراسة كنيس «ماغين أبراهام»، وهو رمز مهم للطائفة، ويقع بالقرب من البرلمان. تم قصف المعبد من قبل سلاح الجو الإسرائيلي، بزعم أنه كان يستخدم كمستودع أسلحة من قبل الفلسطينيين. أثناء الغزو الإسرائيلي، عاد بعض اليهود اللبنانيين الذين هاجروا إلى إسرائيل كجنود غزاة(329).

عقب حرب عام ١٩٤٨، والأهم من ذلك بكثير بعد الحرب الأهلية اللبنانية، تعيش الغالبية العظمى من اليهود اللبنانيين الآن في الدول الغربية ويعيش الكثير منهم في إسرائيل. بما أن آخر تعداد سكاني تم إجراؤه في لبنان عام ١٩٣٢، فلا توجد إحصائيات متاحة تقريباً. في عام ١٩٨٦، وصل عدد يهود لبنان إلى ٥٠ يهودياً فقط، تمركزوا في بيروت «الشرقية» وجزين(330).

في عام ٢٠٠٦، كان هناك حوالي ٤٠ يهودياً في لبنان(331)، أما في عام ٢٠٢٠ فكان هناك حوالي ٢٩ يهودياً فقط في لبنان(332)، معظمهم من كبار السن.

وفي عام ٢٠٠٣، ترك يوسف مزراحي، آخر الزعماء اليهود، البلاد ليعيش في فرنسا.

حالياً، لا يمارس يهود لبنان شعائرهم لعدم وجود حاخام في البلاد، كما أنهم يفضلون عدم الظهور كيهود خوفاً من اعتبارهم عملاء لإسرائيل، ويوجد كنيس يهودي في دير القمر يتمتع بحماية دوري شمعون الذي يتمتع بنفوذ في المنطقة.

من رؤساء الطائفة اليهودية في لبنان:

عزرا أنزاروت قبل عام ١٩١٠

جوزيف د. فرحي ١٩١٠ - ١٩٢٤

جوزيف ديشي باي ١٩٢٥ - ١٩٢٧

جوزيف د. فرحي ١٩٢٨ - ١٩٣٠

سليم هراري ١٩٣١ - ١٩٣٤

جوزيف د. فرحي ١٩٣٥ - ١٩٣٨

ديب سعدية وجوزيف ديشي باي ١٩٣٩ - ١٩٥٠

جوزيف عطية ١٩٥٠ - ١٩٧٦

إسحاق ساسون ١٩٧٧ - ١٩٨٥

راؤول مزراحي ١٩٨٥

جوزيف مزراحي ١٩٨٦ - ٢٠٠٣

إسحاق أرازي ٢٠٠٥ - حتى الآن

ولعل أهم العائلات اليهودية في لبنان هي: مزراحي، مغربي، سرور، درويش، زيتوني، مثلون،

بيخار، كوهن، براهام، برزلاي، بلسيانو، بصل، بولتي، حديد، خياط، ديوان، زيتون، شميا، شماس، شكري، شموئيل، نورتي، لاوي (ليني)، معتوق، نسيم، ذكرى، يماني، ويعقوب(333).

من أبرز الشخصيات اليهودية ذات الأصول اللبنانية، الأسماء التالية

يوسف «جوزيف» صفرا (١٩٣٨ - ٢٠٢٠)، كان أغنى رجل بنوك في العالم، كما أنه ثاني * أغنى شخص في أمريكا اللاتينية. لبناني المولد، لكن البعض يعزو أصوله إلى حلب السورية

.إدمون صفرا (١٩٣٢ - ١٩٩٠): ملياردير ينتمي إلى عائلة صفرا *

موزيس صفرا (١٩٣٤ - ٢٠١٤): رجل أعمال وملياردير برازيلي، شارك في تأسيس «بنك صفر» مع أخويه: إدمون صفرا، وجوزيف صفرا

جاك بينارويا (١٩٢١ - ٢٠١٢): كان مطورًا عقاريًا رائدًا بنى ما أصبح أكبر إمبراطورية * عقارية تجارية خاصة في الشمال الغربي في الولايات المتحدة

.جون غرابو (١٩٧٨): لاعب محترف في دوري البيسبول الأمريكي *

أدريانا برانداو بيهار (من مواليد ١٤ فبراير ١٩٦٩، في ريو دي جانيرو) هي واحدة من * أبرز لاعبي الكرة الطائرة في جيلها. فازت بميداليتين فضيتين أولمبيتين في كرة الطائرة الشاطئية

.غاي بيارت (١٩٣٠ - ٢٠١٥): مغنٍ، وكاتب أغاني فرنسي *

إيمانويل بيارت (مواليد ١٤ أغسطس ١٩٦٣): ممثلة سينمائية فرنسية، ظهرت في أكثر من * ٦٠ إنتاجًا سينمائيًا وتلفزيونيًا منذ عام ١٩٧٢

.ساسون دايبان (١٩٤٠): مصرفي بارز *

.موريل تيليو: ممثلة أمريكية *

.إدموندو صفدي (١٩٢٩ - ٢٠١٦): مصرفي برازيلي *

.أربيل حلواني - صحفي فنون قتالية *

.نيل سيداكا (١٩٣٩) مغنٍ، وعازف أمريكي *

وَفَقًا للكتاب المقدس العبري، عاشت ثلاث قبائل إسرائيلية في هذه المنطقة: سبط رأوبين، سبط جاد وسبط منسى. كانت هذه القبائل أعضاء في مملكة إسرائيل الشماليّة حتى تم غزو المملكة من قبل آشور في عام ٧٢٣ قبل الميلاد وترحيل السكان.

كشفت سلسلة من المسوحات التنقيبية التي أجريت في زوارة في الفترة بين ١٩٨٦ و ١٩٩٦ عن شواهد قبور مكتوبة باللغة الآرامية؛ مما يشير إلى أنها تنتمي إلى مدافن يهوديّة. من هذه الشواهد، نقوش تكشف عن أصول المتوفى بأنه من اليهود الذين قَدِمُوا من حَمِير (الآن اليمن) وهي النقوش الجنائزية التي يعود تاريخها إلى ٤٧٠ و ٤٧٧م. ترجع شواهد القبور هذه إلى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد، عندما كانت زوارة مركزًا يهوديًا مهمًا. على غير العادة، تم دفن المسيحيين واليهود في المقبرة نفسها.

منذ اندماجها في الإمبراطوريّة العثمانيّة عام ١٥١٦، كانت هذه المنطقة جزءًا من ولاية دمشق - سوريا حتى عام ١٦٦٠، ثم جزءًا من ولاية صيدا، لكنها خرجت عن هذه السيطرة لفترة وجيزة في ٧ مارس - يوليو ١٧٩٩ نتيجة للاحتلال الفرنسي لكل من: يافا، وحيفا، وقصريّة. أثناء حصار عكا عام ١٧٩٩، أصدر نابليون بيانًا لليهود آسيا وإفريقيا يناشدهم فيه مساعدته على احتلال القدس. في ١٠ مايو ١٨٣٢، كانت واحدة من المقاطعات التركيّة التي ضمتها مصر في عهد محمد علي (لكنها ظلت اسمًا عثمانيّة)، ولكن في نوفمبر ١٨٤٠ تمت استعادة الحكم العثماني المباشر.

أيد وعد بلفور البريطاني لعام ١٩١٧ فكرة إنشاء وطن لليهود في فلسطين، على الرغم من عدم تحديد حدودها. اقترحت المنظمة الصهيونيّة العالميّة حدود الانتداب البريطاني على فلسطين على مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩.

على الرغم من مساعي المنظمة الصهيونيّة العالميّة، تعاملت الإدارة البريطانيّة منذ عام ١٩١٧ مع الأراضي الواقعة شرق نهر الأردن، والمعروفة باسم شرق الأردن، بشكل منفصل، واعتبرتها دولة منفصلة في المستقبل⁽³³⁴⁾. تم الإعلان عن تقييد رسمي للوطن اليهودي في غرب الأردن في مؤتمر القاهرة في مارس ١٩٢١، وأضيفت مادة جديدة إلى مسودة نص التفويض تسمح للحكومة البريطانيّة بإدارة شرق الأردن بشكل منفصل. وافقت عصبة الأمم على الانتداب في يوليو ١٩٢٢، وفي سبتمبر ١٩٢٢ وافقت العصبة على مذكرة توضح بالتفصيل استبعاد شرق الأردن من أحكام الوطن اليهودي.

بعد خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، كان الأردن ضمن الدول العربيّة التي

حاولت التصدي لمساعي إقامة دولة إسرائيل. حققت القوات العربيّة بعض الانتصارات، لكنها هُزمت في نهاية المطاف. في عام ١٩٥٠ ضم الأردن الضفة الغربيّة والقدس الشرقيّة، وفي عام ١٩٥٤ منح الجنسيّة الأردنيّة لسكانها من غير اليهود الذين كانوا مواطنين فلسطينيين قبل ١٥ مايو ١٩٤٨.

فقد الأردن السيطرة على الضفة الغربيّة خلال حرب يونيو من عام ١٩٦٧، لكنه لم يتنازل عن مطالبته بالضفة الغربيّة حتى عام ١٩٨٨. وفي عام ١٩٩٤ وقع معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن. لم تُغيّر المعاهدة وضع اليهود في الأردن، وفي عام ٢٠٠٦ ورد أنه لم يكن هناك مواطنون يهود في الأردن⁽³³⁵⁾، ولا أي معابد يهوديّة أو مؤسسات يهوديّة أخرى. مع ذلك، تعترف الحكومة باليهوديّة كدين ولا تفرض قيودًا على اليهود، ويسمح لليهود بامتلاك العقارات وممارسة الأعمال التجاريّة في البلاد، رغم أنها قد تخضع لمتطلبات الجنسيّة الأردنيّة. يبقى الحديث عن الباقورة.



الباقورة المطلة على نهر الأردن

والباقورة هي بلدة أردنيّة حدوديّة تقع شرق نهر الأردن ضمن لواء الأغوار الشماليّة التابع لمحافظة إربد. تبلغ مساحتها الإجماليّة حوالي ٦٠٠٠ دونم. كانت الباقورة تعدّ أحد بنود النزاع بين الأردن وإسرائيل منذ عقود لوقوعها على الحدود، حيث وردت في الملحق الأول من اتفريقيّة وادي عربة في القسم الثاني ب تحت اسم «منطقة الباقورة/ نهاريم»⁽³³⁶⁾. استعاد الأردن سيادته عليها في نوفمبر ٢٠١٩، بعد انتهاء مدة العمل بملحقي الباقورة والغمر وعدم تجديد الاتفريقيّة⁽³³⁷⁾. الحاصل أنه عندما تم تعيين الحدود بين شرق الأردن وفلسطين إبان الانتداب البريطاني، حُدّد نهر الأردن حدًّا فاصلاً بين القطرين، كما حُدّد نهر اليرموك فاصلاً بين الأردن وسوريا. أصبحت الباقورة وفقاً لهذه الحدود جزءاً من الأردن. بعد حرب ١٩٤٨، نزح عدد كبير من الفلسطينيين إلى شرق نهر الأردن ومنهم من سكن الباقورة، وهؤلاء في معظمهم من العاملين بالزراعة وتربيّة

المواشي. إلا أن إسرائيل احتلت المنطقة الواقعة على الجانب الأردني عند ملتقى نهر اليرموك ونهر الأردن في غرب الباقورة عام ١٩٥٠ التي كانت مسجلة باسم بنحاس روتنبرغ اليهودي(338)، الذي منحته بريطانيا في عام ١٩٢١ حق امتياز استغلال مياه نهري اليرموك والأردن لتوليد الطاقة الكهربائية لإنارة المدن الفلسطينية ولواء عجلون ضمن ما كان يُسمى مشروع روتنبرغ(339).



بقايا محطة توليد الطاقة في الباقورة، تابعة لمشروع روتنبرغ

في عام ١٩٩٤، اتفق الجانبان الأردني والإسرائيلي في معاهدة وادي عربة على استرداد الأردن للباقورة التي تقدر مساحتها بـ ٨٥٠ دونماً، علماً بأن الأردن لم يكن يمارس السيادة الفعلية على المنطقة المستردة.

في عام ١٩٩٧، شهدت هذه المنطقة حدثاً مهماً، حين أطلق الجندي الأردني أحمد الدقاسمة النار على مجموعة فتيات إسرائيليات بسبب استهزائهن به أثناء صلاته في المنطقة في ١٢ أبريل ١٩٩٧ فأردى العشرات ما بين قتيل وجريح. انتهت محاكمته بالحكم عليه بالسجن المؤبد، رغم الرفض الشعبي لذلك(340). عادت السلطات الأردنية وأفرجت عن أحمد الدقاسمة في شهر مارس من العام (341) ٢٠١٧.

وفي ٢١ أكتوبر ٢٠١٨، أعلن الملك عبدالله الثاني بن الحسين عبر صفحته على موقع تويتر عدم تجديد اتفاقية تأجير أراضي الباقورة والغمر لإسرائيل، بعدما خرجت احتجاجات ومسيرات

في يوم الجمعة السابق (١٩ أكتوبر)، تطالب بإنهاء هذه الاتفاقية بعدما انتهت المدة القانونية بحسب معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية. كما شهدت المحاكم الأردنية، تسجيل مجموعة من الإنذارات العدلية ضد الحكومة، للمطالبة بعدم تمديد تأجير أراضي المنطقتين لإسرائيل. وغرّد العاهل الأردني قائلاً: «لطالما كانت الباقورة والغمر على رأس أولوياتنا، وقرارنا هو إنهاء ملحقي الباقورة والغمر من اتفاقية السلام انطلاقاً من حرصنا على اتخاذ كل ما يلزم من أجل الأردن والأردنيين». كما قالت وزارة الخارجية وشؤون المغتربين إنها سلّمت وزارة الخارجية الإسرائيلية مذكرتين أبلغت عبرهما الحكومة الإسرائيلية قرار المملكة الأردنية إنهاء الملحقين الخاصين بمنطقتي الباقورة والغمر في معاهدة السلام المذكورة(342).

بعد هذا الإعلان، هدد وزير الزراعة الإسرائيلي أوري أرنيل، بقطع المياه عن العاصمة الأردنية عمّان، وقال في مقابلة مع القناة الأولى الإسرائيلية: إنّ إسرائيل ستقلّص المياه التي تزود بها عمّان من أربعة أيّام إلى يومين في الأسبوع إذا ألغى الملحق الخاص بقريتي الغمر والباقورة، مُعتبراً أنّ الأردن يحتاج إسرائيل أكثر من حاجة إسرائيل للأردن(343)، وطالب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بإقناع ملك الأردن بالعدول عن قراره. وكان نتنياهو قد صرّح بأنّ الأردن يحق له استعادة أراضيه كافة، لكنّه توقّع الدُخول في مفاوضات مع الأردن حول إمكانية تمديد اتفاقية تأجير أراضي القريتين سالفتي الذكر. في ١٠ نوفمبر ٢٠١٩ أعلن ملك الأردن عبدالله الثاني انتهاء العمل بملحقي الباقورة والغمر وفرض السيادة الأردنية عليهما.

وُجد اليهود قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة في اليمن، وحضرموت، ويثرب، وتيماء، وخيبر، وفدك، ووادي القرى، واليمامة، ونجران، وفي دومة الجندل. وينحدر يهود الجزيرة العربيّة من قسمين:

*يهود ينحدرون من بني إسرائيل كيهود بني قَيْنُقَاع في يثرب

*يهود من قبائل سبأ وجمَيْر (ذو ريدان)

يعود أول ذكر لليهود في مناطق شبه الجزيرة العربيّة - بحسب بعض المصادر - إلى زمن الهيكل الأول⁽³⁴⁴⁾. بدأت الهجرة اليهوديّة إلى مناطق شبه الجزيرة العربيّة بشدة في القرن الثاني الميلادي، ويشير باحثون إلى حدوث هجرة يهوديّة من أرض كنعان (فلسطين) إلى شبه الجزيرة العربيّة في الفترة الواقعة بين إحراق الهيكل عام ٧٠م على يد القائد الروماني تيتوس، وإخراج هديران لليهود من فلسطين عام ٣٢م⁽³⁴⁵⁾.

غير أن فريقاً آخر من الباحثين يذهب إلى أن «يهود الجزيرة العربيّة كانوا عرباً تهوّدوا لا يهوداً مهاجرين من فلسطين استعربوا»⁽³⁴⁶⁾. وتشير كتب التاريخ العربي صراحة إلى تهوّد بعض عرب الحجاز مثلاً، كما جاء في تاريخ اليعقوبي⁽³⁴⁷⁾، وفيليب حتي⁽³⁴⁸⁾ و«معجم البلدان»⁽³⁴⁹⁾، فيما يقول د. أحمد محمد الحوفي: «فكان حول مكة قبائل عربيّة منهوّدة، هي بطون من كِنانة، وبني الحارث بن كعب، وبني كندة، وتهود قوم من غسان، ومن جذام، وهاد بنو حشنة بن عكارمة بتيماء، وهاد بعض الأوس والخزرج لما جاؤوا اليهود»⁽³⁵⁰⁾.

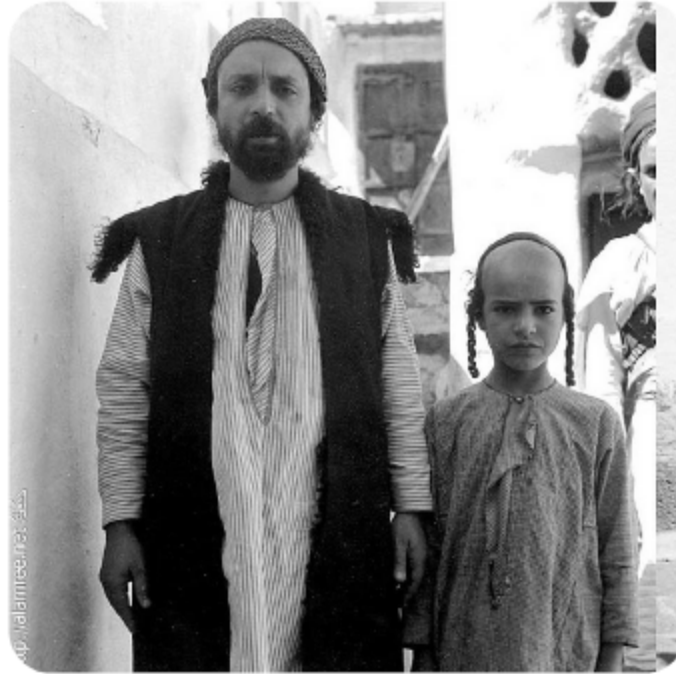
وتحدّد بعض المصادر أسماء بعض القبائل اليهوديّة المهاجرة إلى شبه الجزيرة العربيّة وأشهرها: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو هذل، وبنو زغورا، وبنو قَيْنُقَاع، وبنو الفصيصة، وبنو محمم⁽³⁵¹⁾.

ويرى د. عبدالوهاب المسيري أن جماعات يهوديّة هاجرت إلى شبه الجزيرة العربيّة، بالإضافة إلى تهوّد بعض القبائل العربيّة على يد رجال دين يهود وعن طريق التجارة⁽³⁵²⁾.

وكانت البحرين المطلة على الساحل الغربي للخليج العربي قبلةً ومستقرّاً لليهود القادمين من بلاد ما بين النهرين خلال القرن الأول الميلادي، وازدادت أعدادهم خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين هرباً من الظلم والاضطهاد الفارسي له⁽³⁵³⁾. وسار على منوالهم للاستقرار في البحرين، مجموعات من يهود بلاد فارس ومناطق شرق وجنوب بلاد ما بين النهرين نتيجة لتعرضهم للاضطهاد الديني والسياسي على يد الفرس في عهد ملكهم فيروز بن يزدجرد (٤٥٧ - ٤٨٤ م)، فارتحلوا بحثاً عن الأمن والاستقرار في البحرين إلى جانب من سبقوهم من اليهود.

بحلول القرنين السادس والسابع الميلاديين كان هناك عدد كبير من اليهود يسكنون شمال الحجاز وتحديداً في يثرب وما حولها⁽³⁵⁴⁾. يرجع ذلك جزئياً إلى اعتناق قادة وملوك مثل ذي نواس اليهودية. وفقاً للمسعودي فإن شمال الحجاز كان ولاية تابعة لمملكة يهوذا⁽³⁵⁵⁾، في حين يرى بطرس البستاني أن اليهود أسسوا دولة مستقلة ذات سيادة⁽³⁵⁶⁾.

وتُعد الطائفة اليهودية اليمنية من أقدم طوائف اليهود في العالم. تعددت الروايات حول أصل وجودهم في نسيج اليمن الاجتماعي: رواية اليهود اليمنيين أنفسهم أن النبي إرميا أرسل ٧٥,٠٠٠ شخصاً من سبط لاوي إلى اليمن⁽³⁵⁷⁾، رواية أخرى تروي أن الوجود اليهودي في اليمن يعود إلى أيام حملة أيلئوس غالوس على مملكة سبأ؛ إذ كان الجيش الروماني يحوي ما يقارب ٥٠٠ يهودي مرسلين من قبل الملك أغريباس الأول لمساعدة الرومان فبقوا في اليمن رغم انسحاب الروم⁽³⁵⁸⁾. هناك أطروحات أن اليهود اليمنيين كانوا صدوقيين نزحوا إلى اليمن واختلطوا بالقبائل عقب دمار هيكل سليمان. بعض الباحثين يعيد الوجود اليهودي في اليمن للقرن السادس قبل الميلاد، ويصنف الباحثون يهود اليمن ضمن طائفة المزاراحيم⁽³⁵⁹⁾، والبعض يجعلهم من السفارديم⁽³⁶⁰⁾، ويرجعون أن أول وجود لهم كان في شرقي اليمن في حضرموت تحديداً، وينتشرون في أنحاء اليمن كافةً، بكثافة أعلى في الجنوب اليمني.



أب من يهود اليمن مع ابنة عام ١٩٣٦

هناك آثار عديدة في اليمن دالة على قدم الوجود اليهودي فيها⁽³⁶¹⁾، حيث عبد بعض اليمنيين القدماء الإله «الرحمن» وخصوصاً في عهد الملك يوسف أسار. والملاحظ أن بعض ملوك وأقبال

سبأ وجمير كانوا يحملون أسماءً عبريةً صريحة مثل شامري ويوسف وأشوع ونوفيم، وفي اللغة العبرية كلمة سبأ تعني «الجد»⁽³⁶²⁾.

الثابت أنه في بداية القرن الثالث الميلادي، وُجِدَت طوائف يهوديةً وسط سكان اليمن، اتسمت أوضاعها بالازدهار، وقد نجحت في تحويل الكثير من قبائل جنوب الجزيرة العربية إلى اليهودية⁽³⁶³⁾، ويُقدَّر عددهم خلال القرون الستة الأولى للميلاد بنحو ٣٠٠٠ نسمة⁽³⁶⁴⁾. وهذا ما ساعد على انتشار اليهودية في اليمن في العصور التالية، خاصة في عهد ملك جمير تبان أسعد أبو كرب⁽³⁶⁵⁾. والجميريون قبائل سبئية تقطن في مقاطعة ذو ريدان (إب - تعز - ريمة - ذمار) وعاصمتها ظفار. كان الجميريون يطلقون على الله اسم «الرحمن»، وتشير إليه النقوش بأنه «رب السموات والأرض».

وخلال الفترة ما بين القرن العاشر والقرن الثاني عشر، أثناء حكم الزيديين، كانت أوضاع اليهود الاقتصادية جيدة، وخلال هذه الفترة أقام يهود اليمن صلاتٍ مع يهود فلسطين ومصر بهدف تعزيز موقعهم التجاري وترويج بضائعهم في كلٍ من مصر وفلسطين⁽³⁶⁶⁾.

ويُقدَّم الرَّحالة اليهودي بنيامين التطيلي معلومات عن الوجود اليهودي في خيبر واليمن والقطيف وأعدادهم وأحوالهم السياسية والاقتصادية في القرن الثاني عشر⁽³⁶⁷⁾، غير أن هذه المعلومات - وخاصةً فيما يتعلق بالأعداد - جاءت محمّلة بالمبالغات؛ إذ قال: إن عددهم في القطيف خمسة آلاف يهودي، وفي خيبر ٥٠ ألفاً، وفي منطقة أخرى أسماها تلماس ١٠٠ ألف، وتناجم ٣٠٠ ألف، كما أحاط رواياته بهالة من الأساطير والروايات جعلت مترجم الرحلة، وهو عزرا حداد أحد أدباء العراق اليهود ومتفقيها، يشكك في كون بنيامين التطيلي زار شبه الجزيرة العربية وبلغ أطراف الحجاز ونواحي خيبر.

وانتهج الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩) سياسة اقتصادية شجعت التجار اليهود على القدوم إلى بلاد فارس ومنطقة الخليج العربي التي كان جزءً كبيراً منها تحت السيطرة الفارسية - حينذاك - فقدم تجار يهود من الدولة العثمانية وحلب وطرابلس وبغداد⁽³⁶⁸⁾، وبعضهم قدم من وسط بلاد فارس واستقر على سواحل الخليج العربي لممارسة التجارة مع أوروبا، والهند، والمراكز التجارية الأخيرة؛ مما ساهم في ازدياد اليهود هناك.

ويتحدّث الرَّحالة البرتغالي بيدرو تيكسييرا، الذي زار مسقط في عام ١٦١٧ عن وجود ١٥ أو ٢٠ عائلة يهودية فقيرة وبائسة، وهو ما أورده عددٌ من الرَّحالة الآخرين في فتراتٍ لاحقة في القرن السابع عشر⁽³⁶⁹⁾. كما استمرت الإشارات إلى وجود اليهود في منطقة الخليج العربي في القرن الثامن عشر، ومنها الأحساء وفق ما ذكره كارستن نيبور عام ١٧٦٥. ويقول نيبور الذي زار مسقط عام ١٧٦٤ إن اليهود في عُمان يُعاملون معاملة طيبة ولا يُفرض عليهم ارتداء ملابس تخالف ملابس المسلمين، وإن العرب عموماً لا يحملون ضغينة أو كرهاً للمخالفين لهم في الديانة،

ويحترمونهم أكثر من احترام المسيحيين لليهود في أوروبا(370).



إحدى العائلات اليهودية في مسقط، سلطنة عمان

ديموغرافياً، بحسب الرَّحالة يامتوف زيماخ (كان مدير مدرسة يهودية في بيروت، وقام برحلة إلى اليمن عام ١٩١٠ لصالح التحالف الإسرائيلي العالمي)، فقد بلغ عدد يهود اليمن ١٢١٠٦ نسمة، يعيشون في ١٥٠ محلة تقريباً. أما أمين الريحاني، الذي قام برحلة عام ١٩٢٤، فقدّر عددهم بحوالي ٢٠ ألفاً، يعيش ستة آلاف منهم في صنعاء. في عام ١٩٣٧، قام لاديسلاس فاراغو بجولة، فقدّر عددهم بمائة وستين ألفاً. ولكن المؤرخ جوزيف شيختمن يؤكد أن أي رقم يتجاوز الخمسين ألفاً مبالغ به، وكان شيختمن قد حدّد عدد اليهود في اليمن، نهاية القرن التاسع عشر، بثلاثين ألفاً، ويرى أن عدد يهود اليمن ومن ضمنها عدن تراوح بين ٤٥ إلى ٥٠ ألفاً عام ١٩٤٦. ويقول صموئيل أتينجر إن عدد اليهود ارتفع في عدن اعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر؛ إذ قدّر عددهم في عام ١٨٣٩ بنحو ٢٥٠ يهودياً، قبل أن يصل عددهم في عام ١٩٤٦ إلى ٧٣٠٠ يهودي(371). وتشير المصادر البريطانية إلى أن عدد اليهود في عدن عام ١٩٤٧ بلغ ٨٥٠٠، لكن اليهود الذين هم من أصل الطائفة في عدن لم يتجاوزوا ٤٧٠٠ يهودي، ويتمركزون في حي «كريتر» وCraec والشيخ عثمان(372).

وحيثما سقطت عدن عام ١٨٣٩ في أيدي البريطانيين، ألغى الكابتن هاينز Hained الجزية ورفع عنهم كل القيود الخاصة بالعمل في فروع التجارة، ورحب اليهود بهم، وعملوا على تزويد الجيش البريطاني بالمعلومات التي يحتاجونها عن عدن، كما حرص اليهود على التقرب إلى السلطة البريطانية، وعلى توفير إمدادات الطعام ومختلف احتياجات الجيش البريطاني، كما ركز اليهود على قطاعي التجارة والخدمات في عدن(373).

وقع اليمن تحت الاحتلال العثماني الثاني للبلاد عام ١٨٧٢. وتذكر الوقائع التاريخية أن اليهود

قابلوا العثمانيين بالترحاب، وكان لذلك أثر بالغ في استقرار أحوال اليهود اليمنيين الاقتصادية، ومعاناتهم في تلك الفترة لم تكن ناجمة عن استهدافهم بالذات، وإنما نتيجة القلاقل والاضطرابات التي كانت تعم صنعاء نتيجة للصراع على السلطة، وكذلك غارات القبائل على العاصمة صنعاء. يُذكر هنا أن يهود صنعاء في اليمن كانوا ينظرون بعين الاحتقار إلى يهود الجبال ويعتبرونهم أدنى مرتبة منهم. كما لم يكن الفريقان يتزاوجون فيما بينهم⁽³⁷⁴⁾.

مع ذلك، شهد اليمن إبان فترة الحكم العثماني الممتدة من عام ١٨٧٢ حتى عام ١٩١٨ تزايد قوة حركة الهجرة من القرى إلى المدن؛ نظرًا لتركز الإدارات والقوات العثمانية في صنعاء؛ ما خلق حالة من الانتعاش الاقتصادي في المدينة. في المقابل، فإن عودة الإمام يحيى إلى السلطة أدت إلى حالة من الركود الاقتصادي في اليمن. وبالرغم من عدم وجود معلومات دقيقة عن تعداد يهود اليمن إبان عهد الإمام يحيى (١٩١٨ - ١٩٤٨)، فإنه من المتصور أنه كان ضئيلاً للغاية⁽³⁷⁵⁾.

وفر الإمام يحيى لليهود الأمن، ولكنه حجّم أنشطتهم الاقتصادية؛ بحجة منعهم من احتكار مصادر الاقتصاد في اليمن. وكان تدهور أوضاعهم جزءًا من لوحة عامة للتدهور الاقتصادي الذي عم البلاد نتيجة لسياسات الإمام. أدى ذلك لسهولة تأثرهم بالشائعات التي بثها الصهاينة عن شراء البارون روتشيلد لأراضٍ في فلسطين، وقيامه بتوزيعها على اليهود، وهي شائعات كان الغرض منها تشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين وتصوير الحياة الرغدة التي تنتظرهم هناك، أضيف إليها الإعلانات التي وضعها إسماعيل باشا حقي والي اليمن على منازل اليهود، التي تقيد أنه سيُسمح لهم بالهجرة وشراء الأراضي في فلسطين، وكان لهذا العمل الدعائي، اقتصادي الأسباب في الأساس وصهيونيها في الهامش الأكبر، تأثيره في هجرة اليهود من صنعاء ومحيطها خلال عامي ١٨٨١ - ١٨٨٢. ففي عام ١٨٨١ خرجت عائلتان من صنعاء، وبعد أن وصلتا بسلام تشجعت عائلات أخرى على الهجرة فخرجت قافلة تضم ١٥ أسرة. ويعتبر عام ١٨٨٢ عامًا مصيريًا في تاريخ الهجرة الجماعية لليهود اليمن إلى فلسطين، حيث خرجت قافلة تضم حوالي ١٥٠ فردًا متوجهة إلى فلسطين. ومع نهاية عام ١٨٨٢ وصل عدد يهود اليمن في القدس إلى حوالي ٤٥٠ فردًا، وكانت هذه الهجرة من صنعاء وما حولها.

وبعد مرور ٢٥ عامًا، وما بين عامي ١٩٠٧ و ١٩٠٩ بدأت موجات هجرة جماعية من شمال اليمن من ألوية «حيدان»، و«صعدة» إلى فلسطين. وأهم ما يميز هذه الهجرات عن سابقتها أن المهاجرين لم يستوطنوا مدينة القدس؛ بل ذهبوا إلى المستوطنات الجديدة حيث عملوا في الزراعة. وفكّرت الصهيونية في استغلال يهود اليمن والأعمال التي كانوا يحترفونها لضرب العمالة العربية في فلسطين بعمالة يهودية، حيث كان المطلوب استبدال يهود اليمن بالعمال العرب ذوي الأجور المتدنية.

وفي عام ١٩١٠ عملت منظمة «العامل الصغير» الصهيونية على استحضر جالية يهودية

يمنيّة لتحل محل العمال المزارعين العرب في المستعمرات اليهوديّة، فأرسلت شموئيل يفتنالي سكرتير منظمة «الاستيلاء على الأراضي» إلى اليمن لتنظيم الهجرة إلى فلسطين.

وقضى يفتنالي عامين وهو يتنقل بين يهود اليمن مستغلاً سداجتهم الدينيّة وحبّهم للأرض المقدسة، وكانت مهمته ناجحة، حيث خرجت هجرة جماعيّة في العام ١٩١٢/١٩١١ بلغ عدد أفرادها ١٥٠٠ من يهود شمال اليمن (خاصة من صعدة وحيدان)⁽³⁷⁶⁾.

تكررت مهام المنظمات الصهيونيّة في اليمن لحث اليهود على الهجرة، ونجح زعماء الصهيونيّة في التأثير على أعداد كبيرة من يهود اليمن وحملهم على المجيء إلى فلسطين، وخاصّة بعد أن وقعت فريسة في يد الاحتلال البريطاني الذي تواطأ مع النشاط الصهيوني في فلسطين، فبلغ عدد من تدفق من يهود اليمن عليها خلال عهد الانتداب البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٨) حوالي ١٥.٣٦٠ نسمة أي بنسبة ٣٨٪ من مجموع الهجرة اليهوديّة قبل عام ١٩٤٨.

وباندلاع الحرب العالميّة الثانية، بلغ عدد يهود اليمن في فلسطين حوالي ٢٨ ألف نسمة، ثمانية آلاف في المستوطنات، وسبعة آلاف في القدس، و١٣ ألفاً في تل أبيب.

وبالنسبة للعائلات اليهوديّة الثريّة في اليمن، فقد برز منها عددٌ قليل، ومن هؤلاء أهارون شحب الذي ظهر إبان الحُكم العثماني لليمن، وأُطلق عليه لقب ملك البُن؛ لأنه كان مسيطراً على تجارته. وكانت عائلة حبشوشي هي العائلة اليهوديّة الوحيدة التي وصلت إبان عهد الإمام يحيى إلى قدر كبير من الثراء. وفي عدن، كانت عائلة ميسة (موسى) وخاصّة أحد أبنائها ويُدعى بنين، من أكثر العائلات اليهوديّة ثراءً، وامتدت أنشطتها لتشمل الاستيراد والتصدير، ووصلت تجارتها إلى كل من إنجلترا والولايات المتحدة. وأشار أحد الرّحّالة الذين زاروا عدن في عام ١٩١١ إلى أن ثروة العائلة تُقدّر بحوالي مليون جنيه إسترليني، ويرجع إلى مناحيم موسى رئيس هذه العائلة فضل تكوين كل هذه الثروة، حيث كان يعمل في خدمة الجيش البريطاني. وقدمت هذه العائلة مساعدات سخية إلى يهود اليمن الذين توجهوا إلى عدن في طريقهم إلى فلسطين، ولكن بعد تنامي قوة التيارات القوميّة في عدن، ولاسيما بعد أحداث عام ١٩٤٧، نقلت هذه العائلة معظم ممتلكاتها إلى دول أخرى، وبصفة خاصة إلى إنجلترا⁽³⁷⁷⁾.

ومن الملاحظ أن علاقة يهود اليمن بيهود فلسطين كانت وطيدة، فكانوا يبعثون بتساؤلاتهم في الفقه إلى حاخامات القدس، الذين شكّلوا، منذ القرن السادس عشر وخاصّة منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، أعلى سلطة روحية لكل يهود الشرق. وبالنسبة ليهود اليمن، فقد كانت فلسطين مركز تنوير منذ القرن السادس عشر لتردي واقعهم الفكري وتطور الأوضاع لليهود الفلسطينيين فكرياً من جهة أخرى⁽³⁷⁸⁾. وهذا الأمر كان معزولاً عن هجرة اليهود لفلسطين، ولكنه ساهم في حفاظ يهود اليمن على رابطتهم بفلسطين، وهي رابطة قامت على المعتقدات الدينيّة والأفكار المسيحانيّة الخلاصيّة لدى مجتمع ديني اتسم بالسداجة الدينيّة وحبّ الأرض المقدسة. وفي عام ١٩١١، أوفد

مكتب فلسطين (تأسس في يافا عام ١٩٠٨ بقرار من المؤتمر الصهيوني الثامن في لاهاي ١٤ - ٢١ أغسطس ١٩٠٧ وأوكلت إدارته إلى آرثر روبين) صموئيل إيعيزر يافينيلي إلى اليمن. واعترف (يافينيلي) أن السؤال التقليدي الذي واجهه في كل المناطق التي زارها هو: هل هناك دلائل على قدوم المخلص المنتظر؟ وعندما لم يستطع الإقرار بوجود المخلص تراجع شغف اليهود بالهجرة (379).

وبينما افتتحت رابطة «الإخوان اليهود» الأوروبية مدرسة يهودية حديثة في عدن عام ١٩١٢، تعثرت مساعي جماعة «كل شعب إسرائيل أصدقاء» لإقامة مدرسة يهودية حديثة بسبب معارضة السلطات التركية لهذه الفكرة. ومن أبرز مبعوثي الحركة الصهيونية إلى اليمن صموئيل يافينيلي، الذي أرسل إلى اليمن؛ بهدف جلب مهاجرين جدد لكي يتيح للمستوطنين اليهود عدم الاعتماد على العمال العرب، وهو لم يُبعث إلى هناك لجمع أي تبرعات مالية (380).

حتى عهد قريب لم يكن يُذكر اليهود في دول شبه الجزيرة العربية إلا على سبيل تاريخ مضي، لكن الانفتاح الذي شهدته منطقة الخليج في الأعوام الماضية، أعاد تناول العرقية على نطاق واسع، تجاوز أحاديث المجالس والروايات الشعبية، إلى الشاشة الصغيرة وجدليات التواصل الاجتماعي والسجال السياسي.

ومع أن موجة ما أطلق عليه «اتفاقات أبراهام» ٢٠٢٠، ضاعفت الاهتمام باليهود في المنطقة الخليجية، فإن التحول الذي أحدثه الاتفاق ظل سياسياً أكثر منه اجتماعياً وتاريخياً، فلم تجب النقاشات التي تبعتها مثلاً عن المكون اليهودي في الخليج؛ ما حقيقته؟ هل هو متخيل أم واقع على الأرض لا يمكن نكرانه؟ وإذا كان كذلك، فهل وجوده أصيل أم طارئ؟

تلك الأسئلة وسواها لم تكن وليدة الاتفاق، فقد اهتم باحثون خليجيون بها في مرحلة مبكرة من مطلع الألفية الثالثة، من دون ربط الجانب التاريخي والاجتماعي بالسياسي الحديث، وبين أولئك الباحث الكويتي يوسف علي المطيري، الذي اعتمد في كتابه عن يهود الخليج (381) على الكثير من المراجع التاريخية وخاصةً وثائق الإرساليات الغربية وآراء الرحالة الذين زاروا منطقة الخليج العربي منذ القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، بالإضافة إلى إجراء مقابلات مع شخصيات يهودية عاشت في منطقة الخليج وهاجرت للخارج بسبب ظروف معينة. ولفت المطيري إلى أن تاريخ اليهود في الخليج لم يكن مطموراً في السابق، وإنما الظروف المحيطة التي صاحبت وجود دولة إسرائيل بعد ١٩٤٨م والصراع العربي معها، هي التي نشأ عنها السكوت عن ذلك المكون في العصر الحديث، بينما هو شائع في الماضي من دون أي حرج.

ويتجاوز نبيل الربيعي الباحث العراقي المتخصص في تاريخ هذه الأقلية في العراق الحديث عن وجودها في الخليج من عدمه، إلى الخوض في تفاصيل حياتها بين دول ومدن البحرين، وعمان، والأحساء، والكويت، من خلال بحث مستفيض سماه «تاريخ يهود الخليج» (382)، كان

أحدث من سابقه، تضمّن عددًا من الوثائق والصور، وهو الذي استفاد من تجربته السابقة في كتابة سفر ضخّم من جزأين عن الشريعة نفسها، عام ٢٠١٦، بعنوان: «لمحات من تاريخ يهود العراق».

وفي بحثه يلفت الربيعي إلى أن غياب الوجود اليهودي سوى المناطق التي ذكر من الخليج، يعود إلى أن دولتي قطر والإمارات في ذلك الحين لم تكونا مثل نظيرتهما في الأمن والنشاط الاقتصادي؛ ما جعلهما غير جاذبتين للعرقية كي تهاجر إليها.

ويعتبر أن واقع الإماراتيين الاجتماعي لم يكن حينها مهياً لتقبل وجود غير المسلمين، «ويدل على ذلك عدم افتتاح أي مركز تنصيري هناك، فقد حاول جيمس مورديك الطبيب في الإرسالية العربية الأمريكية عام ١٩٠١م استئجار محل في سوق الشارقة لبيع الكتب المسيحية، لكن أهل الشارقة رفضوا ذلك» (383).

وفي قطر لم يكن التسامح الديني أفضل حالاً، فقد جاء إلى قطر يهود ومسلمون من بغداد لبيع سفينتين محملتين بالتمر عام ١٩٠٥م، وكان حاكم قطر الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني (١٨٢٥ - ١٩١٣ م) لا يسمح لليهود بدخول إمارته، فقرر يهوديان إخفاء هويتهما ودخول مدينة البدع لبيع حمولة السفينتين، فلما علم الأهالي بالأمر قتلوا أحدهما، وهرب الآخر إلى القطيف (384).

لكن مع ذلك، ينتقد الباحث العراقي نبيل الربيعي تجاهل الباحثين المكون اليهودي في الخليج، حتى جعل ذلك أحد المبررات التي دفعته لتخصيص مؤلف يتناول حياتهم، وطقوسهم، ونشاطهم، فيسجل بصراحة أن «المصادر المختلفة محلياً أغفلت تقديم معلومات دقيقة عن تاريخ الأقلية اليهودية في الخليج، وعملت بشكل متعمد على تقديم المعلومات المغلوطة لتاريخ هذه الأقلية وعلاقتها مع المجتمعات المحلية» (385).

واعتبر أن تناول قصة «الأقلية اليهودية»، ظل سائكاً في المنطقة؛ ما جعله اليوم أكثر حاجة للتحقيق والتدقيق عند نقاشه أكثر مما سواه، «لأكثر من سبب، مثل دور الحكومات القومية التي سيطرت على الشرق الأوسط، ومارست ضغوطاً كبيرة على اليهود رغم الدور الاجتماعي والاقتصادي الذي لعبوه فيها»، فضلاً عن الظروف الدينية والاجتماعية التي قال: إنها سهلت اختراق المتطرفين المشهد.

وفي المجمل، لا تختلف قصة وجود المكون اليهودي على ساحل الخليج، عن بقية المكونات الأخرى القبلية والعرقية الموجودة في المنطقة، فأكثرهم هي الشريحة التي قدمت من العراق، خصوصاً في الكويت والبحرين، في حين أتى المشهورون في عُمان من اليمن، وبغداد، وبلاد فارس، فيما كان أصل يهود الأحساء (شرق السعودية)، تجاراً وممولين.

وإذا كان بعض يهود صحار جاؤوا من اليمن (386)، فإن عددًا من يهود بغداد قد هاجر إلى مسقط إثر المضايقات المالية والاقتصادية التي فرضها عليهم والي بغداد داوود باشا الكرجي (١٨١٦ -

(١٨٣١). ويذكر الرَّحَّالَةُ الإنجليزي جيمس ولستد، الذي زار عُمان في عام ١٨٣٥، أن إمام عُمان في تلك الفترة سعيد بن سلطان، استقبل بكثير من الترحاب جماعة من اليهود الذين لجأوا في عام ١٨٢٨ إلى مسقط فرارًا من تعدي داوود باشا والي بغداد وطغيانه(387).

وهاجرت بعض الأسر اليهودية من صنعاء إلى عُمان في الربع الأخير من القرن الثامن عشر؛ بسبب أوضاعهم المضطربة في صنعاء. ففي حين كان اليهود منتشرين في أنحاء اليمن بدون خصوصية معينة، فإنه لم يكن يُسمح لهم في صنعاء - وهي أكبر تجمع يهودي في البلاد - إلا بالإقامة في منطقة خاصة بهم تُسمى «قاع اليهود» (تُعرف اليوم باسم «قاع العلفي») ضمن ساحة غرب العاصمة، حيث كان لهم ٢١ حارة، هي: حارة الوادي، مسعود، ريشة، المشماعة، مسخ، البوساني، الذماري، الكحلاني، الصبيرة، غارقة، حيارة، غياث، سينا، الشيخ، الريعاني، السوق، صالح، قارئة الاسطأ، الطيري، الخارجة، المطيبين(388). وتعرّضت معظم معابد يهود صنعاء للهدم، كما مُنعوا من بناء منازل يتعدى ارتفاعها ١٤ ذراعًا(389). في المقابل، كانت الأقلية اليهودية في عُمان تتركز حول المنطقة التجارية في مسقط ومطرح وصحار، دون أن يُجبروا على السكن في مناطق محددة لهم مسبقًا.

وصل عدد اليهود في عُمان إلى ١٤٠٠ فرد تقريبًا عام ١٨٣٥م(390)، وكان التجار اليهود يمثلون نسبة كبيرة من تجار اللؤلؤ في عُمان(391)، كما اشتهروا بممارسة المعاملات المالية وتجارة الأقمشة، ثم بدأ عددهم يقل تدريجًا بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لم تكن ملائمة للوجود اليهودي في عمان، فضلًا عن السيطرة الكبيرة للهنود البانيان على النشاط التجاري في البلاد، فآثروا الهجرة منها إلى بلاد فارس والهند حتى وصل عددهم في العقد الأول من القرن العشرين إلى ستة أفراد فقط في مسقط(392).

وصلت البحرين المجموعة الأولى من اليهود القادمين إليها من الأحساء عام ١٨٧٢م، وكانت أعدادهم قليلة، فقد ارتبطت المنطقتان اقتصاديًا واجتماعيًا، إضافة إلى القرب الجغرافي الذي سهّل عمل الانتقال إلى البحرين(393).

ازداد عدد اليهود بنسبة ضئيلة في البحرين خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وفي العقد الأول من القرن العشرين كان قد استقر في البحرين خمسون يهوديًا جاؤوا من العراق فضلًا عن خمسة من الرعايا البريطانيين اليهود ومن المرجح أن يكونوا من الهنود(394). ومع بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، بدأت أعداد اليهود في البحرين تزداد بصورة واضحة ومتدرجة، ويعود سبب هذه الزيادة إلى الهروب من الخدمة العسكرية الإلزامية التي تفرضها الحكومة العثمانية في بغداد والبصرة، هذا من جهة، والهجرة من أجل البحث عن فرص تجارية أفضل وتحقيق الثراء من جهة أخرى. فضلًا عن سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العراق إبان الحرب العالمية الأولى، فقد جعلت موضوع الهجرة هاجسًا دائمًا لدى اليهود في

العراق (395).

وتركزت منازل اليهود في الكويت والأحساء والبحرين حول المنطقة التجارية، فسكنوا في الكويت في حي شرق (396)، وعُرفت المنطقة التي سكنوها باسم «فريج اليهود» ويقع بالقرب من سوق البوالطو والصفافير ومحالهم في قيصريّة خليل القطان، وبعد ذلك في قيصريّة ابن رشدان، حيث ازدهرت أسواق بيع الأقمشة. وسكن بعض اليهود في «فريج الشيوخ» نسبة لساكنيه من الأسرة الحاكمة. وفي الأحساء، سكن بعض اليهود في أحياء مختلفة من منطقة الهفوف مثل حي الفوارس وحي الشمالي وحي الرفعة وحي الكوت كما جاء في بعض الوثائق الشرعيّة في الأحساء (397). وفي البحرين، سكنت الأسر اليهوديّة في أحياء مختلفة من المنامة، لكنها جميعًا حول المركز التجاري أو السوق (398)، منها الحورة والعوضية والفاضل والحطب وكانو، وعند ما يُسمى الآن بجامع المهزح بالمنامة، وفي محيط سوق الحراج، وكذلك في عمارة مقابل شارتر بنك يملكها التاجر الكويتي هلال المطيري وعُرفت باسم «المطيري بلدنج» (399) Almofaici Bfilding.

بالنظر إلى العقود الأخيرة، فإن الوجود اليهودي في الخليج ظل محصورًا في «البحرين، والكويت»، فبينما لم يصمد يهود مسقط أمام تنافس الهنود تجاريًا (400)، فضلًا عن تدهور الأوضاع الاقتصاديّة والسياسيّة في عُمان بسبب الصراع القبلي والديني (401)، أُجلى السعوديون الحامية التركيّة بمن فيها من يهود وأتراك وبقية المكونات، إلى البحرين، حيث انطلق الجميع كلٌّ إلى وجهته.

وخلال الحرب العالميّة الثانية هاجر ٤٢٦٧ يهوديًا من اليمن. وهذا ما كشفت عنه صحيفة «يديعوت أحرونوت» في الذكرى الستين للنكبة، وهو أمرٌ سابق على عمليّة «بساط الريح» (402). استغلت المؤسسات الصهيونيّة ما تصفه «يديعوت أحرونوت» بظروف صعبة عاشها اليمن من جوع وذنك وانعدام أمان، وبدأت بنقل اليهود إلى عدن التي كانت مستعمرة بريطانيّة، ثم تم تجميعهم في معسكر صحراوي في (حاشد) سُمّي - الخلاص: جيئولا - ، وُبني لهم معسكر بجوار معسكر للسجناء أقيم في قرية (مبحازبين)، وأدار المعسكرين طواقمٌ بريطانيّة بإشراف من حكومة الاحتلال في عدن.

إن قصة تجميع يهود اليمن في معسكرات تمهيدًا لتهجيرهم بالتعاون مع الإمام يحيى وسلطات الاحتلال البريطاني، إضافة إلى ما عُرف عن يهود اليمن وعلاقتهم غير الصهيونيّة مع فلسطين، كل هذا يدعم فرضية تضليلهم، وإغرائهم، وتهجيرهم تاليًا إلى فلسطين، وأنهم لم يهاجروا بإرادتهم الحرّة.

ومن المهم الإشارة إلى عدم وجود رواية عربيّة موازية لما حدث في تلك السنوات، وقد استولى على يهود اليمن إيمان عميق بأن الفكرة الصهيونيّة (إسرائيل) هي فكرة مضادة لأصول الديانة اليهوديّة، وقد أوضح الحاخام الأكبر ليهود اليمن (يعيش بن يحيى) أن الحياة في (إسرائيل) لا

تروقه لمظاهر الانحلال الأخلاقي المتفشية فيها على حد تعبيره⁽⁴⁰³⁾.

وهو يزعم، في مقابلة فريدة معه، أن عددهم في اليمن قبل الهجرة كان حوالي ربع المليون نفس، مع العلم أن عددًا كبيرًا منهم، وبعد رفع حظر السفر، لم يتجهوا إلى فلسطين المحتلة بل إلى لندن ونيويورك؛ بسبب اعتقادهم ببطلان قيام (إسرائيل). والاعتقاد ببطلان الصهيونية لدى يهود اليمن، إضافة إلى أصوله الدينية، يعود إلى الحملة الضخمة التي شنتها منظمة «ساتمار حسيديم» التي نشأت في رومانيا في القرن الثامن عشر.

وهاجر معظم يهود عدن إلى إسرائيل في عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩، خاصةً بعد أن تدهورت أوضاعهم الاقتصادية، ولم يتبقَّ في عدن في نوفمبر من العام ١٩٤٩ سوى ١٣٠٠ يهودي، معظمهم من التجار الذين بقوا لتصفية أعمالهم في حين أرسلوا عائلاتهم إلى إسرائيل. وعندما حصلت عدن على استقلالها هاجر مَنْ تبقى من يهود عدن إلى إنجلترا وليس إلى إسرائيل⁽⁴⁰⁴⁾.

أما في باقي أنحاء اليمن، فإن الوضع الاقتصادي المتدهور منذ مطلع القرن العشرين، سواء على مستوى النشاط التجاري أو التطور الصناعي؛ دفع معظم اليهود إلى الهجرة إلى إسرائيل، وخاصةً خلال أعوام (١٩٤٩ - ١٩٥١)⁽⁴⁰⁵⁾.

وبالخلاصة، يمكن تلخيص عوامل هجرة يهود اليمن بالنقاط التالية:

- ١ . استغلال الصهيونية للدوافع الدينية، ورغبة اليهود برؤية (أرض الميعاد)، والموت فيها.
- ٢ . الترويج لفكرة قرب ظهور المسيح المخلص، وتحقيق عقيدة الخلاص.
- ٣ . الهرب من الضائقة والجفاف، والسعي لحياة أفضل.
- ٤ . احتدام الصراع العربي الصهيوني، وخوف يهود اليمن من التأثير السلبي عليهم.
- ٥ . غياب الحركة الوطنية اليمنية القادرة على التصدي للطروحات الصهيونية وطمأننة المواطنين

اليهود تبعًا لتخلف البنى الاجتماعية والثقافية في اليمن ككل.

- ٦ . انعدام الفرص والخيارات التي جعلتهم يسلمون أمرهم للحركة الصهيونية وموفديها⁽⁴⁰⁶⁾.
- ولا يشير الباحثون في هذا السياق إلى يهود نجران، على الرغم من تداول وسائل التواصل الاجتماعي تسجيلاً لمواطن إسرائيلي تداولته حسابات تل أبيب الرسمية، يدعو السلطات السعودية إلى السماح له بزيارة قبور أجداده في مدينة نجران (جنوب السعودية)، التي قال: إنه خرج منها، وهو لم يزل صغيراً.

ويهود نجران هم اليهود الذين عاشوا في منطقة نجران جنوبي شبه الجزيرة العربية وعملوا في التجارة بالأسواق في صياغة الذهب، وحرفة صناعة الخناجر والسيوف وغيرها. فقد عاش اليهود في منطقة الأحساء خلال فترة الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حتى دخول قوات الملك عبدالعزيز إلى الأحساء عام ١٩١٣، حيث نزحوا

طوعًا مع الجهاز الإداري والعسكري العثماني إلى البصرة وبغداد والمنامة وتركيا. وكانوا يعملون في التجارة ويملكون بعض المزارع والبساتين ولهم مقبرة في الهوف بُني على أنقاضها حاليًا مقر فرع لبنك الرياض.

وفي رواية أخرى، فإن مجموعة صغيرة من اليهود، أغلبهم من بني الحارث، كانت تعيش في مدينة نجران الحدودية من ١٩٣٤ حتى ١٩٥٠. لكن مع زيادة الضغوط عليهم بدأ يهود نجران يخططون للجلاء. وقد خيّرهم الحاكم المحلي وقتها الأمير تركي بن ماضي بين الجلاء المطلق أو البقاء للأبد. وافق ٦٠٠ يهودي على الجلاء⁽⁴⁰⁷⁾، واصطحبتهم القوات السعودية حتى وصلوا إلى صعدة⁽⁴⁰⁸⁾، وتوجّه ما يقارب الـ ٢٠٠ منهم نحو عدن جنوبًا في الفترة بين سبتمبر وأكتوبر ١٩٤٩. طلب الملك عبدالعزيز آل سعود عودتهم، إلا أن إمام اليمن أحمد بن يحيى رفض عودتهم بحجة أنهم يهود يمنيون. بعد إقامتهم في مخيم (حاشد) تم نقلهم جواً إلى إسرائيل ضمن عملية «بساط الريح»⁽⁴⁰⁹⁾، التي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

ومن آثار اليهود في الأحساء بستان داوود اليهودي، ويقع في إحدى ضواحي الهوف، ولكنه اندثر بسبب الزحف العمراني في المنطقة، وبستان حدارة، الذي ورد اسمه في إحدى الوثائق الموجودة في الأحساء حتى الآن، ومخزن تجاري في سوق القيصريّة التاريخي، بناه يهودي قبل بناء السوق ذاته الذي يعود تاريخ تشييده إلى عام ١٨٦٢م. كان المخزن يسمى «بخار»، أو «حفيز». وقد باعه صاحبه للتاجر عبدالله عيسى بوحليقة، الذي عمل فيه حتى وفاته⁽⁴¹⁰⁾.

ومن اليهود الذين سكنوا الأحساء، ونزحوا منها إلى البحرين (صالح اليهودي)، الذي عاش في الأحساء نحو ٤٠ عامًا إضافة إلى ٣٥ عامًا في البحرين، وكان يرتبط بعلاقات تجارية وثيقة مع بعض تجار الأقمشة وخياطي المشالح في الأحساء. ويعد داوود بن شنطوب من أشهر الشخصيات اليهودية التي استقرت في الأحساء، حيث هاجر من بغداد إلى البصرة التي مكث فيها فترة من الزمن بجوار شقيقه السمسار بنيامين، ثم جاء إلى الأحساء عام ١٨٧٧⁽⁴¹¹⁾. تولى داوود بن شنطوب عددًا من الوظائف الرسمية المهمة، منها أمين صندوق اللواء، وأمين صندوق الإدارة السنية، وملتزم الاحتساب، وبعد أن أصبح شخصية بارزة في اللواء العثماني، استقدم من ٣٠ إلى ٤٠ يهوديًا من بغداد للعمل معه⁽⁴¹²⁾.

ويقول الكاتب السعودي محمد الساعد: إنه وثّق في مقابلات أجراها مع عدد من أعيان المنطقة، تذكرهم للوجود اليهودي في المدينة، وأنهم كانوا صاغة للذهب والمجوهرات، وعُرفوا بالمهارة في صناعة الخناجر الحربية (الجنابي) التي ما زالت تقليدًا شائعًا بين أهالي المنطقة، وإحدى سمات مقتنيات الزينة المتوارثة لدى رجالها حتى اليوم.

وروى الساعد نقلًا عن أحد الضباط المعمرين في المنطقة، أن «الأقلية اليهودية في نجران كانت جزءًا من النسيج الاجتماعي قبل خمسينيات القرن العشرين، ويذكر تجربته مع أحد أفرادها

الذي يدعى العم هارون، إلا أن ضجيج القومية العربية، والضخ الإعلامي الذي تبع قيام دولة إسرائيل، أشعر العائلات اليهودية بالخطر؛ ما دفعها إلى الرغبة في الرحيل، من دون أن يواجهوا أي ضغط من جيرانهم المحليين» (413).

ونقل الساعد أن المصدر الذي تحدّث إليه كشف له عن بعض ملابس رحيل المجموعة؛ إذ قال «إن العائلات قبل أن تحزم أمتعتها طلبت الإذن من أمير المنطقة حينئذ، وهو الأمير فهد السديري».

وهكذا، انضم يهود نجران إلى بني عمومهم في اليمن، التي عُرفت بأقلية يهودية ذائعة الصيت، وتداولت وسائل الإعلام، أخيراً، أن البقية الباقية منهم رحلت من البلاد؛ إذ «أنهى الحوثيون وجود الطائفة في اليمن بترحيل آخر ثلاث أسر من البلاد. ويبلغ عدد أفراد الأسر ١٣ شخصاً من الذكور والإناث»، وتتخذ جماعة الحوثي من «الموت لأمریکا، اللعنة على اليهود»، شعاراً لخطابها السياسي والديني.

وبحسب المعلومات المتداولة بين الأوساط الاجتماعية، فإن الشريحة النجرانية من اليهود، لم تكن ذات جذور قديمة في المنطقة، وإنما جاءت على هيئة عمال وأرباب تجارة وصناعة، تبحث عن رواج سلعتها، وأنهم امتداد ليهود صعدة المعروفين فكانت عودتهم إلى نسيجهم أسهل، إلا أن الكاتب الساعد يرفض هذه الرواية، ويعتبر أنها تعكس الحرج السائد من المحيط الرافض لأي صلة باليهود، نظير التشويه الذي آلت إليه الأقلية بسبب الخطاب القومي والإسلامي الذي تصاعد في العقود الماضية، «وإلا فإن اليهود كديانة وأمة، لا ينسحب عليها ما يقال عن إسرائيل».

وأضاف: «لا يُعرف تحديداً متى استوطن اليهود في نجران، إلا أن بعض المصادر وصفتهم بأنهم الذين وجدوا في منطقة نجران جنوب شبه الجزيرة العربية - قبل البعثة النبوية - وعملوا في التجارة وصياغة الذهب وجرّفة صناعة الخناجر والسيوف وغيرها، ينتسبون إلى (بني الديان)، وهي تسمية عبرية لقبيلة تنتسب إلى بني الأزرد قطنت نجران، واعتنقت اليهودية».

ولفت إلى أن أعدادهم في عام ١٩٣٢م قُدّرت في مصادر بسبعة آلاف، حتى وصلوا عام ١٩٤٨م إلى نحو ٢٦٠ شخصاً، كان يعمل معظمهم في الجرف والمهن اليدوية، كما اشتغل القليل منهم في الرعي والزراعة. أما الأحياء التي سكنوها في نجران فقال: إن أهمها «القابل، ورجلاء، والحضن، ومراطة، والجربة، وبير دار، ووسط صاغر، والحوية، ودحضة، والقلمح، والعوكلة». وأكد ما حكاه في مقالة له من دون أن تتفيها الجهات التاريخية في البلاد، أن أولئك اليهود «بقوا ذميين، لا يؤذون، ولا يتحرش بهم؛ بل جزء من النسيج الاجتماعي بكل تفاصيله وتنوعه وثرائه» (414).

وربما تُفسّر عملية «بساط الريح» (٢٩٤٨ - ١٩٥٠) هجرة الفئة النجرانية من اليهود؛ إذ تقول المصادر اليمنية: إن العملية التي سعت إلى نقل اليهود اليمنيين إلى إسرائيل، وأُطلق عليها «بساط

الريح»، أو «البساط السحري»، شهدت تنظيم الوكالة اليهودية خطة نقل يهود اليمن عبر عدة رحلات جوية، هاجر من خلالها نحو ٥٠ ألف يهودي يماني إلى إسرائيل. في البداية، هيأت الوكالة اليهودية منذ أواسط الأربعينيات مع الإمام يحيى وولي عهده في حينه لتهجير يهود اليمن بشكل جماعي، وبعد اغتيال الإمام يحيى في ١٧ فبراير ١٩٤٨، واصلت مع خليفته الإمام أحمد، مناقشة تهجير يهود اليمن عبر عدن، فغادرت أول مجموعة من يهود اليمن مطار عدن بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٤٨، وكانت كل طائرة مشاركة في هذا النقل الجوي تُقل من ١٢٥ إلى ١٤٥ راكبًا. ومع نهاية فبراير ١٩٤٩، انتهت المرحلة الأولى من عملية «بساط الريح»، أو «البساط السحري» التي غادر خلالها ٤٥٠٠ من يهود اليمن. أما المرحلة الثانية فقد بدأت في ١٦ مارس ١٩٤٩، وانتهت خلال أسبوع من ذلك التاريخ بنقل ٣٣٠٠ يهودي في ٥٥ رحلة جوية (415).

إلا أن الوكالة اليهودية لم تكف بتهجير يهود عدن؛ بل بدأت نشاطًا مكثفًا لتهجير يهود شمال اليمن بمجملهم عبر بوابة عدن. وبعد مفاوضات قادها الموفد الإسرائيلي جاكوب فنشتاين @cob Vaindœin مع الإدارة البريطانية في عدن لإعادة فتح معسكر «حاشد»، الذي أغلقته مع نهاية المرحلة الثانية من التهجير، وكذلك مع سلطنة المحميات البريطانية في المنطقة وإمام اليمن الجديد، تم الاتفاق على المرحلة الثانية من عملية تهجير يهود اليمن (416).

كتب الإمام أحمد «لا مانع عليكم» على زاوية الطلب المقدم إليه من يهود صنعاء للهجرة في أوائل يونيو ١٩٤٩، وسرعان ما جرى إبلاغ تلك العبارة برفقًا إلى تل أبيب من قبل مكتب الهجرة في عدن. وتشير المصادر الصهيونية إلى أن «إسرائيل تدين كثيرًا للإمام أحمد؛ لأنه لم يضع عراقيل في وجه خروج أهل اليمن الجماعي» (417).

لم يمض أسبوع على عبارة الإمام أحمد «لا مانع عليكم» حتى وصلت الدفعة الأولى من مهاجري يهود شمال اليمن إلى معسكر «حاشد» قرب عدن. وفي أواخر يونيو ١٩٤٩، تمكن يوسف صادوق Y. Zadok المسؤول الرئيسي في معسكري: «حاشد»، و«الشيخ عثمان» من دخول شمال اليمن بإذن رسمي من السلطات اليمنية، ونجح خلال ١١ يومًا من التعبئة والتنظيم والتنسيق مع المسؤولين في المدن والقرى الواقعة شمال اليمن بشأن الطرق التي يتعين على اليهود سلوكها وصولًا إلى عدن؛ تمهيدًا لتهجيرهم. وأثمر هذا النشاط عن وصول دفعات كبيرة من اليهود إلى عدن، فاقت الطاقة الاستيعابية لمعسكر «حاشد»؛ مما جعل السلطات البريطانية توافق في ٤ يوليو ١٩٤٩ على طلب السلطات الإسرائيلية افتتاح معسكر جديد للاجئين بالقرب من معسكر «حاشد» (418).

بدأت الطائرات من جديد عملها المكثف في نقل يهود اليمن من المعسكرات، لتنتقل في سبتمبر من العام المذكور ٨٨٦٤ يهوديًا في ٦٨ رحلة جوية، وفي أكتوبر ١٩٤٩ نقلت ١١٤٤٥ لاجئًا، وكانت عملية التهجير تتزايد بوتيرة متسارعة لاقتلاع يهود اليمن من ديارهم. ووصلت عملية

التهجير الجماعي إلى نهايتها من الناحية الرسمية في ٢٤ سبتمبر ١٩٥٠. ولم تكن تلك الهجرة الأولى من نوعها لليهود اليمنيين إلى إسرائيل - فقد سبقتها هجرات فردية بدءًا من عام ١٨٥٥ - بيد أنها كانت أكبر الهجرات وأهمها، لا سيما أنها جاءت في ظروف سياسية معقدة إثر تداعيات حرب نكبة فلسطين.

يرتبط تاريخ اليهود في الكويت بتاريخ اليهود في العراق. ففي عام ١٧٧٦ استولى صادق خان على البصرة، وغادر الكثير من السكان البلاد ومن بينهم يهود - خاصةً من البصرة - ذهبوا إلى الكويت. في حوالي عام ١٨٦٠، زاد عدد يهود الكويت وازدهرت تجارتهم. وانضمت إليهم مجموعة جديدة مهاجرة من منطقة بوشهر في بلاد فارس في فترة مقاربة للتاريخ السابق؛ وفق ما ذكره الجغرافي الفرنسي فيتال كينييه؛ بسبب سوء أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وتعرضهم لاضطهاد ديني، لكن أعدادهم لم تتجاوز ٥٠ فردًا في إحصاء أعده كينييه في العام ١٨٩٠ (419).

انصف الوجود اليهودي في الكويت بالزيادة أحيانًا والنقصان في أحيان أخرى نتيجة للظروف العامة المحيطة بهم، فقد تناقص عددهم إلى عشرة أفراد عام ١٨٩٥م - كما يذكر صمويل زويمر الذي زار البلاد في العام المذكور (420) - ثم ازداد إلى مستوى ٥٠ فردًا عام ١٩٠٤م، ثم ازدادت أعدادهم حتى قبيل قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، إلى ٢٠٠ فرد بسبب هجرة ٥٠ عائلة يهودية إلى الكويت قادمة من البصرة وبوشهر (421). خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) بلغت الهجرة اليهودية إلى الكويت أوجها، حيث بلغ عدد عائلاتها ٢٠٠ عائلة؛ أي ما يعادل ٨٠٠ فرد تقريبًا (422).

أطلق اسم «سوق اليهود» على مكانين مختلفين في فترتين زمنييتين مختلفتين، فقد أطلق على قيصريّة أو مسقوف يقع بالقرب من مسجد السوق ومطحنة السمسم (423)، وقد استمر هذا السوق حتى أواخر عشرينيات القرن العشرين. لاحقًا، انتقل اسم سوق اليهود إلى قيصريّة جديدة بناها راشد بن رشان العازمي بالقرب من السوق الداخلي والأسواق الأخرى. وبسبب موقعه المميز وانخفاض قيمة الإيجار، انتقل باعة الأقمشة من سوق اليهود القديم إليه، فانتقلت تسمية السوق معهم (424).

كان يهود الكويت في الغالب تجار جملة وعملوا مع الهند وبغداد وحلب، حتى أنهم نشطوا في التصدير إلى أوروبا والصين. وعاشت حوالي ٨٠ عائلة يهودية في الكويت في منطقة واحدة يوجد بها بنك التجارة. كان لديهم كنيس خاص بهم، يضم مكانًا منفصلًا للنساء، إضافة إلى مقبرتهم الخاصة؛ مما يدل على أنهم عاشوا هناك لفترة طويلة.

وبعد فترة من التعليم المنزلي أو في مدرسة الإرسالية العربية الأمريكية للبنين التي افتتحت عام ١٩١٢، اقتنع يهود الكويت بأهمية إنشاء مدرسة في الكنيس اليهودي في حدود العام ١٩٢٧، وجلب معلم لتعليم أبنائهم، وكان عدد طلاب المدرسة التي أقاموها ١٥ تلميذًا تعلموا القراءة

والكتابة باللغة العبرية، وكان الطالب يدفع ٣٠ روبية في الشهر⁽⁴²⁵⁾. لم تستمر المدرسة بسبب التناقص المستمر في أعداد اليهود في الكويت.

قبل عام ١٩١٤ كان هناك حوالي ٢٠٠ يهودي⁽⁴²⁶⁾. وبلغ أوج ازدهار اليهود في الكويت أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، حتى مطلع عشرينيات القرن العشرين، حيث بلغ عدد أفرادهم ٢٠٠ عائلة أي ٨٠٠ فرد تقريباً. منذ بداية العشرينيات، عاد معظمهم إلى بغداد وذهب القليل منهم إلى الهند والبحرين⁽⁴²⁷⁾.

كان هناك عددٌ من الأثرياء اليهود في الكويت، بينهم تاجران يستثمر كل منهما ما بين ٤٠٠٠ و٥٠ ألف روبية في التجارة المحلية، وهي مبالغ كبيرة نسبياً بمقاييس العقد الثاني من القرن العشرين⁽⁴²⁸⁾، لكن البقية كانوا من الطبقة الوسطى، وهم تجار ذهب وجواهر أو تجار أقمشة ومواد⁽⁴²⁹⁾. واليهود هم الذين نشروا الأسطوانات في المقاهي الكويتية عام ١٩١٢⁽⁴³⁰⁾.

ومن بين أثرياء اليهود صالح ساسون محلب، الذي هاجر من العراق في مطلع القرن العشرين واستقر في الكويت، وامتلك أول مصنع للثلج في عام ١٩١٢. وكان كل من جورج ساسون ومنشي إياهو من التجار والممولين. واشتهرت عائلة يوسف الكويتي، الذي كان شريكاً لأحد تجار الكويت في مجال المقاولات، وكذا عائلة ساسون الكويتي، وعائلة يعقوب بن عزرا الذي جاء للبلاد عام ١٩٠٥، وعمل في شركة النفط بالأحمدي، وعائلة يحيى الأفغاني تاجر الجلود، والعائلات الثلاث الأخيرة كانت من أواخر العائلات التي غادرت الكويت⁽⁴³¹⁾. كذلك من العائلات اليهودية الأخرى في الكويت عائلة: الخواجة، وصموئيل، وشاؤول، وحزقيل، ويعقوب، وإياهو، وجماعة صالح⁽⁴³²⁾.

عندما تولى الشيخ سالم المبارك السلطة في فبراير ١٩١٧ (كان الحاكم التاسع للبلاد)، أراد - وهو المعروف بتدينه - أن يمنع اليهود من الاتجار في الخمر، فاتصل بهم وحذرهم من الاستمرار في ذلك، واتخذ إجراءات لرصد المخالفين⁽⁴³³⁾. وما عدا هذا الموقف ممن يعتبرون مسيئين لأخلاقيات المجتمع، فقد كانت العلاقة جيدة بين شعب الكويت وحكامه والأقلية اليهودية، حتى أن الشيخ سالم المبارك الصباح كفل اليهودي صالح ساسون محلب للذهاب إلى البصرة بعد حبسه في قضية ما، بطلب من مساعد المعتمد البريطاني في الكويت⁽⁴³⁴⁾.

لم تتعرض الأقلية اليهودية - وكانوا من الرعايا التابعين لبريطانيا وفق اتفاقية ١٩٢٥ التي اتفق عليها المعتمد البريطاني في الكويت والشيخ أحمد الجابر الصباح - لأي إساءة معاملة أو اضطهاد على يد السلطات المحلية، التي كانت تُعاملهم على قدم المساواة مع الآخرين. ويقول عنهم صالح محمد صالح العجيري، وهو من رجال العلم والفكر في الكويت: «عاشوا معنا بطمأنينة وأمان، لهم حق الشراء والتملك في العقار أو المحال أو الاستيراد والتصدير بحرية تامة»⁽⁴³⁵⁾.

عاد عددٌ كبير من يهود الكويت إلى العراق عندما جاء الملك فيصل الأول ليحكم العراق اعتباراً

من العام ١٩٢١؛ إذ كان الملك فيصل يمتلك علاقات جيّدة مع شخصيات يهوديّة. خلال حوالي عشر سنوات هي عقد العشرينيّات، غادر كل اليهود الكويت. لا يوجد حاليًا مواطنون يهود في الكويت، رغم وجود عشرات اليهود الأجانب.

بالنسبة للإمارات، هناك قرية في إمارة الفجيرة، يطلق عليها «شعبيّة قبر اليهودي»، تقع بالقرب من قرية وادي السدر، وهذا الاسم قديم جدًّا، وأزيل القبر بعد بناء الشعبيّات والبيوت الجديدة في القرية، ويرجع سبب هذه التسمية إلى وجود يهود كانوا يقطنون المنطقة. كذلك عُثر على نقش مكتوب باللغة العبريّة في منطقة شمل في رأس الخيمة، يعدّ الأول من نوعه في جنوب شرق شبه الجزيرة العربيّة، وهو عبارة عن شاهد قبر، من الحجر الجيري، لكنّ النقش لا يدلّ بشكل قطعي على وجود جالية يهوديّة في المنطقة(436).

منذ تأسيس دولة الإمارات العربيّة المتحدّة في عام ١٩٧١، نما مجتمع يهودي صغير وعاش في الإمارات لسنوات عديدة. يشمل المجتمع اليهود الذين يتصلون بدولة الإمارات العربيّة المتحدّة، وكذلك اليهود الذين انتقلوا إليها لأنهم يشاركون في الأعمال والتجارة في دبي وأبوظبي. وفقًا للحاخام مارك شناير، فإنه يعيش في الإمارات حوالي ١٥٠ أسرة؛ أي في حدود ٣٠٠٠ يهودي(437).

هناك معبدان يهوديان دائمان في دبي، الجالية اليهوديّة في الإمارات @E التي يقودها روس كريل منذ ٢٠١٣، ومركز الجالية اليهوديّة @C في الإمارات العربيّة المتحدّة، بقيادة الحاخام ليفي دوشمان(438).

وإذ تقرر الوجود اليهودي في معظم مناطق الخليج والجزيرة العربيّة قبل الصراع مع إسرائيل، فإن تأثيرهم أيضًا كان ملموسًا في المناطق التي وُجدوا فيها، خصوصًا في جانب التجارة وحركة الأموال، تبعًا للشخصيّة اليهوديّة الشائعة في التصور الغربي الذي تلخسه رواية ومسرحية «تاجر البندقية»، وهي صورة قال عنها الباحث السعودي المتخصص سعد البازعي: «إنها كانت مهيمنة على اليهود في الثقافة الغربيّة حتى بعد تحرير الأقلّيّة من «الغيتو» بعد الثورة الفرنسيّة، وغزو الأقلّيّة أمريكا وأنحاء من أوروبا كعلماء ومتقنين، نال كثير منهم جائزة نوبل».

ولكن على الرغم من تلك الصورة، فإن يهودًا خليجيين برزوا مؤثرين في الحقل السياسي والثقافي، كما في حالة الشقيقين صالح وداوود الكويتي، الذي ذكر الباحث يوسف المطيري «أن الأخير كان أبا الأغنية الكويتيّة الحديثة بعد العراقيّة».

وفي البحرين، اشتهرت على سبيل المثال عائلة صالح إياهو يادكار، الذي يعدّ من أوائل اليهود الذين استوطنوا البحرين قادمًا من البصرة في نهاية ثمانينيّات القرن التاسع عشر(439). هناك أيضًا عائلة سويري، التي هاجرت من بغداد في العقد الأول من القرن العشرين، وكان إسحاق سويري من الشخصيات اليهوديّة البارزة في البحرين حتى وفاته عام ١٩٣٨، وكان عضوًا في بلدية

المنامة(440). وبرزت عائلة الكويتي التي عملت في تجارة الأقمشة، وفي بداية الخمسينيات استأجروا طائرة خاصة وغادروا البحرين. واشتهرت عائلة مائير روبين، التي جاءت من بغداد عام ١٩١٤، وعميد العائلة هو منير داوود روبين، تاجر الأقمشة، وعمل ابنه داود لدى بنك «ستاندرد تشارترد» (فرع المنامة) لمدة ٣٥ عاماً، وأصبح الموزع الوحيد لمنتجات «شارب» للأدوات الإلكترونية، بعد أن تفرغ لأعماله الخاصة(441).

وكان من أوائل الأثرياء اليهود في البحرين يوسف صدقة، وكذلك يوسف شمعون، الذي تعرّض للسرقة والقتل على يد أربعة أفراد عام ١٩١٥، وقد أدينوا، فنُفي أحدهم خارج البحرين طوال حياته، واثنتان تقرر نفيهما ١٤ عاماً خارج البحرين، أما اليهودي الذي سرّب المعلومات التي أدت إلى السرقة فقد حُكِمَ عليه بالسجن ٧ سنوات(442).

من أبرز الأسر اليهودية في البحرين حتى الآن عائلة نونو بثقلها التجاري والسياسي، وهي عائلة ذات أصول عراقية. وفي تقرير عرضته قناة i+DEMS العبرية، يقول إبراهيم نونو عميد الأقلية اليهودية في البحرين إن: «الكثير من أبناء الطائفة اليهودية يشغلون مناصب حكومية، حيث تم تعييني في عام ٢٠٠١، في مجلس الشورى أو الغرفة العليا للبرلمان البحريني، وعُيِّنت ابنة عمي هدى نونو في عام ٢٠٠٦ من قبل الملك حمد بن عيسى آل خليفة، سفيرة للبحرين لدى الولايات المتحدة، وبعدها في عام ٢٠٠٨، عُيِّنت سفيرة غير مقيمة لدى الأرجنتين والبرازيل وكندا والمكسيك، وكانت لحظة تاريخية للبحرين، حيث أصبحت أول دولة عربية تُعيِّن سفيراً يهودياً»(443).

وبرزت عائلة خضوري، ومنها يوسف خضوري، الذي افتتح، في ثلاثينيات القرن العشرين، محلاً في شارع باب البحرين في المنامة، وصار من كبار مورّدي المواد الغذائية. كان يوسف خضوري عضواً في بلدية المنامة وعُرف بين اليهود بلقب «رئيس» (رئيس) اليهود بعد وفاة إسحاق سويري؛ نتيجة علاقاته الوثيقة بحكم البحرين ومستشار حكومة البحرين تشارلز بلجريف(444).

أما نانسي دينا إيلي خضوري، المولودة في بريطانيا، فقد عملت مديرة في شركة يوسف خضوري قبل أن تتحول إلى السياسة وتُعين في مجلس الشورى البحريني منذ عام ٢٠١٠ عن الطائفة اليهودية. كما أصبحت عضواً في أهم لجان المجلس المخولة بالشؤون الخارجية والدفاع والأمن الوطني، على الرغم من أن جميع أفراد الأقلية في البحرين لا يتجاوزون ٥٠ فرداً مقابل ٨٠٠ في الثلاثينيات من القرن العشرين.

ونذكر من العائلات اليهودية الأخرى عائلة هارون كوهين التي قُدمت من البصرة. وقد عمل ابنها ناجي المولود في البحرين، في تجارة الأقمشة، ثم صار وكيلاً لساعات «رولكس». وهناك عائلة منير روبين تاجر الأقمشة، وعائلة مراد التي ترتبط بصلة قرابة مع عائلة هارون كوهين،

وعائلة يهودا ساسون. وقد عمل يهودا في شركة «غري ماكينزي» قبل أن يهاجر إلى لندن (445). أقام بعض أثرياء اليهود في البحرين بالاشتراك مع تجار محليين مشروعات لاستئجار دور السينما، بعد افتتاح أول دار عرض سينمائي في البلاد عام ١٩٣٧، كما أسس بعضهم بمشاركة تجار محليين دارًا للسينما تعرض الأفلام المصرية غالبًا (446). ومن اليهود الذين عملوا في استئجار دور السينما واستثمارها في عرض الأفلام، ناجي هارون كوهين ويوسف خضوري وأحد أبناء أسرة نونو (447). كما افتتح إبراهيم إسحاق سويري وشقيقه جرجي شركة لتسجيل الأغاني على أسطوانات تحت اسم شركة إبراهيم فون، حيث سجّلت عددًا من الأغنيات لمطربين مشهورين في ذلك الوقت، مثل: محمد زويد، وعبدالله فضالة، وكان يتم تسجيل الأغاني في الهند (448). وامتلك أحد أبناء أسرة يادكار اليهودية متجرًا لبيع الأسطوانات الغنائية في البحرين.

ويؤكد إبراهيم نونو أنه «في الوقت الذي تتزايد فيه معاداة السامية في الغرب، لا توجد لدينا مثل هذه المشكلة في البحرين، فلم أواجه قط معاداة السامية في المنامة، إنها دولة آمنة جدًا لليهود، هنا الدين شيء شخصي، ونحن نفضله عن حياتنا العامة سواء في علاقاتنا التجارية أو مع أصدقائنا.. البحرين مكان رائع لتنشئة أسرة يهودية». وأضاف «تاريخيًا، كانت البحرين مركز الحياة اليهودية في الخليج، واشتهرت بالتسامح والتعايش وحرية العبادة» (449).

يشكّل اليهود البحرينيون إحدى أصغر الجاليات اليهودية في العالم. كان هناك وجود يهودي في البحرين لعدة قرون، ولعل أقدم وجود موثق رسميًا يعود إلى نهايات القرن التاسع عشر، حيث تذكر وثائق بريطانية أن أحد اليهود ويدعى «نسيم اليهودي» كان صاحب أشهر بقالة في المنامة آنذاك (450). أما علي إبراهيم عبده وخيريّة قاسميّة فقد ذكرا أن استقرار الطائفة اليهودية في البحرين كان في نهاية ثمانينيات القرن التاسع عشر (451). وهناك باحثون ربطوا بين وجود الأقلية اليهودية في البحرين ونزوحهم من الأحساء أثناء الحكم العثماني (١٨٧١ - ١٩١٣) (452).

والآن معظم يهود البحرين من نسل المهاجرين الذين دخلوا البلاد في أوائل القرن العشرين من العراق (البصرة وبغداد) وإيران (بوشهر) والهند، وبلغ عددهم ٦٠٠ عائلة في عام ١٩٤٧، وقدر البعض عددهم بين ١٣٠٠ و ٣٠٠٠ فرد (453)، عمل أغلبهم في الصرافة، والعقارات، والتجارة، وخصوصًا تجارة الأقمشة والخياطة.

خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ازدادت أعداد الجالية اليهودية في البحرين زيادة ملحوظة؛ مما دفع ببعض المواطنين البحرينيين إلى الاحتجاج عبر بعض الصحف العربية على السماح بالهجرة اليهودية إلى البحرين (454). استمرت الهجرة اليهودية إلى البحرين ولاسيما بعد صدور قانون الجنسية البحريني عام ١٩٣٧م، أملاً في الحصول على الجنسية البحرينية.

في ديسمبر ١٩٤٧، أصدر حاكم البلاد الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة أمرًا بمنع دخول اليهود إلى البحرين (455)، علمًا أن هذا المنع يعني عدم التعرض لليهود الموجودين أصلًا في البحرين

والسماح لهم بالإقامة والسفر والتجارة وحرية العبادة(456).

وعلى مدى العقود القليلة التالية، غادر معظمهم إلى بلدان أخرى، ووصل عددهم إلى ٢٥٠ فردًا في عام ١٩٥٠، وفي إحصاء عام ١٩٥٩ بلغ عددهم ١٤٩ يهوديًا(457). وبقيت حوالي ٣٦ عائلة حتى عام ٢٠٠٦ بإجمالي أكثر من ١٠٠ فرد. ويتراوح عدد يهود البحرين حاليًا ما بين ٣٦ و ٥٠ فردًا(458).

ويوجد لهم كنيس في المنامة القديمة بُني عام ١٩٣١ ميلادي وهو يتوسط المنامة القديمة. هاجر اليهود من البحرين على دفعتين، الهجرة الأولى في العام ١٩٤٨ مع قيام إسرائيل؛ إذ غادر قسم منهم طوعًا إلى خارج البحرين ومنهم من ذهب إلى بريطانيا وآخرون ذهبوا إلى كندا والولايات المتحدة. وأما الهجرة الثانية فقد حدثت في العام ١٩٦٧.

وفي ٢٢ أغسطس ٢٠٢١، أعلنت السلطات البحرينية عودة الصلاة والتراتيل للكنيس اليهودي في قلب العاصمة المنامة لأول مرة منذ عام ١٩٤٧.

وقال المستشار الدبلوماسي لملك البحرين ووزير الخارجية السابق خالد بن أحمد، عبر حسابه على «تويتر»: «صلاة السبت وتراتيل التوراة تعود إلى الكنيس اليهودي العتيق في قلب المنامة القديم لأول مرة منذ ١٩٤٧»، ووصف تلك العودة بأنها «لحظة تاريخية لأبناء البحرين اليهود»(459).

جديرٌ بالذكر أن استقرار الأقلية اليهودية في منطقة الخليج العربي جاء قبل تأسيس الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، وظهور الصراع العربي الإسرائيلي منذ منتصف ثلاثينيات القرن العشرين. ومنذ استقرار الأقلية اليهودية في منطقة الخليج العربي، وحتى نهاية أربعينيات القرن العشرين، لم يكن هناك ربطٌ واضحٌ بين الأقلية اليهودية والحركة الصهيونية، إلى أن صدر إعلان الأمم المتحدة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود في نوفمبر ١٩٤٧، وجرى الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في مايو ١٩٤٨، لبيدأ ربط أهل الخليج العربي بين الأقلية اليهودية من جهة وإسرائيل والحركة الصهيونية من جهة أخرى(460).

تتعين الإشارة إلى أنه لم يكن هناك أي ممثل لليهود من منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية في مجلس الوكالة اليهودية في فلسطين عند توقيع دستورها في أغسطس ١٩٢٩، في الوقت الذي كان فيه يهود أعضاء في مجلس الوكالة من مصر والمغرب والجزائر وتونس، وربما يكون من أسباب ذلك قلة عددهم(461).

والحديث عن علاقة الأقلية اليهودية في منطقة الخليج العربي بالحركة الصهيونية، وظهور الصراع العربي - الإسرائيلي، منحصر في الأقلية اليهودية في الكويت والبحرين، فالأقليات اليهودية المقيمة في عُمان والأحساء كانت قد هاجرت من المنطقة قبل ذلك. ولم يكن للأقلية اليهودية في الكويت والبحرين قبل عام ١٩٤٧ أي علاقة بالحركة الصهيونية؛ بل إن حكومتي

الكويت والبحرين والسكان المحليين فيهما لم يكونوا ينظرون إلى الأقلية اليهودية على أنها مرتبطة بالصهيونية حتى إصدار الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين في نوفمبر ١٩٤٧ (462).

نتيجة للاضطرابات التي حدثت في البحرين في ديسمبر ١٩٤٧ ردًا على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، وكذلك لتسرب بعض اليهود المؤمنين بالحركة الصهيونية إلى البحرين ربما من العراق أو فلسطين قبل تأسيس دولة إسرائيل أو اعتناق البعض الأفكار الصهيونية؛ أصدرت حكومة البحرين قرارها بعدم منح تأشيرات دخول البحرين لليهود المؤمنين بالصهيونية (463). أما في الكويت فقد تقرر كذلك إبعاد بعض أفراد الأقلية اليهودية، والذين كانت أعدادهم قليلة في عام ١٩٤٧؛ بسبب قيامهم بنشاط في غير صالح العرب قد يتعلق باعتناقهم الصهيونية ودعمهم لإقامة دولة إسرائيل، ومُنِع اليهود من دخول الكويت وأبعد ٢٠ شخصًا تقريبًا (464).

في محاولة من الأقلية اليهودية في البحرين نفي ارتباطهم بالصهيونية والتقليل من التوتر الذي رافق اضطرابات ديسمبر ١٩٤٧ في البحرين، أصدروا بيانًا باسم «الطائفة الإسرائيلية في البحرين» أعلنوا فيه تعاطفهم مع الفلسطينيين ورفضهم قرار تقسيم فلسطين، ومحاربتهم للصهيونية إلى جانب العرب بصفتهم عربيًا لغةً وتقاليدًا ومبدأً وتعاليمًا، وأعلنوا استعدادهم لتقديم كل ما يُثبت ذلك في سبيل «محو خطر الصهيونية وبقاء فلسطين عربيةً وجزءًا لا يتجزأ من العالم العربي الحر» (465).

ونهب محتجون ١٢ منزلًا لليهود في البحرين صباح ٤ ديسمبر ١٩٤٧، وغالبية المنازل المنهوبة تعود لليهود العجم (466)، إلا أن حاكم البحرين دعا اليهودي يوسف خضوري إلى حصر أسماء اليهود المتضررين من أحداث الشغب وتحديد خسائرهم حتى تدرس الحكومة تعويضهم، كما حوكم المتهمون في لك الأحداث ممن أُلقي القبض عليهم، وصدرت بحقهم أحكام بالسجن من ثلاثة إلى تسعة شهور، ويبلغ عددهم ٤٩ فردًا من غير رعايا البحرين، هم ٢٥ من العجم، و ١٠ من رعايا السعودية، و ٨ عمانيين، و ٢ من البلوش، وعراقيان، وقطري واحد، وأحد المسلمين الهنود (467). من جهته، يقول الباحث علي الجلاوي: إن السلطات البحرينية اعتقلت ٧٠ متظاهرًا ومنعت التجوال في المدينة «وقد ظهرت في ١١ يناير ١٩٤٨ ملصقات تدعو إلى مقاطعة اليهود، وأشار البريطانيون إلى احتمال ووقوف الهنود المسلمين وراء حركة الملصقات» (468).

ووجهت الحركة الصهيونية دعوة للأقلية اليهودية في البحرين للهجرة إلى إسرائيل؛ إذ استلم بعض يهود البحرين في فبراير ١٩٤٩ رسائل من الطائفة اليهودية في فرنسا يطلبون فيها ممن يريدون الهجرة إلى إسرائيل تزويدهم بأعمارهم وتفاصيل جوازات سفرهم (469). وربما كانت درجة الاستجابة ضعيفة؛ ما جعل الحركة الصهيونية تطلب تأشيرة دخول للبحرين ليهودي يدعى بولي لزيارة البلاد في ديسمبر ١٩٤٩ ليلتقي بالأقلية اليهودية هناك لدفعهم وتشجيعهم على الهجرة إلى إسرائيل (470).

كانت المصانع اليهودية حتى قبل إعلان قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨، والتي أنشأتها المؤسسات المالية الصهيونية، قد عملت على توزيع منتجاتها وسلعها في البلدان العربية عن طريق مؤسسة التجارة الخارجية⁽⁴⁷¹⁾؛ وذلك بزعم أنها بضائع «صُنعت في فلسطين». كما نشرت الوكالة اليهودية بالاشتراك مع جمعيات صهيونية أخرى المجلة الاقتصادية «فلسطين والشرق الأوسط» Paledine and the Middle Eade، منذ منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، وكانت ترسلها إلى بعض الشخصيات في سوريا، ولبنان، والعراق، وتركيا، وإيران، والسعودية، والكويت، واليمن⁽⁴⁷²⁾.

ازداد الارتباط بين بعض أفراد الأقلية اليهودية في الكويت والبحرين والحركة الصهيونية وإسرائيل منذ منتصف القرن العشرين بسبب هجرة عدد من أفرادها إلى إسرائيل، واستمرار التواصل بين الأقلية المهاجرة والباقية. ويبدو أن إسرائيل تمكنت من تجنيد بعض الوسطاء لها في الكويت والبحرين لأسباب اقتصادية، بحيث ترسل لهم منتجات إسرائيلية لتوزيعها في الكويت والبحرين ومنها إلى باقي إمارات الخليج العربي، كما يرسل هؤلاء الوسطاء إلى إسرائيل احتياجاتها من مواد أولية⁽⁴⁷³⁾.

الشاهد أن الحركة الصهيونية لم تكن غافلة عن الأهمية السياسية والاستراتيجية والاقتصادية لمنطقة الخليج العربي، فقد تقدّم طبيب يهودي روسي يدعى مالرو تستيرن Malco Thdeen بصفته متحدًا باسم الدولة اليهودية المقبلة، بعرض إلى الحكومة البريطانية عن طريق سفيرها في باريس عام ١٩١٧، بأن تُجهز دول الحلفاء جيشًا من اليهود قوامه ١٢٠ ألفًا في البحرين، تضعه تحت قيادة بريطانيا؛ لغزو منطقة الأحساء التي ذكر أنها تركية، وأن تعقد معاهدة مؤقتة مع الأتراك من أجل إقامة دولة يهودية على الخليج العربي⁽⁴⁷⁴⁾.

لكن البريطانيين ردوا في أكتوبر ١٩١٧ على مقترح تستيرن بأنه «بصرف النظر عن الاعتراض العام لإدخال عنصر جديد في الجزيرة العربية، وبصرف النظر عن المشكلة التي هي مثار الجدل حول مرغوبة إقامة دولة يهودية في أي مكان، هناك أسباب خاصة لاعتبار المواقع المختارة لكل من تمركز الفرق اليهودية (البحرين)، ولإقامة النهائية للدولة اليهودية في الأحساء غير ملائمة تمامًا»⁽⁴⁷⁵⁾.

اللافت في المقترح أنه جاء بعد أن هاجرت الأقلية اليهودية المقيمة في الأحساء من المنطقة في ذلك الوقت.

ورجّح الباحث نبيل الربيعي أن هناك عدة أسباب، أدت إلى هجرة الأقلية من الأحساء، «لذلك لا يمكن اعتبار هجرتها منها طردًا نتيجة ظهور الحركة الصهيونية أو القضية الفلسطينية على مسرح الأحداث وما نتج عنها من صراع عربي - إسرائيلي؛ لأن الأقلية هاجرت من الأحساء منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر بسبب اضطراب الأوضاع الأمنية في الأحساء وانتشار الفوضى»، قبل أن يضاف إلى ذلك سبب آخر هو استيلاء الملك عبدالعزيز على الأحساء، وانتهاء فترة حكم

العثمانيين لها، فهاجرت الأقلية بشكل نهائي.

ويرجح الباحث عدم صحة ما أورده الرَّحَّالَة شيزمان من كون عبدالله بن جلوي الذي عيَّنه الملك عبدالعزيز أميرًا على الأحساء هو الذي أخرج اليهود من المنطقة ١٩١٤م، وإن صح ذلك فإنه ربما استثنى أسراً يهودية قليلة ذكر أحد الباحثين أنها «بقيت في الأحساء حتى عشرينيات القرن العشرين» (476).

لكن منظمة العدالة لليهود من الدول العربية (AC)، وهي مجموعة دولية تضم عددًا من المنظمات اليهودية، كانت أكثر دراية بالمكون اليهودي في المنطقة؛ إذ استنتجت دول الخليج قاطبة من المطالبة بأي حق للأقلية في الدول العربية، وهي التي قادت حملة قانونية وسياسية، دعمتها تل أبيب على نطاق واسع للمطالبة بحقوق من تسميهم اللاجئين اليهود الذين طردوا من أوطانهم قسرًا، وصودرت أموالهم، قبل أن تؤويهم إسرائيل، وتطالب أخيرًا بتعويضهم بنحو ٢٥٠ مليار دولار، على غرار تعويضات «هولوكوست» وملاحقة الألمان، في رد مباشر على المطالبة الفلسطينية والعربية بحق العودة للاجئين الفلسطينيين، كأحد شروط التسوية العسوية على قبول أي من الطرفين.

وتقول المنظمة على موقعها الرسمي، إن: «القيود التي تفرضها الدول، التي غالبًا ما تقترن بالعنف والقمع، أدت إلى حدوث نزوح جماعي لليهود، بينما كانت النتائج متشابهة، أصبحت الحياة لا نطاق، وتشرّد اليهود من نحو ١٠ دول في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. والنتيجة، هي اقتلاع أكثر من ٨٥٠ ألف يهودي من الأراضي التي عاشوا فيها هم وأجدادهم لأجيال»؛ وذلك منذ ١٩٤٨م حتى ٢٠١٢ في كل من: «عدن، والجزائر، ومصر، والعراق، ولبنان، وليبيا، والمغرب، وسوريا، وتونس، واليمن»، حسب الجدول المفصل الذي نشرته المنظمة.

ولا تقر معظم الدول العربية بالمزاعم الإسرائيلية؛ إذ جاءت هجرة معظم اليهود في بلدان عربية عدة، على خلفية إنشاء تل أبيب كيانها السياسي، ودعوة أبناء الأقلية إلى الوطن الجديد، وما زال المتبقون منهم في بلدان مثل المغرب يجدون قبولًا اجتماعيًا وحظوة عند صنّاع القرار السياسيين.

أما في الخليج، فإن تجمعًا جديدًا أطلق على نفسه «رابطة المجتمعات اليهودية الخليجية»، نشأ بعد عقد بعض دول الخليج معاهدة سلام مع إسرائيل، وهي رابطة تقول عن نفسها إنها: «تتولى أمور وشؤون الجاليات اليهودية في البلدان الخليجية الست فيما يخص النواحي الدينية والعقائدية والطقوس والمناسبات الاجتماعية والدينية، وأيضًا الأمور التي لها علاقة بالتربية والتثقيف اليهودي»، ولا يقتصر نشاطها على المواطنين، وإنما تهتم بتقديم خدماتها لكل السكان من الديانة، وتتخذ من الإمارات مقرًا لها.

في وقت رحبت فيه دول خليجية بخطوة السلام مع إسرائيل. ظلت كل من الكويت وقطر

والدولة الكبرى في المجموعة - السعودية، ترفض الانضمام للاتفاق الذي جرى برعاية أمريكية؛ إذ تؤكد الرياض تمسكها بمبادرة السلام العربية التي تقضي بأن تطبيع العلاقة مع تل أبيب مشروط بتسوية القضية الفلسطينية.

إلا أن توافق أكثر دول مجلس التعاون الخليجي مع إسرائيل في رؤيتها نحو التهديد الذي تمثله طهران، جعل التقارب بين الطرفين يحظى بالقبول أكثر من ذي قبل، وإن بقيت الحساسية القديمة والتشكيك في صدقية تل أبيب محل تناول في نقاشات المهتمين على وسائل التواصل الاجتماعي؛ ما يُلقي بظلاله على الانفتاح الذي تراهن عليه إسرائيل بين شعبها ومواطني دول الخليج، لدى إنشائها قبل بضعة أعوام ما تسميه سفارة إسرائيل الافتراضية في دول الخليج.

بسبب الوجود اليهودي في دول ومناطق جغرافية مجاورة للسودان، كما هي الحال في إفنتين (جزيرة فيلة) والحبشة واليمن، يرجح باحثون وجود يهود في المنطقة قبل القرن الخامس عشر. ومع ذلك، يُعتقد أن دافيد روبيني (١٤٩٠ - ١٥٤٠) هو أول رحالة يهودي إلى المنطقة (477).

كان هناك وجود يهودي صغير يتكون من ثماني عائلات يهودية سفارديّة في عام ١٨٨٥ تعيش في أم درمان في السودان (478). أصول هذه العائلات وكيف استقرت في السودان غير معروف إلى حد كبير. وتعتبر عائلة «بن تسيون كوستي» Ben Zion Codi من أولى العائلات اليهودية التي وصلت البلاد؛ وذلك في أواخر القرن التاسع عشر. وعائلة «بن كوستي» من أولى العائلات التي استوطنت في أم درمان، وهو يهودي عثماني (١٨٤٢ - ١٩١٧) وُلِدَ بفلسطين، ويعود أصل والده الحاخام إلى إسبانيا (479). عمل بن كوستي مستشاراً لعبدالله التعايشي خليفة المهدي، بعد أن اعتنق الإسلام وأصبح اسمه «بسيوني»، لكنه عاد إلى اليهودية بعد أن غزا الإنجليز السودان بزعامة الجنرال هربرت كتشنر عام ١٨٩٨.

كان اليهود يتمتعون بالحرية في ممارسة عقيدتهم، حتى استولى محمد أحمد بن عبدالله المهدي على السودان في عام ١٨٨٥ وأسس الدولة المهديّة. خلال حكم المهدي، تعرّضت الجالية اليهودية لضغوط لاعتناق الإسلام (480).

في سبتمبر ١٨٩٨، دخل الجنرال كتشنر و ٢٠ ألف جندي مصري - بريطاني، بما في ذلك الشاب ونستون تشرشل، أم درمان واستعادوا السيطرة على السودان. أصبحت البلاد تحت سيادة مصرية - بريطانية مشتركة، ومع هذا الوضع السياسي الجديد بدأت تزدهر اقتصادياً. أصبح خط السكك الحديدية الذي بناه البريطانيون من القاهرة إلى الخرطوم (في الأصل للحملة العسكرية) ذا أهمية خاصة لفتح طريق طويل وصعب سابق للتجار، بما في ذلك الكثير من اليهود (481).

عندما وصل البريطانيون عام ١٨٩٨، كان هناك ٣٦ شخصاً يعلنون أنهم يهود في السودان (482). بعد تأسيس الحكم المصري - البريطاني، عادت ست عائلات يهودية سابقة اعتنقت الإسلام لفترة إلى اليهودية. وسرعان ما انضمت إليهم الكثير من العائلات اليهودية التي رأت الفرص الاقتصادية للدولة النامية. ابتداءً من عام ١٩٠٠ تقريباً، بدأ اليهود من جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ولا سيما من مصر والعراق وسوريا، في الوصول إلى السودان والاستقرار على طول نهر النيل في أربع مدن هي: الخرطوم، الخرطوم بحري، أم درمان، ود مدني، وسرعان ما بدأت أعمال هؤلاء في الازدهار.

ومن أشهر العائلات اليهودية في السودان، عائلة داوود مانديل (١٨٣٠ - ١٩٠١)، وهو تاجر

يهودي من أصل جزائري وُلِدَ في الإسكندرية، وجاء إلى السودان واستقر في مدينة الأبيض. كذلك برز اسم عائلة تمام، التي ظهرت في الخرطوم بحري وأم درمان، ومن أفرادها فيكتور إيلي وجبرائيل جوزيف تمام. هناك أيضاً عائلة إسرائيل، التي استوطنت الخرطوم جوار سكة الحديد قرب شارع الإسبتالية (المستشفى)، وأهم تُدعى وردة إسرائيل، ومن بناتهم ليلي إسحاق إسرائيل التي عملت سكرتيرة الرئيس جعفر النميري.

أما عائلة عدس التي استقرت في ود مدني، فهي عائلة سوريّة الأصل، ومن أولاد مؤسسها يعقوب إبراهيم عدس، وفيكتور إبراهيم عدس، وموسى إبراهيم عدس، وزكي إبراهيم عدس. واشتهرت عائلة قاوون، ومنهم نسيم قاوون الذي أسهم بشكل كبير في افتتاح كنيس الخرطوم. واستقرت عائلة باروخ ذات الأصول المغربيّة في مدينة ود مدني، وعملت في تجارة الأقمشة. واستقرت عائلة دويك ذات الأصول السوريّة في أم درمان والخرطوم بحري، وكذا عائلة كوهين التي عاشت في الخرطوم بحري، في حين عاشت عائلة ساسون في كردفان، ومن أبنائها موشيه ساسون الذي عمل سفيراً لإسرائيل في مصر. أما عائلة عبودي التي سكن أفرادها في بحري، فقد برز منهم إبراهيم جوزيف عبودي، الذي ترأس الجمعية اليهوديّة في الولايات المتحدة (483).

وأصبحت مجموعة شركات «أولاد مراد» إحدى أهم الوكالات التجاريّة وبيوت الاستيراد في السودان، التي تعمل في توريد السلع من الشاي والسيارات حتى الخيوط القطنية والصوفية. وعُرف حبيب كوهين باعتباره أحد أبرز المستوردين وتجار الجملة، وأنشأ الأخوان ألبرت ونسيم قاوون شركة لتصدير الحبوب الزيتية ومنتجات سودانية أخرى، وتمكنا من تطويرها لتصبح إحدى أهم شركات التصدير في السودان. أما ليون تمام وأخواه ألبرت وغابرييل، فقد أنشأوا شركات لتصدير جلود الفرائس والتماسيح والثعابين، ولاحقاً أنشأ ليون تمام أكبر مصنع للأدوية في السودان (484).

في عام ١٩٠٥، أنشأ فرج شوع، وهو تاجر يهودي مصري هاجر إلى السودان عام ١٩٠٠، كنيسة مؤقتاً في غرفة صغيرة مستأجرة وبدأ تعليم الأطفال اليهود التوراة والعبريّة والصلاة اليهوديّة (485).

في عام ١٩٠٨، وصل الحاخام اليهودي مغربي الأصل سولومون ملكا إلى الخرطوم مع زوجته واثنين من كبرى بناته؛ وذلك بطلب من السلطات الدينيّة اليهوديّة في مصر، التي كانت مشرفة على الجالية اليهوديّة التي تقطن جارتها الجنوبيّة (486).

وأظهرت صورة عائلية التقطت في أوائل عشرينيّات القرن العشرين، الحاخام ملكا وهو يقف إلى جانب زوجته هانا محاطاً ببعض أبنائه وأحفاده. وكان يرتدي ملابس تقليديّة لها علاقة بالمنطقة، منها جبة مفتوحة من الأمام وتحتها رداء يعرف بالقفطان، وكان يفضل ارتداء هذا الزي طيلة حياته رغم أن بقية عائلته والجالية التي ينتمي إليها كانوا يحبذون ارتداء ملابس تميل أكثر

إلى النمط الغربي.

وقدمَ هذا الحاخام إلى السودان لخدمة الجالية الصغيرة الموجودة من ذي قبل، إلى جانب الأعداد المتنامية من اليهود ممن وفدوا على البلاد من دول أخرى في الشرق الأوسط كمصر والعراق وسوريا، ووصلوا على متن قطارات فوق السكك الحديدية التي أنشأها الاستعمار البريطاني والتي تصل الإسكندرية في مصر بالخرطوم في السودان(487).

وكان الكثير منهم تجارًا صغارًا يعملون في تجارة المنسوجات واللبن العربي، تلك المادة الغذائية الإضافية مكسبة الطعم التي تصنع من أشجار السنط العربي أو الصمغ الموجودة في السودان. وأقاموا في المناطق المطلة على ضفتي النيل في الخرطوم، والخرطوم شمال، وأم درمان، وود مدني، لتبدأ تجارتهم تشهد رواجًا.

وتوفي الحاخام ملكا عام ١٩٤٩، واستغرق إيجاد بديل مناسب له سبع سنوات ليخلفه الحاخام مسعود الباز، الذي قديم إلى البلاد من مصر عام ١٩٥٦.

كانت الجالية اليهودية في السودان تقليدية للغاية رغم أنها لم تكن مفرطة في التحفظ. فمع أنهم كانوا يحتفلون بالأعياد ويلتزمون بالأحكام اليهودية في الطعام، إلا أن الكثيرين منهم كانوا يعيشون حياة علمانية إلى حد كبير.

تم تنظيم الجالية اليهودية في الخرطوم رسميًا لأول مرة في عام ١٩١٨(488). ومع نموها، أنشأت الجالية بتمويل ذاتي، معبدًا لها في الخرطوم عام ١٩٢٦، في شارع يمر بوسط المدينة ويتسع لما يصل إلى ٥٠٠ فرد، وهو ما كان دليلًا واضحًا على أنهم أصبحوا يتمتعون باستقرار اقتصادي واجتماعي(489). وكان يقام في المعبد حفلات الزفاف؛ مما يشير إلى تأسيس جيل جديد لهذه الجالية.

على الرغم من حقيقة أن الجالية اليهودية ككل كانت موزعة بين الخرطوم والخرطوم بحري وأم درمان، فإنها كانت متماسكة بشكل لا يصدق. لم يكن هناك سوى كنيس واحد في السودان واثنين من المكفاه (في الديانة اليهودية هو مكان مليء بالماء يستعمل من أجل الاستحمام التعبدي عند اليهود)، أحدهما في الكنيس والآخر في منزل الحاخام.

وبينما كان الكنيس هو المكان الروحي لليهود في السودان، كانت حياتهم الاجتماعية تتمحور حول النادي اليهودي، الكائن في شارع فيكتوريا بالخرطوم (لاحقًا حمل اسم شارع القصر). ودعا شباب اليهود في السودان فريقهم لكرة القدم باسم «مكابي».

وكان مجتمع الطبقة المتوسطة والعليا في السودان يضم عددًا من الجاليات المتشابكة رغم أنها متباينة عن بعضها البعض. فإلى جانب الجالية اليهودية، كانت الخرطوم وجارتها أم درمان الواقعة على الضفة الأخرى من النهر تشهدان نمو جاليات ما بين اليونانية والسورية والإيطالية والمصرية والأرمنية والبريطانية والهندية، وكان لكل واحدة منها مركز اجتماعي أو «نادي» في العاصمة،

كانوا يلتقون فيه ويلعبون الورق ويتسامرون في المساء(490).

وفي شهر ديسمبر من كل عام، كانت تلك المراكز الاجتماعية المختلفة تتناوب على استضافة حفل فخم كان يعد فرصة لجمع التبرعات والتباهي وقضاء وقت ممتع مع الأصدقاء والزملاء. كان غالبية اليهود في السودان موسرين إلى حد ما؛ لذا كانت لديهم بشكل عام صلات مع النخبة في السودان، وكانوا يقدرون على تحمل مصاريف إحقاق أبنائهم بالمدارس الخاصة. أما الأطفال ممن كان آباؤهم لا يتحملون المصاريف التعليمية، فكانوا إما يحصلون على إعانات من أفراد موسرين في الجالية، أو يتركون المدارس في وقت مبكرة ليلتحقوا بمهنة ما. وتقريباً، التحق كل ولد يهودي بمعهد «كومبوني»، وهو مدرسة كاثوليكية خاصة في الخرطوم يديرها قساوسة إيطاليون. أما الفتيات اليهوديات في السودان فكان لديهن نطاق خيارات أكبر. فقد كان يمكنهن الالتحاق بمدرسة الوحدة العليا وهي مدرسة إنجليزية قائمة على التعاليم المسيحية بدلاً من مدرسة الأخوات الكاثوليكية.

في ثلاثينيات القرن العشرين، استقر في السودان عدد قليل من اليهود الفارين من الاضطهاد في أوروبا(491).

وفي ذروة وجود اليهود في السودان خلال أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، كان هناك نحو ٢٥٠ أسرة، وباجمالي عدد يتراوح بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ شخص(492)، لكن هذا المجتمع تقلص بعد احتلال فلسطين وإعلان قيام دولة إسرائيل في ١٩٤٨، وما أعقب ذلك من توتر وصراع مع العالم العربي.

بعد حرب عام ١٩٤٨، هاجر عدد قليل من اليهود السودانيين إلى إسرائيل بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٠. وكان معظمهم من بين أفقر أفراد الجالية اليهودية وهاجروا لأسباب اقتصادية. تضامنت الجالية اليهودية - حينذاك - معاً لشراء تذاكر سفر إلى إسرائيل لأفرادها الأشد فقراً حتى يتمكنوا من بدء حياة جديدة هناك(493).

وفي عام ١٩٥٦، وفي أعقاب استقلال السودان وأزمة السويس التي وقعت في وقت لاحق من ذلك العام، بدأ الجو العام في السودان يتغير مع تعرُّض جارتها الشمالية مصر للعدوان الثلاثي من قبل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل.

وتقول المؤرخة البريطانية ديزي العبودي، وهي نفسها من أحفاد سودانيين يهود، إن أزمة السويس في ١٩٥٦ التي هاجمت فيها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، مصر للسيطرة على القناة، أدت إلى تسريع رحيل اليهود(494).

الشاهد أنه على الرغم من حصول السودان على استقلاله في ١٩٥٦، فإن الأوضاع السياسية في مصر والسودان بقيت متداخلة. لكن، الضربة القاضية لليهود السودانيين كانت حرب يونيو ١٩٦٧، عندما احتلت إسرائيل المزيد من الأراضي العربية.

بعد أسابيع قليلة، استضافت الخرطوم قمة عربية رُفِعَ خلالها شعار «اللاءات الثلاث»: لا للسلام، لا للاعتراف، لا للمفاوضات مع إسرائيل.

في ظل التوترات الإقليمية، وتنامي الدعوات للقومية العربية، بدأ الجو العام يصبح أكثر إزعاجًا لليهود السودان، حيث استهدفتهم بعض الصحف، وألقيت عليهم اتهامات بأنهم من الطابور الخامس، كما تحدّث بعض اليهود عن علامات أخرى على التمييز ضدهم⁽⁴⁹⁵⁾.

مع ذلك، تدهورَ وضعُ اليهود «بشكل أفل حِدَّة في السودان من أي مكان آخر في الشرق الأوسط»، بحسب ديزي العبودي، التي أوضحت أن معظمهم غادر البلاد، لأنهم «أدركوا أنه لم يُعد لهم» مستقبل فيها. وقد هاجروا إلى إسرائيل وكذلك إلى بريطانيا والولايات المتحدة خصوصًا، على حد قولها⁽⁴⁹⁶⁾.

وفي عام ١٩٥٦، كانت فتاة يهودية حاضرة لإحدى الحفلات مع والديها، وجرى الإعلان عن مسابقة لاختيار ملكة جمال للخرطوم. وبالرغم من أنها كانت تشعر بالخجل، إلا أنها وافقت على المشاركة فيها بعد تردد، لتربح اللقب في النهاية. وأوضحت ابنتها التي فضّلت عدم ذكر اسمها: «كان يحق لها أن تشارك في مسابقة ملكة جمال مصر بعد حصولها على لقب ملكة جمال الخرطوم، إلا أنهم اكتشفوا أنها يهودية ليسحبوا منها اللقب»⁽⁴⁹⁷⁾.

في خمسينيات من القرن العشرين، بدأ عدد من أعضاء الجالية اليهودية وخاصةً من رجال الأعمال - في مغادرة السودان إلى إسرائيل (عبر اليونان) والولايات المتحدة والدول الأوروبية - وتوجه معظمهم إلى المملكة المتحدة وسويسرا. كانت إسرائيل وسويسرا الوجهتين الرئيسيتين لهجرة اليهود السودانيين⁽⁴⁹⁸⁾، وبحلول عام ١٩٦٠، كان الكثير من اليهود قد غادروا السودان.

وبحلول يونيو عام ١٩٦٧، عندما شنت إسرائيل الحرب على عدة جبهات ودول عربية، لم يبقَ في السودان من الجالية اليهودية سوى قلة من أولئك الذين كانوا أكثر إصرارًا على البقاء في البلاد، وعاش معظم هؤلاء في مدينة ود مدني بعيدًا عن معارك السياسة الساخنة في العاصمة السودانية.

تقلصَ عدد اليهود في السودان خلال أعوام قليلة إلى بضعة أشخاص فقط في مطلع السبعينيات. إجمالًا، هاجر حوالي ٥٠٠ يهودي سوداني إلى إسرائيل، في حين ذهب الباقون إلى دول أخرى⁽⁴⁹⁹⁾.

وفي عام ١٩٧٣، كان إلياس بنو، واحدًا من آخر من رحلوا عن السودان من اليهود، وكانت حالته الصحية متدهورة؛ ما يعني أنه لم يعد يستطيع العيش بمفرده؛ لذا قرر في النهاية أن يتوجه إلى لندن، حيث عاش هناك مع ابنته سارة قبل وفاته بعد ذلك بعام.

في عام ١٩٧٥ نُظِّمَت رحلات نقل جوي لبعض الرفات البشرية من المقبرة اليهودية في الخرطوم من قبل عدد من الأعضاء البارزين في المجتمع، وتم ترتيب إعادة الدفن في القدس.

جرى نقل الجثث وإعادة دفنها في مقبرة جفعات شأوول في القدس⁽⁵⁰⁰⁾. اعتبارًا من عام ٢٠٠٥، كان هناك ما لا يقل عن ١٥ مقبرة يهودية متبقية في المقبرة اليهودية بالخرطوم⁽⁵⁰¹⁾. جرى بيع مبنى المعبد اليهودي وهدمه في عام ١٩٨٦ ويحتل الموقع الآن أحد البنوك.

وفي نوفمبر ٢٠١٩، دعا وزير الشؤون الدينية والأوقاف السوداني، نصر الدين مفرح، اليهود السودانيين، الذين أجبروا على ترك بلادهم، إلى العودة إليها، والمشاركة في إعمارها.

وبعد إطاحة الثورة السودانية بنظام الرئيس عمر البشير، قال وزير الشؤون الدينية والأوقاف: «في حقبة زمنية وتحديداً منذ عام ١٨٨٠ وحتى عام ١٩٦٩ كانت هناك كتلة اجتماعية - اقتصادية تمثل اليهود»، مشيراً إلى أن أولئك اليهود كانوا جزءاً من ملامح المجتمع وانصهروا فيه. وكانوا يعملون في التجارة والاقتصاد والخدمة المدنية ونالوا تعليماً عالياً.

وقال: «هذا المجتمع اليهودي أفرادهم أصبحوا سودانيين ونالوا الجنسية السودانية وتعايشوا في البلاد مثلهم مثل أي مجموعات دينية أخرى، مثل: الأقباط، والمسيحيين، والأقليات الأخرى، مثل: الأرمن، والهنود، وغيرهم»⁽⁵⁰²⁾.

وأضاف: «هذه المجموعة من اليهود واجهت ضغوطاً كبيرة خاصة في عهد الرئيس الأسبق جعفر نميري ١٩٦٩ - ١٩٨٥، إلى جانب الكبت الذي مورس عليهم والتسلط آنذاك من الحكومات العسكرية... مورست ضدهم ضغوط اقتصادية، حيث إنهم كانوا يمارسون التجارة وإدارة الأعمال، إلى جانب ضغوط سياسية ومجتمعية وأحادية وثقافية». وتابع: «أدت هذه الضغوط الهائلة إلى هجرة اليهود من السودان... ونحن في إطار الدولة المدنية الجديدة، ومع هذه الثورة المجيدة التي أكدت أن المواطنة هي أساس الحقوق والواجبات... قدمت الدعوة لكل السودانيين في الخارج بمن فيهم اليهود الذين يحملون جنسية هذه البلاد بأن يعودوا للعيش في السودان مثلهم مثل أي سوداني يحمل جنسية هذه الدولة»، مشدداً على أن دعوته جاءت في إطار التعايش السلمي والديني في بلاده، نافياً أن يكون وجه دعوة إلى الصهاينة الذين اغتصبوا الأراضي الفلسطينية وإنما الدعوة وجهت إلى يهود سودانيين كانوا يعيشون في السودان وكانوا جزءاً من ملامح مجتمعه العريق والمتنوع.

وحققت الحكومة الانتقالية في السودان في عام ٢٠٢٠ تقارباً مع الولايات المتحدة، ووافقت على اتفاق السلام مع إسرائيل في مقابل رفع العقوبات الأمريكية. ووقع السودان وإسرائيل على «اتفاقات إبراهيم» في يناير ٢٠٢١، ووافق مجلس الوزراء في أبريل ٢٠٢١، على مشروع قانون لإلغاء مقاطعة إسرائيل.

يبقى أن التقارب مع إسرائيل بعيد كل البعد من الإجماع؛ إذ إن كثيرين في السودان ما زالوا يقاومون هذا التوجه.

وفي يناير ٢٠٢١، احتج عشرات السودانيين خارج مقر الحكومة الانتقالية، وأحرقوا أعلاماً

إسرائيلية، ورددوا شعارات معادية.

وفي فبراير ٢٠٢١، أثار مؤتمر حول التسامح الديني شارك فيه حاخام عبر الفيديو جدلاً حاداً. من جانبها، قالت يسار باشا، وهي امرأة سودانية من أصل يهودي، إنها: «تنتظر بفارغ الصبر أن يصبح السلام فعلياً». وأضافت بتقاؤل: «أنا شبه متأكدة أن لدينا أقارب بعيدون في تل أبيب أو في أي مكان آخر في إسرائيل»⁽⁵⁰³⁾.

في مقبرة بمنطقة شعبية بالخرطوم، توجد أنقاض شواهد قبور تحمل كتابات عبرية، وتشهد على التاريخ الطويل المنسي لليهود السودانيين.

يقول الصيدلاني منصور إسرائيل، المقيم في العرضة الذي كان يُسمى لفترة طويلة بـ«الحي اليهودي» في مدينة أم درمان المحاذية للخرطوم على الضفة الأخرى لنهر النيل، «كل ما تبقى من الجالية اليهودية السودانية هو هذه المقبرة المتداعية، وبعض الصور القديمة والذكريات»⁽⁵⁰⁴⁾. يروي منصور إسرائيل، (٧٥ عاماً) المولود لأب اعتنق الإسلام، بفخر أن جده اليهودي العراقي هاجر إلى السودان.

وأضاف منصور الذي شهد رحيل عدد كبير من أصدقائه إلى إسرائيل: «القلوب تغيرت كثيراً في السودان». وهو يملك ذكريات جميلة للأيام التي كان فيها حيّه متنوعاً. وأوضح أن العرضة كان آنذاك «منطقة تضح بالحياة، فيها يهود وكذلك يونانيون وأرمن». وهو يتذكر أن «الجميع كانوا يشاركون في الاحتفالات والأعياد»⁽⁵⁰⁵⁾.

يهود ليبيا.. وطن قومي في برقة!

في فبراير ٢٠٢٠، فوجئ الليبيون بخبر لقاء المبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة مع الليبي اليهودي رفائيل لوزون رئيس ما يسمى «اتحاد يهود ليبيا» في لندن، بحضور نائبته ستيفاني ويليامز.

لم يكن هذا هو الجزء المهم والمفاجئ بالخبر؛ بل ما أعلنه لوزون بعد اللقاء؛ إذ قال: إن سلامة «وعد طائفة يهود ليبيا المهجرة منذ ٦٥ عامًا بالمشاركة في حوارات المسار السياسي بجنييف الذي ينطلق بعد أيام».

وادعى لوزون في تدوينه نشرها على صفحته المثيرة للجدل على «فيسبوك»، أن ما تم في اللقاء اعتراف دولي بحقوق يهود ليبيا، موضحًا «أخيرًا اعتراف أممي بالاتحاد ممثلًا رسميًا لمكوّن الليبيين اليهود، ووعود قاطعة بالمشاركة الرسمية في كل الاجتماعات المقبلة التي تخص وحدة ليبيا وسلامها».

وأضاف لوزون في تدوينته التي أرفق معها عددًا من الصور التي تجمعته مع سلامة ونائبته، «تحدثنا خلال اللقاء عن المعاناة التي تعيشها بلادنا عمومًا، وتعيشها الجالية الليبية اليهودية خصوصًا، ونضالها من أجل استرجاع حقوقها الإنسانية والاجتماعية، بحسب تعبيره».

وكان لوزون المثير للجدل دائمًا بتصريحات حول حق العودة للطائفة اليهودية إلى ليبيا، هدد في الأيام الماضية بالدخول في إضراب عام عن الطعام؛ ما لم يستجب سلامة لمطالبه بالجلوس معه، والموافقة على المشاركة في اجتماع جنييف ممثلًا عن «الأقلية اليهودية» في ليبيا، زاعمًا امتلاكه مبادرة لحل الأزمة.



زواج يهودي في بنغازي، ليبيا، عام ١٩٥٥

وأطلق لوزون هاشتاغ باسم «لوزون يناديك يا سلامة» على مواقع التواصل الاجتماعي، حتى استجاب الأخير لدعوته والتقى به.

أثار الخبر جدلاً كبيرًا بين أطراف المجتمع الليبي كافة على مواقع التواصل، وتداولته وسائل

الإعلام باهتمام واضح، وانقسمت آراء الشارع حول وعد غسان سلامة للطائفة اليهودية الليبية بالمشاركة في حوارات جنيف، وهم الذين غادروا البلاد في ستينيات القرن العشرين، بين غالبية رافضة وأقلية تعتبره حقاً لهم، باعتبارهم ما زالوا حاملين الجنسية الليبية.

وأظهر أحد استطلاعات الرأي التي نالت رواجاً كبيراً على «تويتر»، أن ٨١٪ من المشاركين به رفضوا إدخال الطائفة اليهودية طرفاً في المعادلة الليبية، سواء كان حوار جنيف أو غيره. رفض عدد كبير من النخب الليبية تصديق أن غسان سلامة استجاب لرغبة لوزون للقاءه بسبب تهديده بالإضراب عن الطعام، قائلين: إن ضغطاً مُورس من جهات غير منظورة، دفع سلامة للسفر إلى لندن ولقاء الرجل في مقر داره.

وقال النائب في البرلمان الليبي في بنغازي عبدالسلام نصية، تعليقاً على اللقاء وما رشح عنه متسائلاً: «هل سيلتقي السيد غسان بنازح ليبي هُدم بيته وشُردت أسرته وفُرض عليه الامتناع عن الأكل لعدم وجوده؟ أم سيلتقي طفلاً ليبيّاً منع من المدرسة وقتل زميله؟ لكي يحصلوا على وعود بالمشاركة أو على الأقل طرح قضيتهم في اللقاءات الليبية؟ أم أن ذلك يحتاج إلى قوة وراء المطلب؟».

وغرّد الصحفي الليبي علي وحيدة على «تويتر» قائلاً: «رفاييل لوزون رئيس اتحاد يهود ليبيا هدد غسان سلامة بشكل موثق وعلناً بموقف حازم إذا رفض الاستماع إليه، موقف لا ننتقده وله الحق في ذلك، ولكن سرعة رضوخ سلامة لمطالبه وتجاهله لمطالب أجسام ليبية أخرى يعكس واقع الحال، لا إذعان سوى لمن يستعمل القوة أو يلوح بها».



صف دراسي ليهود ليبيا في كنيس بنغازي قبل الحرب العالمية الثانية

لا تعطي المصادر التاريخية دليلاً أكيداً على تاريخ معين لقدم اليهود إلى ليبيا واستقرارهم فيها، وإن تكن مراجع تاريخية أشارت إلى أن اليهود سكنوا المدن الخمس الإغريقية والفينيقية في ليبيا ابتداءً من القرن السادس قبل الميلاد، وكان سبب مجيئهم إلى ليبيا هو التجارة والعمل في صياغة الذهب.

أما الهجرة اليهودية الثانية إلى ليبيا، فقد بدأت بعد سقوط الأندلس عندما اضطهد الإسبان أصحاب الديانات الأخرى غير المسيحية. وقدر عدد اليهود في طرابلس في تلك الفترة بنحو ٧٥٠ عائلة، ثم توزع اليهود في المناطق القريبة من طرابلس.

سكن اليهود أيضاً مدنًا ساحلية مثل سرت، وزادت أعدادهم في مدينة لبدية الساحلية القريبة من طرابلس. واستقروا في مناطق أخرى، مثل جبل نفوسة، وتكثف الوجود اليهودي في أهم مدينتين

في هذا الجبل، هما شروس وجادوا. وينم عن كثرة عدد اليهود الذين استقروا في جبل نفوسة؛ ما دار بينهم وبين الرئاسة الروحية لليهود في العراق(506)؛ إذ تبودلت رسائل بينهما عن مسائل دينية طلب فيها أهل الجبل إجابات عن مسائل استغلقت عليهم، وفتاوى عن أمور مستجدة. خلال الفترة العثمانية، انجذبت العائلات اليهودية من طرابلس إلى بنغازي. أعطت هذه الفترة دفعة جديدة للجالية اليهودية الليبية(507).

في عام ١٧٤٥؛ أدى انتشار الأوبئة والفقر إلى هجرة كثيرين ومنهم اليهود، ولكن عاد حوالي ١٧٥٠ فرداً من الجالية اليهودية السابقة وأعادوا بناء المجتمع الذي بدأ يزدهر مع وصول العائلات اليهودية من إيطاليا.

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كان في بنغازي ٤٠٠ عائلة يهودية مقسمة إلى مجموعتين، تلك التي تعيش في المدينة والمنطقة المحيطة بها وأولئك الذين ولدوا في طرابلس وإيطاليا، وقد اعترف كلاهما بسلطة حاخام واحد، لكن كان لكل منهما كنيسة الخاص.

ظهر في ليبيا عددٌ لا بأس به من رجال الأعمال اليهود الذين سيطروا على حركة التجارة بين ليبيا وكل من أوروبا وإفريقيا، وكانت عائلات ناحوم وليفي وأرييف وفرجون من أبرز العائلات اليهودية في ليبيا، لا سيما أنها كانت على قدر كبير من القوة الاقتصادية، وكان معظم أبناء هذه العائلات من رعايا إيطاليا(508).

كان الإخوان المسلمون في السنوسية في حالة قبول تام بيهود بنغازي، مقدرين مساهماتهم الاقتصادية والتجارية وموقفهم السلمي، وتمتع اليهود بحرية كاملة، ولم يُجبروا على العيش في حي خاص، وفي تلك الفترة، أصبحت المدينة بسبب نشاطها التجاري مركزاً تجارياً مهماً لأوروبا وإفريقيا.

ثمة إحصاءات تتعلق بعدد اليهود في ليبيا تعود إلى العام ١٩٠٥، حيث بلغ عددهم، بحسب إدارة النفوس، ١٣٤٨٦ فرداً(509)، وبحسب مصدر آخر(510) بلغ عددهم، عام ١٩١١، حوالي ٦٩١٠، في حين يشير هنريكو أغستيني في كتابه «سكان ليبيا»(511)، الذي أصدره استناداً إلى الإحصاء الذي أجراه بأوامر السلطات الإيطالية، إلى أن عدد اليهود عام ١٩١٧ بلغ ٦٩١٠ أفراد. ولعل من أبرز الإحصائيات أهمية إحصاء ١٩٣٩ الذي نُشر عام ١٩٤٠، وتعود أهميته إلى أنه سبق مرحلة هجرة اليهود؛ إذ يقدر عددهم حينها بـ ٣٠٥٧٨ نفساً(512). ويُقدَّر أتينجر عدد يهود ليبيا في العام ١٩٤٥ بـ ٨١٨٠٠ نفس(513).

شكّل يهود طرابلس نحو ٣٤.٥٪ من التعداد الكلي للسكان في عام ١٩١٧، لكن نسبتهم في المجتمع تضاءلت في ثلاثينيات القرن العشرين؛ إذ شكّلوا في تلك الفترة ٢٠٪ من تعداد السكان. وبلغ عدد يهود ليبيا الذين كانوا دون سن الخامسة عشرة في عام ١٩٣٦ نحو ٤٠٪ من مجمل تعداد اليهود(514).

وعُرف عن اليهود الليبيين في العصر الحديث، بداية من القرن العشرين إقامتهم في أحياء خاصة بهم تُسمى الحارة، وضمت مدينة طرابلس حارتين استقر فيهما غالبية يهود ليبيا «الحارة الكبيرة»، و«الحارة الصغيرة»، وأخرى في بنغازي، كما وُجِدَت هذه الحارات في كل المدن الليبية التي يوجد بها اليهود، ومنها حارات الزاوية الغربية وزليتن ومسلاته ويذر⁽⁵¹⁵⁾. عند نشوب الحرب العالمية الثانية، بلغ عدد اليهود في مدينة بنغازي وحدها ٢٢٠٠ يهودي، وكانت أعداد أقل موجودة في مدينة البيضاء ودرنة وطبرق ومصراتة.

كان أول تصادم تشهده ليبيا بين سكانها من المسلمين واليهود في ٣ نوفمبر ١٩٤٥، فيما كانت موجة من الإضرابات تجتاح العالم العربي في ذكرى وعد بلفور، ثم تكرر الصدام عام ١٩٤٨. ففي أعقاب حرب فلسطين عام ١٩٤٨، تصاعدت حدة التوتر بين العرب واليهود في ليبيا⁽⁵¹⁶⁾. ويشير التقرير السنوي للإدارة العسكرية البريطانية⁽⁵¹⁷⁾ إلى أن النشاط الصهيوني في ليبيا كان السبب الرئيسي في نشوب اضطرابات وأحداث نوفمبر بين العرب واليهود، واستهدف حمل يهود ليبيا على الاستعداد للهجرة إلى فلسطين. وأكد تقرير بريطاني أن الأفكار الصهيونية أدت إلى تقويض دعائم الصداقة بين المسلمين واليهود، وكان وراءها يهود صهاينة أوروبيون بالأساس⁽⁵¹⁸⁾. وذكر مكتب الإعلام البريطاني أنه لاحظ تصاعد الروح العدوانية في الآونة الأخيرة بين الشباب اليهودي، مشيرًا في الوقت ذاته إلى حادثتين حصلتا قبل يوم واحد من أعمال الشغب التي حصلت في يونيو ١٩٤٨. نجمَ عن الحادثتين نقلُ شابين عربيين إلى المستشفى، وذلك بعدما تعرّضا للضرب على يد يهود.

بدأت أعمال الشغب بين العرب واليهود في ١٢ يونيو في العاصمة الليبية طرابلس. خلال هذه الفترة، كانت الجالية اليهودية في طرابلس على أتم الاستعداد للمواجهات وشن هجمات على العرب أصحاب الأرض أصلاً.

وَفَقًا للتقارير البريطانية فإنَّ أعمال الشغب اندلعت بشكل عفوي، وقد لاحظ المستعمرون البريطانيون حينها قيام الجماعات اليهودية بكتابة عبارات في لافتات باللغة العبرية مثل «إنه لأمر جيد أن يموت اليهودي من أجل الوطن»، كما أشارت التقارير نفسها إلى دور المنظمة اليهودية في تسريع وتيرة أعمال الشغب. في حقيقة الأمر، لم يكن الهدف من وراء «وحدات حماية الشعب اليهودي» التي أنشأها اليهود هو حماية الجالية اليهودية كما يدل على ذلك اسمها؛ بل دخلت هذه الوحدات في اشتباكات مع الشرطة من أجل الخروج من المدينة القديمة ومهاجمة العرب هناك. بدأت الأحداث عقب مهاجمة عدد من اليهود لعمال عرب أمام الحارة اليهودية، وقيام أحد الصهيونيين بقتل أحد العرب في السوق، إضافة إلى الإشاعات التي روجتها شبكة تخريب إيطالية بأن اليهود هاجموا قاضي طرابلس في مكتبه الذي كان متاخماً لحيهم، وقتلوه، وأحرقوا المحكمة الشرعية؛ ما أدى إلى هياج المسلمين في طرابلس، وفي غضون نصف ساعة؛ تجمّع حشد من

العرب وشقوا طريقهم نحو الحي اليهودي في البلدة القديمة (المعروفة أيضًا باسم «حارة اليهود»)، حيث هاجموا سكان الحي بالعصي والحجارة، إلا أن الوحدات اليهودية ألقت عدّة قنابل حارقة وقاتلة على الحشد. استمرت الاشتباكات لمدة ساعة اعتلى خلالها اليهود أسطح المنازل وهاجموا قوات الشرطة من خلال إلقاء القنابل والحجارة وإطلاق الرصاص الحي؛ وأسفرت الاشتباكات عن مقتل ١٣ - ١٤ يهوديًا مُقابل أربعة من العرب، كما جرح ٣٨ يهوديًا و٥١ عربيًا، فضلًا عن الأضرار التي لحقت بالمتعلقات وترك ما يقرب من ٣٠٠ عائلة معوزة.

انتشر خبر المواجهات بسرعة في المدن والأقاليم الليبية⁽⁵¹⁹⁾، وامتدت الأحداث إلى تاجوراء وزليتن والقصبات والريف المحيط بينغازي، وأودت بحياة ١٣٠ يهوديًا ومسلمًا.

في نوفمبر ١٩٤٨ وبعد أشهر قليلة من أحداث الشغب، ذكر القنصل الأمريكي في طرابلس أوراي تافت جونيور: أن «هناك سببًا يدعو إلى الاعتقاد بأن الطائفة اليهودية أصبحت أكثر عدوانية نتيجة الانتصارات اليهودية في فلسطين. هناك أيضًا سبب للاعتقاد بأن الطائفة هنا تلقت تعليمات وتوجيهات من «دولة» إسرائيل... يُبلغني الآن كل من القادة اليهود والعرب أن العلاقات باتت سيئة مما كانت عليه منذ عدة سنوات».

وكما في كل البلدان المستعمرة، كان لسياسات سلطات الاستعمار دور بارز في تغيير الاتجاهات وإتاحة الفرصة لتكوين الأفكار الجديدة. وهكذا، كان عام ١٩٣٨ عامًا فاصلاً بالنسبة لليهود الليبيين، عندما فرضت القوانين العنصرية ضد اليهود في إيطاليا، فاستغل المندوبون الصهاينة هذا لترويج إشاعات القلق والتخويف وضرورة البحث عن مهرب، وهكذا بالترافق مع سقوط النموذج الفرنسي، وفشل أفكار «كل شعب إسرائيل أصدقاء» و«الأليانس»، انتقل يهود ليبيا إلى التقرب من الحركة الصهيونية كونها الوحيدة التي قدّمت لهم حلًا لمعضلة وجودهم القلق⁽⁵²⁰⁾. وتأثر يهود ليبيا بدعاية وأفكار منظمات صهيونية نشطت في البلاد، مثل: اتحاد «بن يهودا»، ومنظمة «نوار»، ومنظمة شباب «هاحالوتز»، ومجموعة «مكابي هتسعير».

غادرت الطائفة اليهودية ليبيا إلى إيطاليا وإسرائيل ودول أخرى، على مراحل مختلفة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ إثر الحروب العربية - الإسرائيلية.

وتشير وثائق الدولة الليبية إلى أن آخر يهودي معروف فيها توفي عام ٢٠٠٢، واسمه أسميرالدا مجيناجي؛ وبالتالي لم يعد هناك يهود يعيشون في البلاد⁽⁵²¹⁾.

كما تشير الوثائق الليبية، إلى أن عدد اليهود في ليبيا لم يكن كبيرًا؛ إذ قدرته إحصاءات رسمية بنحو ٣٨ ألفًا عام ١٩٦٤، والغالبية كانت تقطن في ولاية طرابلس، باستثناء عدد قليل ممن كانوا يعملون بالأعمال اليدوية كالنجارة وتحضير الأطعمة والخمور، ومعظمهم من التجار وأصحاب المحال التجارية ومعتمدي الوكالات والعمولات التجارية. وكان معظم يهود ليبيا ينتمون إلى الطبقتين المتوسطة والفقيرة، وعاشت أعداد كبيرة منهم على تبرعات أثرياء الطائفة.

وتتصف المصادر اليهود الليبيين في ذلك الوقت، بأنهم لم يكونوا منفتحين بمدارسهم وأماكن عبادتهم مثل الطائفة اليهودية في تونس ومصر والمغرب؛ بل كانوا منغلقيين على أنفسهم، ومع بداية الاحتلال الإيطالي لليبيا عام ١٩١١ تمكنوا من بناء مدارسهم وأماكن العبادة الخاصة بهم. على العكس من موقف اليهود الإيطاليين والأوروبيين عموماً، والذين كانوا يعيشون في ليبيا، فإنه كان واضحاً أن اليهود الليبيين لم يشتركوا في عمليات التمهيد للغزو الإيطالي لليبيا، ولم يساهموا في عمليات الغزو العسكري، وإن كانت بعض التقارير تشير إلى أن التجار منهم اقتصر دورهم على بيع المواد الغذائية والاستهلاكية للجنود الإيطاليين كنوع من الاستفادة المادية⁽⁵²²⁾، وإن كان هذا لا يعني أن التجار الليبيين أنفسهم لم يتورطوا في هذا الأمر الذي تتجنبه المصادر ذات الطابع الوطني على الأغلب.

ولكن بما يخص اليهود، فإنهم، على الأرجح، لم يتأثروا بالدعاية الإيطالية لأسباب كثيرة أبرزها ارتباطهم القوي بالمجتمع المحلي اجتماعياً واقتصادياً، وابتعادهم عن مجريات الأمور السياسية كما هي حال المجتمعات المنغلقة عموماً، واليهودية على وجه الخصوص، وولاء بعضهم للحكم العثماني، إضافة إلى خوفهم من انقلاب العثمانيين والعرب عليهم، وهذا لا يلغي التاريخ الطويل من المشاحنات بين المسلمين واليهود؛ نتيجة امتناع الأخيرين عن المشاركة في المقاومة ومساندة جزء كبير منهم لاحقاً للإيطاليين، وتقربهم منهم. ولعل هذا يمكن فهمه استناداً إلى (وضعية الحافة)، وبتحليل السياسة الاستعمارية القائمة على التفريق بين السكان المحليين، ومنح الامتيازات لفئة دون أخرى لاعتبارات خاصة بها⁽⁵²³⁾. يسعى قادة الحركة الصهيونية في ليبيا إلى السيطرة على مؤسسات الطائفة، لكنهم لم ينجحوا في مسعاهم إلا بعد سقوط ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي، ثم حظي يهود ليبيا بدعم يهود إيطاليا، في الوقت الذي بدأت فيه المنظمات الصهيونية في التغلغل داخل المجتمع الليبي، وخاصة الطائفة اليهودية.



عائلة من يهود ليبيا

ويرجع الفضل في تأسيس أول رابطة صهيونية في طرابلس (وهي «رابطة صهيون») إلى المصور اليهودي إياهو نحمياس، وهو مصور صحفي عمل لصالح صحيفة «يسرائيل» (إسرائيل) الصادرة في برنتسا الإيطالية⁽⁵²⁴⁾، وإن كان الاهتمام الصهيوني بليبيا يعود إلى وقت مبكر أثناء التفكير والسعي لتنفيذ «مشروع برقة» لإقامة دولة يهودية هناك. عملياً، بداية دخول الصهيونية إلى ليبيا كانت مع القوات اليهودية المدمجة في الجيش البريطاني، خلال عامي ١٩٤١ - ١٩٤٢، إلى إقليم برقة حيث اختلطوا باليهود المحليين، وتزوج بعض أفرادهم من يهوديات ليبيا، وقامت هذه القوات بدور تعليمي وثقافي وديني في درنة وبنغازي.

وافق بينيتو موسوليني عند زيارته لليبيا في عام ١٩٣٧ على الالتقاء بمندوب الطائفة اليهودية، وذكر موسوليني عند التقائه بكبير الحاخامات ألدو لاتيس Aldo Lattis أنه بمقدور يهود ليبيا العيش في هدوء، وأن الحكومة الفاشية ستحترم تقاليدهم، فألغيت في هذا العام كل العقوبات المفروضة على التجار اليهود من قبل الحاكم بالبو؛ مما ساعد كبير الحاخامات على حل بعض المشكلات الاجتماعية التي واجهها سكان المجتمع اليهودي⁽⁵²⁵⁾.

ورغم اشتغال نحو ٨٠٪ من يهود ليبيا بالتجارة، فإنه لوحظ قلة الكوادر المتخصصة. ويفيد على سبيل المثال الإحصاء الذي أجري في العام ١٩٣٦ أنه لم يكن يوجد في أوساط يهود طرابلس

سوى مهندس معماري واحد، ومهندس، وطبيب، ومدرسين ومائة وعشرين موظفًا (526).

وتؤكد الوثائق أن قرار مغادرة ليبيا على عجل اتخذه زعماء الجالية اليهودية؛ إذ لم تطردهم الحكومة الليبية، حيث جاءت الخطوة الرسمية الأولى من ليلو أربيب زعيم الطائفة آنذاك في ١٧ يونيو ١٩٦٧ بعد الحرب العربية - الإسرائيلية المشهورة في الأدبيات السياسية العربية بمسمى «النكسة»، فقد بعث برسالة إلى رئيس الوزراء الليبي طلب فيها «السماح بالسفر لليهود الراغبين في مغادرة البلاد، حتى تهدأ الأمور ويتفهم الشعب الليبي وضعية اليهود» (527).

وافقت الحكومة على ذلك بسرعة، وبدأت دائرة الهجرة أعمالها، وحضرت الوثائق المتعلقة بالسفر، وعُرفت تلك الحادثة ليبيًا باسم هجرة اليهود التي خرجوا فيها من البلاد عن بكرة أبيهم تقريبًا ولم يرجعوا إليها أبدًا.

في المقابل، أثار التلفزيون الرسمي الإسرائيلي تلك القضية في تقرير له عام ٢٠١٧ بعنوان: «ذكرى الخروج الكبير من ليبيا»، وتناقلته وسائل إعلام ليبية، ووردت فيه تصريحات لشخص يدعى بوقويطة، قال: إنه من زعماء اليهود الليبيين، موضحًا أن تظاهرات نوفمبر ١٩٤٥ «خرجت احتجاجًا على وعد بلفور، التي شهدت صدامًا بين المسلمين واليهود في ليبيا، ولعب ذلك دورًا حاسمًا في إخراج اليهود من ليبيا»، مشيرًا إلى أن عددهم كان ٥٠ ألفًا تقريبًا.

وأضاف: «هؤلاء الليبيون تركوا البلد نهائيًا بعد حرب ١٩٦٧، عندما كان يبلغ من العمر ١٢ عامًا، وكان ضمن آخر فوج توجه إلى إيطاليا»، ووصف بوقويطة يهود ليبيا في ذلك الوقت بأنهم «كانوا من أكثر النشطاء نجاحًا اقتصاديًا، ويعتبرون الآن من أكثر اليهود غنى في العالم».

في المقابل، يقول أستاذ التاريخ في جامعة البيضاء الليبية أحمد البرعصي عن تاريخ الطائفة اليهودية في ليبيا: «حقيقة أن تاريخ وجود اليهود في ليبيا قديم، قدم وجودهم في شمال إفريقيا كلها، وكان لهم دور كبير في توسعة النشاط الاقتصادي وتطويره في البلاد لاشتهارهم بالمهارة في الأعمال التجارية وتاريخ البلاد بشكل عام». ويضيف البرعصي «لكن الحقيقة أن التاريخ في بعض الحالات صعب أن يعيد نفسه، لتغير السياقات وتبدل الظروف» (528).

ويرى أن عودة اليهود إلى المشهد الليبي حاليًا مريبك ومضاره أكثر من منافعه؛ «إذ سيجدون أنفسهم في حاضنة طاردة أكثر مما كانت عليه وقت مغادرتهم للبلاد، صعب بل ومستحيل عودة اليهود لليبيا حاليًا وربما حتى مستقبلًا، لقد تجاوز الزمن هذه النقطة وتغيرت الظروف، بشكل يجعل العودة إليها ضربًا من الجنون» (529).

منذ مغادرة اليهود البلاد عام ١٩٦٧، أُقفل تمامًا ملف عودتهم لها ولم يُفتح إلا في السنوات العشر الأخيرة لحكم معمر القذافي للبلاد، عندما استخدم ورقة اليهود الليبيين على طاولة مفاوضاته مع الغرب، في إطار مساعيه لرفع العزلة المفروضة عليه دوليًا والانفتاح على العالم، عقب سقوط نظام صدام حسين في العراق عام ٢٠٠٣.

بدأت خطوات القذافي للتقارب والتواصل مع طائفة اليهود الليبيين سريةً، قبل أن يعلن عنها بشكل رسمي في لقاء بث على التلفزيون الليبي الرسمي عام ٢٠٠٥ جمعه بعائلات يهودية من أصل ليبي في روما.

ونشرت مصادر صحفية ليبية بعد لقاء سلامة ولوزون وثائق تتعلق باليهود المنحدرين من أصول ليبية، ممن غادروا الدولة في فترة الستينيات وما قبلها نتيجة الاضطرابات والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وغيرها من القضايا، التي انتهت بهم إلى المغادرة.

وتعود هذه الوثائق التي نسبت لمصدر دبلوماسي رفيع إلى عام ٢٠٠٤، وهي عبارة عن محضر اجتماع تشكيل «الهيئة اليهودية الليبية» التي تمثل اليهود المنحدرين من أصول ليبية في إيطاليا.

وتشكّلت هذه الهيئة وقتها برئاسة اليهودي الليبي الأصل إيمانويلي دي بورتو، وكانت هي المفاوضات الأساسية بين اليهود والنظام السابق في ليبيا، كما كانت مخولة بذلك من طرف المؤتمر العالمي اليهودي وفيدرالية اليهود الشرقيين.

وتشير الوثيقة إلى أن يهودياً من أصل ليبي يدعى شالوم تيشوبا، هو من كان يزور طرابلس للاجتماع مع لجنة رفيعة مكلفة وممثلة للنظام السابق، وكان الطرفان يتفاوضان حينها على القضايا العالقة ومنها ملف التعويضات والعودة.

وكانت الدولة الليبية السابقة قد أعدت بعض الملفات المعنية بهذه القضية؛ بناءً على تفاوضها مع هذه الهيئة اليهودية الممثلة لبقية اليهود الليبيين من خلال شالوم تيشوبا، الذي تردد على ليبيا كثيراً، وفتح الباب ليهود ليبيا آخرين لزيارتها عبر مطار طرابلس في تلك الفترة، كما نسق للقاء بينهم وبين معمر القذافي في روما للحديث في هذه المسائل.

لم يُعرف المصير النهائي لهذه المفاوضات التي تقول مصادر ليبية: إنها أفضت إلى تعويض العائلات اليهودية التي غادرت ليبيا عن ممتلكاتهم التي تركوها خلفهم في مرحلة الهجرة.

وثارت قضية عودة الطائفة اليهودية إلى ليبيا مبكراً عقب ثورة فبراير ٢٠١١، وبعد شهرين فقط من سقوط نظام القذافي في طرابلس، وقبل أيام من مقتله في مسقط رأسه مدينة سرت، دخل أول المنفيين اليهود من ليبيا البلاد في زيارة قوبلت باستهجان شعبي كبير.

ففي الأول من أكتوبر ٢٠١١، زار الليبي اليهودي دافيد جربي طرابلس، بعد ٤٤ عاماً من مغادرته، وذهب إلى معبد دار بيشي اليهودي بالمدينة القديمة في العاصمة الليبية، حيث حطم الجدار الذي يسد المدخل الخارجي للمعبد. وأشار جربي وقتها إلى أن «اليهود جزء من المجتمع الليبي، وأن صيانة معبد «دار بيشي فرصة لعودة اليهود الليبيين إلى ليبيا»⁽⁵³⁰⁾.

لكن الحملة الكبيرة التي شنت على الزيارة أوقفت الملف نهائياً لسنوات قبل أن يظهر رئيس الطائفة اليهودية الليبية رفائيل لوزون على مسرح الأحداث في عام ٢٠١٤ حاملاً لواء عودة اليهود

إلى ليبيا، ومنذ ذلك الحين وهو مستمر في إثارة الجدل والخلاف بين الليبيين حول هذه القضية. اللافت للانتباه، أنه كان من ضمن مخططات اليهود إقامة وطن قومي في ليبيا في الجبل الأخضر، وكان هذا الاقتراح جاء من منظمة الأراضي اليهودية بلندن التي يترأسها إسرائيل زانغويل ويقترح عليهم فكرته ويحدد لهم منطقة «الجبل الأخضر» في برقة بالذات، كما يتبين من المقدمة التاريخية والسياسية التي كتبها إسرائيل زانغويل في الكتاب الذي تضمن تقارير البعثة التي أرسلتها «منظمة الأراضي اليهودية» لفحص المنطقة المقترحة لتوطين اليهود في برقة، وهو ما صار يُعرف بـ«الكتاب الأزرق»⁽⁵³¹⁾.

وبناءً على ما تقدّم به السير هاري جوهانستن وما كتبه ناحوم سلاوش، أرسلت «منظمة الأراضي اليهودية» في الخامس من شهر يوليو عام ١٩٠٨ بعثة علمية إلى مدينة طرابلس، ومنها إلى منطقة الجبل الأخضر لدراسة إمكانية تحقيق هذه الفكرة. وقد أوكلت رئاسة البعثة إلى «جي جريجوري» أستاذ الجيولوجيا بجامعة غلاسغو البريطانية. وتضمنت فريقاً من كبار المتخصصين في مجالات الزراعة والهندسة والموارد الطبيعية، وطبيباً هو الدكتور «م. كيدر» الذي درس الأحوال الصحية في برقة وبالأخص بالجبل الأخضر وأعد التقرير الصحي، بالإضافة إلى ناحوم سلاوش، لسابق خبرته بالموضوع ولتوضيح أهداف البعثة لرجب باشا وإبعاد أي شك يثيره مجيء البعثة عند أهل البلاد.

جاء في مقدمة تقرير البعثة أن «المنظمة» قبل أن ترسل بعثتها إلى الجبل الأخضر ببرقة طلبت من اللجنة الجغرافية التابعة لها عمل الدراسات اللازمة للتحقق من إمكانية الاستفادة من الجبل الأخضر كوطن قومي لليهود. أمضت هذه اللجنة مدة عامين في الدراسات الأولية في هذا الخصوص، وكان من بين أعضائها «أوسكار سترأوس»، الذي اعترف منذ البداية بأن برقة لم تكن معروفة لديه. وقد علق إسرائيل زانغويل على ذلك بقوله: إن برقة لم تكن بعيدة عن روسيا ورومانيا، حيث كان اليهود هناك يعانون الكثير من الاضطهاد. وبالإضافة إلى موقع الجبل الأخضر وبرقة بصفة عامة كان جغرافياً بالنسبة إلى روسيا ورومانيا، فهي ليست بعيدة عن فلسطين حيث تتجه قلوب اليهود.

ويذهب إسرائيل زانغويل إلى حد القول بأن برقة تفضل فلسطين نفسها في تحقيق الموطن القومي لليهود؛ لأنها غير مقدسة عند المسلمين والمسيحيين، كما هي الحال بالنسبة لفلسطين التي تتنافس في تقديسها الأديان السماوية الثلاثة. وفي فلسطين تتنافس الفرق اليهودية الكثيرة؛ الشيء الذي لم تكن تعرفه برقة. وفي رأيه أيضاً أن اختيار برقة يفضل اختيار فلسطين من حيث قلة السكان الأصليين؛ الأمر الذي يسمح باستيعاب عدد أكبر مما تستوعبه فلسطين من اليهود اللاجئين. وليبيا بمساحتها الكبيرة لم تكن تضم إلا مليوناً من السكان أو نحو ذلك؛ مما يساعد على غلبة النفوذ اليهودي وضمان تفوقه بطريقة سهلة نسبياً باتباع سياسة تشجيع هجرة اليهود إلى ليبيا بثبات

ومثابرة. وبالرغم من أن رجب باشا لم يقدم المشروع اليهودي رسميًا إلى حكومته في إسطنبول، فإن المنظمة اليهودية اعتبرت ما أبداه من حماسة للفكرة بادرة طيبة من حكومة تركيا؛ لأنها رأت أنه بحكم رئاسته للقوات التركية في إفريقيا قد تحسّل تقريبًا على كل سلطات نائب السلطان في البلاد.

كان يسرائيل زانغويل، يرى ضرورة الاستفادة من حماسة حكومة الولاية لفكرة المشروع اليهودي والبدء في المفاوضات المباشرة مع حكومة الباب العالي في إسطنبول من دون أي تأخير. وبينما كانت تجري الاستعدادات اللازمة لإرسال البعثة إلى الجبل الأخضر، بادر بالاتصال بصديقه «ارمينيوس فامبري»، بجامعة بودابست، وكان ارمينيوس فامبري اليهودي في عقيدته الدينية أبا روحياً لجماعة «تركيا الفتاة»، وصديقاً شخصياً للسلطان عبدالحميد في الوقت نفسه، ليطلعه على المشروع اليهودي في الجبل الأخضر ويعرف رأيه فيه. وجاء رد فامبري سريعاً بالموافقة، مؤكداً احتمال قبول السلطان للمشروع، وأظهر استعداداه للذهاب شخصياً إلى إسطنبول إذا لزم الأمر لمعالجة المسألة بنفسه.

لم يكتفِ ارمينيوس فامبري بالرد على رسالة يسرائيل زانغويل وإبداء وجهة نظره في المشروع؛ بل أرسله إلى السلطان عبدالحميد الثاني عن طريق سكرتيره الأول تحسين باشا. ولما لم يُبدِ السلطان ما يُشتم منه عدم رضاه على المشروع، طلب فامبري من صديقه زانغويل أن يكتب بنفسه إلى السلطان، مؤكداً له أن السلطان سيرد عليه بسرعة. وأعد ارمينيوس فامبري خطاب التقديم باللغة التركية إلى تحسين باشا، وقبل أن يرسل زانغويل الرسالة إلى السكرتير الأول للسلطان عرض مسودتها على ارمينيوس فامبري الذي اعتبرها وافية بالغرض حتى أنه لم يغيّر فيها أي كلمة، وتضمنت الرسالة بيانات بمطالب «منظمة الأراضي اليهودية» في برقة على أساس الحكم الذاتي للمهاجرين اليهود.

وصل أعضاء البعثة إلى مدينة طرابلس يوم الخميس ١٦ يوليو ١٩٠٨، حيث قام القنصل العام البريطاني بتقديمهم إلى الوالي رجب باشا، ثم عادوا بصحبة ناحوم سلاوش لمقابلة الوالي مقابلة خاصة طويلة في اليوم التالي، ثم تركت البعثة مدينة طرابلس يوم الاثنين ٢٠ يوليو متجهة إلى بنغازي، ومنها أبحرت إلى مدينة درنة حيث قدّمهم يعقوب كريجر إلى القائد العسكري الذي سلموه خطابات من رجب باشا، وقدّم القائد العسكري كل مساعدة لأعضاء البعثة وزوّدهم بحراس من الجنود الأتراك والجنדרمة، كما زوّدهم بخطابات إلى القادة العسكريين في المرج و«مرسى سوسة»، وأمدّهم بمعلومات عن موارد المياه والزراعة في المنطقة. بقيت البعثة في مدينة درنة من ٢٤ - ٢٧ يوليو اختبر فيها أعضاؤها المورد المائي للمدينة، وعيون الماء الموجودة في وادي «درنة» وزيارة بساتينها والحقول المجاورة لها، ثم تركوها في قافلة توجهت بهم إلى عين شحات (قورينا) المعروفة بعين أبوللو والمشهورة بمياهها العذبة. ومنها انقسم أعضاء البعثة إلى فريقين

بحسب تخصصاتهم لإجراء الاختبارات في مناطق مختلفة منها زاوية البيضاء ومنحدرات اسلنطة وبلدة مسة والمرج والسهول الواسعة في تلك المنطقة، ثم انحدرت القافلة إلى بلدة ظلميثة على الساحل ومنها إلى بنغازي، ومن هناك عادت البعثة عن طريق طرابلس إلى جزيرة مالطا، حتى وصلت لندن في السادس والعشرين من شهر أغسطس ١٩٠٨.

في هذه الأثناء، وبينما كان يسرائيل زانغويل يستعد لإرسال رسالته إلى تحسين باشا، جاءت الأخبار بوقوع الانقلاب العثماني في إسطنبول وخلع السلطان عبدالحميد الثاني. وكان من نتيجة هذا الانقلاب أن أصبح تحسين باشا لاجئاً سياسياً.

وهكذا تضافرت عوامل عدة لتسهم في فشل هذا المخطط أهمها هيمنة المنظمات الصهيونية المصرية على استعمار فلسطين من دون غيرها على بقية المنظمات، وكذلك الغزو الإيطالي الذي اجتاح ليبيا في عام ١٩١١.

يشكّل اليهود المغاربة مجتمعًا له جذوره الراسخة في المغرب. في المملكة المغربية، كما في غيرها من الدول المغاربية، من ليبيا حتى موريتانيا، وتعود جذور الطوائف اليهودية الأولى بشكل موثّق نسبيًا إلى العهد الروماني قبل نحو ٢٠٠٠ عام، حيث تعايشوا مع سكان البلاد الأصليين من الأمازيغ. ويشير حاييم الزعفراني إلى آراء بعض المؤرخين الذين تحدّثوا عن طائفة يهودية كانت تعيش في مدينة ويلي في العهد الروماني. ويظهر أن المستعمرة اليهودية ظلت في ويلي إلى أن ورد العرب على المغرب. وقد أشار المؤرخون العرب أنفسهم إلى وجود قبائل بربرية متهودة في زرهون، غير بعيد عن هذا المكان، أيام تأسيس مدينة فاس عام ٨٠٨ (532).



لافتة على مدخل كنيس ابن دنان الذي بناه السلطان الرشيد بن علي الشريف عام ١٦٦٦

عاش اليهود بشكل طبيعي في المنطقة، لا سيما في الأقاليم الداخلية والصحراوية، بعيدًا عن السلطات المركزية الرومانية، ثم البيزنطية في الشمال، كغيرهم من سكانها آنذاك المتنوعي الأصول والجذور الذين غلبت عليهم تسمية «البربر».

مع وصول إدريس الأول إلى بلاد المغرب الأقصى عام ٧٨٨م فأرًا من الخلافة العباسية، دشنت البلاد صفحة جديدة عنوانها الأبرز «الإسلام»، وجد إدريس الأول مجموعة قبائل مسيحية ويهودية ووثنية، لم تتغير أوضاع اليهود خلال هذه الفترة وظلوا يسكنون داخل أسوار المدينة العتيقة لفاس حتى عهد الدولة المرينية (١٢٤٤م / ١٤٦٥م).

تحت سلطة الأدارسة في القرن التاسع، كانت حالة اليهود متقلبة، باعتبار أن مؤسس السلالة، إدريس بن عبدالله، كان قاسيًا تجاه اليهود، لكن ابنه استقبلهم بالترحاب، ودعاهم إلى الاستقرار في مدينة فاس، التي كانت قد أنشئت قبل سنوات معدودة، فأضحت المدينة مركزًا للحضارتين الإسلامية واليهودية على حد سواء.

يشهد ابن خلدون وابن الكلبى على أن المسلمين الرواد في المنطقة المغاربية وجدوا تجمعات للديانة اليهودية. وقال ابن خلدون إن عددًا من قبائل البربر في حد ذاتها قد تكون دانت

باليهودية⁽⁵³³⁾، وأصبح بالتالي مصدر كل من يتحدث عن إمكانية «تهوّد» بعض البربر، أو «تبرير» بعض اليهود على غرار المؤرخ المغربي اليهودي، حاييم الزعفراني، والمؤرخ كاهن وهيرشبيرغ، والحاخام إيزنبت، وأندري شورافي.

وعندما جاء الإسلام، أعاد تنظيم حياة الطائفة اليهودية وفقاً لقواعد العيش التي أقرتها الديانة الجديدة آنذاك، وتبين لاحقاً أنها وفرت لليهود الإطار الذي يعتبره الكثير من الخبراء، بمن فيهم اليهود ذاتهم، الأرقى تاريخياً إلى غاية ذلك الوقت، والذي وفر لهم فرصة ازدهار غير مسبوق في العلوم والفنون والسياسة والاقتصاد وفن العيش، وحتى في الجوانب الدينية الروحية. فالكل يعرف أن المغرب الإسلامي والأندلس أنجب العلماء والمفكرين الموسويين اللامعين، مثل: موسى بن ميمون، ويهوذا اللاوي، وابن جبرول، ويهوذا بن قريش التاهرتي، والسياسي الغرناطي يوسف بن النغريلة، وأيضاً صموئيل بن النغريلة. وكان المغرب الذي نعرفه اليوم جزءاً من كل هذا المجال الحضاري الإسلامي الغربي.

وعندما انهار حُكم المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية، في الأندلس، غادرت غالبية يهود هذه البلاد، حسب المستطاع، إلى المنطقة المغاربية مع المسلمين ليستقروا فيها نهائياً، بما في ذلك مدن فاس ومكناس وسجلماسة وسلا والصويرة وغيرها من المدن والقرى المغربية. وكان عدد هؤلاء، اللاجئين والمهاجرين والمطرودين قسرياً، كبيراً إلى حد أنهم فاقوا على الطوائف المغربية عدداً ورزقاً وثقافة⁽⁵³⁴⁾، حتى أصبحت الديانة اليهودية في المغرب، كما في الجزائر وتونس وليبيا، تغطي عليها الثقافة اليهودية الأندلسية، أو ما يُعرف في الغرب إلى اليوم ولدى اليهود بالثقافة «السفاردية».

بعد فرار عدد كبير من يهود الأندلس إلى المغرب واستقرارهم بها، ظهرت حالة من عدم التجانس بين اليهود المحليين والوافدين الذين حملوا معهم لغتهم القشتالية، وعلومهم الدينية، ومؤسساتهم الاجتماعية، وعاداتهم وتقاليدهم، المختلفة تماماً عن اليهود المحليين؛ ما ولد صراعاً قوياً بين الطرفين، حتى أن اليهود السفارد الوافدين إلى المغرب كانوا يشيرون إلى اليهود الأصليين على أنهم «توشافيم»؛ أي سكان أصليون أو محليون، وهي عبارة تحمل بعض الإيحاءات القذحية. وكان اليهود الأصليون يشيرون بدورهم إلى الوافدين باعتبارهم «ميغوراشيم»؛ أي المنفيين أو المنبوذين. انتهى الأمر لمصلحة «الميغوراشيم» الذين فرضوا تصورهم الديني والدنيوي على باقي بني طائفهم⁽⁵³⁵⁾.

ديموغرافياً وجغرافياً، استقر يهود المغرب في المدن مثل: فاس، ومكناس، ومراكش، كما استوطنوا الموانئ مثل: الرباط، وسلا، وتطوان، وطنجة، والعرائش، وآسفي، ثم الجديدة والصويرة، كما استوطنوا بعض المدن الثانوية التي عملوا بها في التجارة، مثل: صفرو، وديدو، وتارودانت. كما سكن بعض يهود المغرب مناطق السوس والأطلس وهؤلاء عملوا في النشاط

الزراعي (536).

في مختلف البلاطات المغربية، شغل الكثير من الأعيان اليهود وظائف الترجمة والدبلوماسية، وكانوا تجار سلاطين البلاد، وكانوا أيضًا قادة سياسيين وعسكريين على غرار أبراهام زميرو، الذي كان ضمن القوات المغربية في حصارها لعاصمة الزيانيين في تلمسان شمال غربي الجزائر. خلال القرون التالية، عاش يهود المغرب في انسجام مع جميع المكونات السكانية لمختلف الممالك والإمارات، إلى أن جاءت الحقبة الاستعمارية التي تسببت في اختلالات للعلاقات من حين لآخر، لعدة أسباب من بينها استقطاب المحتلين لبعض العناصر اليهودية وتوظيفها في صراعتها ضد أهالي البلاد.

قبل قيام دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨، كان هناك ما يقرب من ٢٥٠.٠٠٠ إلى ٣٥٠.٠٠٠ يهودي (537) في البلاد؛ مما جعل المغرب صاحب أكبر جالية يهودية في العالم الإسلامي، ولكن بحلول عام ٢٠١٧ لم يبقَ منهم سوى ٢٠٠٠ أو نحو ذلك (538). كان اليهود في المغرب، وهم في الأصل من المتحدثين باللغات الأمازيغية، والعربية اليهودية المغربية، أو الإسبانية اليهودية، أول من تبني اللغة الفرنسية في البلاد في منتصف القرن التاسع عشر، وعلى عكس السكان المسلمين؛ ما زالت الفرنسية هي اللغة الرئيسية (وفي كثير من الحالات، اللغة الحصرية) لأفراد الجالية اليهودية هناك (539).

لم يأت القرن التاسع عشر، الذي أتى بالتححر لليهود في الكثير من البلدان، بأي تغيير بالنسبة لوضع اليهود المغاربة؛ بل إنه أنتج انقسامات جديدة بينهم، وأحدث مصادر جديدة للمتاعب. ففي منتصف القرن التاسع عشر؛ أدى التطور التجاري والتغلغل الاقتصادي الأوروبي إلى ازدهار التجار اليهود في موانئ شمال المغرب، ولكن هذا كلف الكثير من اليهود في الداخل سبل عيشهم التقليدية (540)، حيث أدت الواردات الصناعية من أوروبا إلى إخراج الحرف اليهودية التقليدية من السوق (541)؛ ونتيجة لذلك، بدأ يهود المغرب بالهجرة من الداخل إلى المدن الساحلية مثل: الصويرة، ومزاغان، وآسفي، ثم الدار البيضاء لاحقًا بحثًا عن فرص اقتصادية، والمشاركة في التجارة مع الأوروبيين وتطوير تلك المدن (542). كافح بعض المهاجرين الفقراء بالجوء إلى الملاحات (الأحياء اليهودية) الحضرية المكتظة بالسكان من أجل ضمان قوتهم اليومي (543) كأصحاب دكاكين، أو بائعين جائلين، أو حرفيين، أو متسولين (544).

كما أدى عدم الاستقرار والانقسامات التي عرفها المغرب إلى تأجيج الصراعات، التي كان لليهود نصيب منها. جلبت الحرب الفرنسية المغربية الأولى عام ١٨٤٤ بؤسًا جديدًا وسوء معاملة لليهود المغاربة، ولا سيما يهود موكادور (المعروفة باسم الصويرة) (545). وعندما اندلعت الحرب الإسبانية المغربية في ٢٢ سبتمبر ١٨٥٩، طُرد اليهود من ملاح تطوان، وفرَّ الكثير منهم إلى قادس وجبل طارق (546) طلبًا للجوء (547).

حظيت واقعة معركة تطوان عام ١٨٦٠ بتغطية الصحافة اليهودية الأوروبية؛ مما نتج عنه جهد دولي أُطلق عليه «صندوق الإغاثة المغربي»⁽⁵⁴⁸⁾. كانت أوضاع يهود المغرب أحد الدوافع الرئيسية لتأسيس التحالف الإسرائيلي العالمي (AIU) عام ١٨٦٠، وهي منظمة فرنسية، يطلق عليها بالعربية أيضًا «الأليانس»، أو «الاتحاد الإسرائيلي العالمي».

عملت المنظمة كحركة تبشيرية يهودية سعت إلى «تحديث» ممارسات يهود شمال إفريقيا⁽⁵⁴⁹⁾. وقد كان المغرب أحد البلدان التي كانت فيها المنظمة أكثر نشاطًا؛ حيث افتتحت أول مدرسة لها في تطوان عام ١٨٦٢، تلتها مدارس في كل من طنجة (١٨٦٤)، والصويرة (١٨٦٦)، وآسفي (١٨٦٧)⁽⁵⁵⁰⁾. في النهاية، أصبح لديها ٨٣ مدرسة في المغرب؛ أي أكثر من بقية مدارسها الأخرى في العالم مجتمعة⁽⁵⁵¹⁾. بمرور الوقت، ارتبطت المنظمة في المغرب ارتباطًا وثيقًا بالتأثير الاستعماري الفرنسي⁽⁵⁵²⁾؛ إذ أشار أحد الأمناء العاميين المساعدين لاحقًا إلى أن «علاقتها الوثيقة والعضوية مع وزارة الخارجية الفرنسية كانت سرًا مفتوحًا»⁽⁵⁵³⁾.

في حين فشل التحالف الإسرائيلي العالمي AIU في تحقيق الكثير في مجال زيادة المكانة السياسية لليهود المغاربة، فقد نجح في إعطاء أقلية كبيرة منهم تعليمًا حديثًا باللغة الفرنسية وفي إدخالهم في الثقافة الفرنسية. وشمل ذلك تحولًا في الأعراف الجنسانية والجنسية للكثير من اليهود المغاربة؛ إذ إنه لقرون عديدة، كان اليهود والمسلمون المغاربة يتشاركون عادات مثل تعدد الزوجات، وعدم الاختلاط بين الجنسين، والأعمار المبكرة لزواج الإناث، والتسامح مع حب الرجال للشباب الذكور على عكس كل من التعاليم اليهودية والإسلامية⁽⁵⁵⁴⁾.

شرع التحالف الإسرائيلي العالمي في إضفاء الطابع الأوروبي على أنماط زواج اليهود المغاربة، وأشكال الأسرة، ومكافحة الدعارة، والقضاء على غطاء الرأس التقليدي للنساء اليهوديات، وكبح ما رأى أنه اختلاط الرجال اليهود والميول الجنسية المثلية⁽⁵⁵⁵⁾. تطلبت هذه التغييرات، على حد تعبير أحد العاملين في التحالف الإسرائيلي العالمي في طنجة عام ١٩٠١، العمل على «انفصال الأعراف اليهودية عن الروح الإسلامية»⁽⁵⁵⁶⁾ - مما ساعد، مثل باقي أنشطة الاتحاد عمومًا، على زيادة الهوية بين اليهود المغاربة والهوية الوطنية المغربية الناشئة حينذاك.

أسس أبراهام ليفي كوهين أول صحيفة فرنكوفونية في المغرب، Le Reveil du Maroc، في عام ١٨٨٣ لنشر اللغة والثقافة الفرنسية بين إخوانه في الدين⁽⁵⁵⁷⁾. وأدى الانتشار المتزايد واستخدام يهود شمال إفريقيا للفرنسية إلى استبدال اللغات اليهودية العربية في شمال إفريقيا بالفرنسية⁽⁵⁵⁸⁾.

وكان البحث عن الثروة، والأمل في أمنٍ أكثر، وتحرر اجتماعي أكبر، يقود مئات من اليهود المغاربة خلال القرن التاسع عشر، إلى أن يهاجروا، وأن يُدرجوا على خرائط ترحالهم - بجانب وجهتهم التقليدية وهي القدس وطبريا - أماكن أكثر بُعدًا مثل: الولايات المتحدة، والأرجنتين، والبرازيل، وبيرو⁽⁵⁵⁹⁾. خلال هذا القرن وحتى عام ١٩١٠، هاجرت حوالي ١.٠٠٠ عائلة يهودية

مغربيّة إلى الأمازون، في شمال البرازيل، خلال ازدهار المطاط(560).
وعملت جمعيّة لندن على التبشير بالمسيحيّة في صفوف اليهود المغاربة، وسعت إلى دفعهم
لاعتناق المسيحيّة خلال مجاعة ١٨٧٧ - ١٨٧٩(561).

في ظل الاستعمار الفرنسي، كان لليهود المغاربة تجربة مختلفة مع مهمّة التنقيف الفرنسيّة
مقارنة مع تجربة المسلمين المغاربة، ويرجع ذلك جزئيًّا إلى كون اليهود أكثر دراية بالأوروبيين؛
إذ لم تكن هناك جاليات مسلمة تأسست في أوروبا في ذلك الوقت(562).

ويمكننا القول بأن أول مؤشرات الانسلاخ اليهودي عن المجتمع المغربي المسلم جاءت مع
فرض فرنسا للحماية على المغرب الأقصى عام ١٩١٢م. كان يهود المغرب، شأنهم في ذلك شأن
معظم يهود العالم، يعيشون داخل «غيتوهات» منعزلة عن العالم الخارجي، ونقصد بالعالم
الخارجي المجتمع المغربي المسلم، وأيضًا العالم الذي يوجد خارج حدود هذه البلاد، وفي ذلك
أوروبا الغربيّة.

لكن مع بداية فصول مسلسل الاستعمار الفرنسي للمغرب، تمازج اليهود مع الأيديولوجيات
الغربيّة الأوروبيّة التي حاولت فرنسا فرضها داخل مستعمراتها، وجدت هذه الثقافة صدًى كبيرًا
داخل أوساط المجتمع اليهودي، حيث بدأ اليهود يستعملون اللغة الفرنسيّة كلغة للتخاطب بدلًا من
العربيّة، واعتبارها دليلًا على التحضر والرقي الاجتماعي خصوصًا في أوساط البورجوازية
اليهوديّة العلمانيّة، رغم معارضة أحبار اليهود من المحافظين الذين كانوا يعتبرون أن التحديث
وأسلوب الحياة الغربي ما هو إلا أولى خطوات اليهودي نحو الجحيم.

وبفضل هذا التماهي الكبير بين اليهود والثقافة الفرنسيّة الاستعمارية، تمكّن أبناء الطائفة من
الوصول للعديد من المناصب الإداريّة والتجاريّة، كما عززت فرنسا الاستعانة باليهود من خلال
استقطاب الأطر المحليّة التي كانت تتخرج في المدارس التي أسّسها الاتحاد العالمي الإسرائيلي،
والذي كان مقره في العاصمة الفرنسيّة باريس. واصل اليهود رغم بعض فتاوى تحريم المدارس
الحديثة الدفع بأبنائهم إلى التعليم الفرنسي، وهو ما جعل معدلات الأمية داخل الطائفة اليهوديّة أقل
بكثير عن جاريتها في البلاد، الطائفة المسلمة(563).

تخصص اليهود بشكل عام في مجال التجارة والأعمال، واستطاع الكثير منهم تحقيق ثروات
طائلة على الرغم من الأزمات التي عرفها المغرب خلال الاحتلال الفرنسي وخلال فترات
الحرب.

ويؤكد محمد كنيبي في كتابه «يهود المغرب (١٩١٢ - ١٩٤٨)» أنه إضافة إلى وظائف يهود
المغرب التقليديّة «في مجالات المال والمبادلات التجاريّة بمختلف أصنافها الداخليّة والخارجيّة، لا
سيما البحريّة منها، والحرف والمخاطبات في القطاع الفلاحي، وبموازاة معها تميزوا فعلاً
باندماجهم داخل المجتمع المغربي بصفتهم أحد مكوناته المتعددة»(564).

عمل اليهود المغاربة في الكثير من المهن، وقد كان تجار السلطان من الطبقة اليهودية البرجوازية بالذات، وتولوا إدارة أموال السلطنة في عملياتها مع العالم المسيحي، حيث لعبوا دور الوكيل والوسيط التجاري بين الدول الأوروبية والمغرب، كما منحتهم السلطات المحلية مسؤولية تسيير شؤون الضرائب والجمارك(565).

وتجب الملاحظة هنا أن تحسُن أوضاع البرجوازية اليهودية كان يقابله تدهور أوضاع غالبية المجتمع اليهودي، الذي لم يكن يتمتع طبعًا بعمومه بالنفوذ ذاته والقدرة على الوصول إلى المنافع المختلفة. وبعد عودة الأوضاع للتدهور في عهد محمد الرابع؛ نتيجة للاحتجاجات التي أبدتها شخصيات مغربية مهمة رأت في اعتماد السلطنة على اليهود تدهورًا في النظام، سعى اليهود للحصول على رعاية الدول الأوروبية؛ مما أثار غضب السلطات المحلية، وقد حصلوا على ذلك مثلًا في الاتفاقية المغربية - الإسبانية عام ١٨٦١، والتسوية المغربية - الفرنسية عام ١٨٦٣. وإذا كان مندوبو المغرب لم ينجحوا في إطار مؤتمر مدريد عام ١٨٨٠ في إقناع الدول الأوروبية بضرورة التقليل من عدد اليهود المتمتعين بالحماية، إلا أن المؤتمر وافق على طلب المغرب الداعي لتبني مفهوم المواطنة المغربية، وكانت هذه الحالة مدعاة هياج اليهود الذين لم يروا أفقًا للاندماج(566).

انقسم اليهود إلى فئتين، حيث تمتع عددٌ كبير منهم بالجنسية الفرنسية، وتحدثوا الفرنسية، والجزء الآخر حافظ على طبيعته العربية. وعندما شعر اليهود المتفرنسون بقرب استقلال المغرب، وأن الحماية الفرنسية ستُرفع عنهم، شد معظمهم الرحال إلى فرنسا، في حين بقيت الفئة الأخرى تبحث عن سبيل للنجاة، ووقعت في براثن الصهيونية.

ومن مظاهر التغيير التي طرأت على يهود المغرب، انتقال أنشطة اليهود الاقتصادية إلى المدن الساحلية التي أقام بها رجال الأعمال والقناصل الأوروبيون، ولم يعد لليهود أي وجود في المراكز الريفية التي كانوا يقيمون بها والواقعة على سهول جبال الأطلسي. ويُقدَّر البعض أن يهود المدن الساحلية في المغرب التي نذكر منها طنجة والصويرة وكازابلانكا شكَّلوا في عام ١٨٥٠ ما يتراوح بين ٢٥٪ و ٤٠٪ من التعداد الكلي لسكان هذه المدن الذي كان يُقدَّر -آنذاك - بمائة ألف نسمة، في حين كانت نسبتهم إلى مجمل سكان المغرب ٣٠٪، وارتفعت هذه النسبة في عقد السبعينيات من القرن التاسع عشر لتشكِّل ٥٥٪ من تعداد سكان المدن الساحلية الأخرى، مثل: تطوان، والرباط، وسلا، وفرجان، وأغادير، كما شكَّلوا نسبة ٦٥٪ في عام ١٩٠٠ من تعداد السكان. وعند النظر إلى تعداد اليهود الذين أقاموا في مدن: فاس، ومكناس، وصفرو، والعرايش، والمدن الأخرى، نجد أن يهود المغرب كانوا يقيمون في المدن أكثر من القرى(567).

وحرص القناصل ورجال الأعمال الأوروبيون على القرب إلى اليهود وإشراكهم في عملياتهم التجارية، فكان التجار اليهود في المغرب من أوائل التجار الذين حرصوا على شراء أسهم الشركة

البحريّة الفرنسيّة، ومن أبرز هؤلاء التجار كل من: كوركوس، والمالح، وأفرياط، وأوحنا. وكان معظم ممثلي القناصل الأجانب في المغرب حتى نهاية عقد الخمسينيّات من القرن التاسع عشر من اليهود، فمثّل التاجر اليهودي سرويه في الرباط قناصل أربع دول أجنبيّة هي: بريطانيا، والولايات المتحدة، وإسبانيا، والبرتغال، كما مثّل التاجران اليهوديان ش. سوميل وي. بن دهان القنصل الفرنسي في الدار البيضاء، ومثّل التاجر اليهودي ي. بن زاقين قنصل السويد في تطوان (568).

كان من شأن المكانة المتميزة التي كانت لليهود على مستوى المبادلات الداخليّة والخارجيّة للمغرب، ومهام الوساطة التي كانوا يقومون بها تقليدياً بين مواطنيهم المسلمين والأوروبيين، وتقدمهم في مجال التكوين العصري، إضافة لدورهم كمحطة لإعادة نشر المستجدات التقنيّة الواردة من الخارج، أن تؤدي إلى تحسن سريع لشروط عيشهم، وإضافة إلى هذه العوامل، فإن اندلاع الحرب العالميّة الأولى بعد انصرام أقل من عامين على توقيع عهد «الحماية»، وضراوة مقاومة القبائل، وحشد كل الموارد البشريّة والماليّة داخل التراب الفرنسي ما بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ لفائدة المجهود الحربي بأوروبا، قد وفّرت بمنطقة الحماية الفرنسيّة شروطاً إضافية، سهلت من حيث المبدأ لجوء الإقامة العامّة الفرنسيّة بكثافة للحصول على خدماتهم، وبالفعل استغل عدد من اليهود تأسيس النظام الجديد، و«تقدّم عمليات التهذئة» لتنمية معاملاتهم، وتمكن الذين كان لديهم إمكانيات مهمّة من تحقيق أرباح هائلة بحكم تموينهم للجيش، في حين اكتفى آخرون بفتح دكاكين داخل «المراكز» العسكريّة، أو ارتياد الأسواق التي أحدثها الفرنسيون.

تبنت فرنسا سياسة إقامة علاقات مصالح مع بعض المكونات الاقتصاديّة - الاجتماعيّة، والدينيّة - العرقيّة للمجتمع المغربي؛ مما يحمل على الظن شروع فرنسا، غداة توقيع عقد «الحماية» (١٩١٢) في الاستجابة لتطلعات اليهود، لكن الأمور سارت في الواقع على غير هذا المنوال؛ إذ عملت الإقامة العامّة الفرنسيّة في إطار «السياسة الأهليّة» على الإبقاء على اليهود في إطار وضعيتهم السابقة.

على امتداد العصور وإلى حدود إقرار نظام الحماية (١٩١٢) شكّل يهود المغرب الأقلّيّة الدينيّة-الإثنية غير المسلمة الوحيدة في البلاد. وكان عددهم يتجاوز عدد يهود تونس والجزائر مجتمعين؛ بل كانوا يشكّلون أهم جالية يهوديّة في العالم العربي برمته (569).

ويمكن القول: إن العلاقات التقليديّة بين اليهود والمسلمين، اتخذت منحى جديداً، وتطورت باتجاه التباعد والتنافر بين المجموعتين، بفعل التفكك السريع لقاعدة الماديّة، والنسيج الاقتصادي التقليدي، اللذين كان يشكلان إطاراً مشتركاً للتكامل والتساكن، وكذلك غياب أرضية مشتركة بينهما لتخطي الصعوبات الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي خلقها الاستعمار، وأصبح السواد الأعظم بين عامة اليهود والمسلمين يتخبّطون فيها، وتعمق هذا التنافر والتدهور في العلاقات بين المجموعتين، بفعل «حياد» ولا مبالاة اليهود المعلنة تجاه المطالب الوطنيّة لمواطنيهم المسلمين، وانعكاس

الأحداث والاضطرابات التي عرفتها الساحتان الأوروبية والشرق أوسطية. وهناك من يجادل بأن وضع اليهود المغاربة لم يتحسن بشكل كبير بعد فرض الحماية الفرنسية عام ١٩١٢. فعلى النقيض من الجزائر، حيث حصل اليهود على الجنسية الفرنسية بشكل جماعي مع اعتماد قانون كريميو في عام ١٨٧٠، كُلف إنشاء الحماية الفرنسية في المغرب الكثير من اليهود أشكال الحماية الأوروبية خارج الحدود التي كانوا يتمتعون بها سابقاً؛ مما أدى إلى إبعادهم مرة أخرى إلى وضع السكان الأصليين جنباً إلى جنب مع المواطنين المسلمين⁽⁵⁷⁰⁾.

وسط التمرد الذي أعقب الكشف عن معاهدة فاس عام ١٩١٢، دخل آلاف الجنود المغاربة المتمردون ونهبوا ملاح فاس، ولم يتوقفوا إلا بعد قصف مدفعي فرنسي للحي اليهودي⁽⁵⁷¹⁾. أدت هذه الأحداث إلى مقتل أكثر من ٥٠ يهودياً ودُمرت أو تضررت مئات المنازل والمتاجر، وقد عُرفت هذه الأحداث بأيام فاس الدامية أو «تريتيل»⁽⁵⁷²⁾.

في الدار البيضاء، قام الأخوان حديد بتحرير صحيفة Or Ha'Maarav، أو La Lumiere du Maroc (١٩٢٢ - ١٩٢٤)، وهي صحيفة صهيونية⁽⁵⁷³⁾ مكتوبة بطبعتين: العربية اليهودية والحروف العبرية⁽⁵⁷⁴⁾. استمرت الصحيفة من عام ١٩٢٢ حتى أغلقتها السلطات الفرنسية في ١٩٢٤. تبعتها صحيفة L'Avenir Illustré (١٩٢٦ - ١٩٤٠)، وهي صحيفة فرنسية قومية مؤيدة للصهيونية قام بتحريرها جوناثان ثورز⁽⁵⁷⁵⁾، وكذلك l'Union Marocaine (١٩٣٢ - ١٩٤٠)، وهي صحيفة فرنكوفونية تتبنى وجهات نظر تحريرية من التحالف الإسرائيلي العالمي من تحرير إيلي نتاف⁽⁵⁷⁶⁾. تم إغلاق كل من L'Avenir Illustré و l'Union Marocaine من قبل نظام فيشي⁽⁵⁷⁷⁾.

أرسل اليهود المغاربة أعداداً كبيرة من أطفالهم للدراسة بالفرنسية في مؤسسات مثل مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي، قبل جيل أو جيلين من المسلمين المغاربة⁽⁵⁷⁸⁾. لكن بحلول الثلاثينيات من القرن العشرين، بدأت أعداد متزايدة من المسلمين المغاربة في التخرج أيضاً من المدارس التي تدرس باللغة الفرنسية؛ وذلك من أجل الوصول إلى المناصب التي كان يشغلها في السابق مواطنون فرنسيون ويهود مغاربة في الشركات المملوكة لفرنسيين وفي الإدارة الاستعمارية⁽⁵⁷⁹⁾.

في عام ١٩٤٠، نفذ المقيم العام تشارلز نوجيس المراسيم المعادية للسامية الصادرة عن حكومة فيشي التي يسيطر عليها النازيون والتي تستبعد اليهود من الوظائف العامة⁽⁵⁸⁰⁾. في المقابل، نجح السلطان محمد الخامس في حماية اليهود المغاربة من تطبيق القوانين والممارسات النازية عليهم⁽⁵⁸¹⁾، ورفض التوقيع على «خطة فيشي لتقسيم وترحيل ربع مليون يهودي مغربي إلى مصانع القتل في أوروبا»، وفي تحدٍّ، أصر على دعوة جميع حاخامات المغرب إلى احتفالات عيد عرش عام ١٩٤١⁽⁵⁸²⁾. دفع هذا رئيس التحالف الإسرائيلي العالمي «الأيانس» إلى بعث رسالة إلى السلطان يشكره فيها باسم جميع اليهود الفرنسيين؛ لأنه أنقذ حياة الكثيرين من إخوانهم في الدين⁽⁵⁸³⁾. ومع ذلك، فقد فرضت الحكومة الفرنسية بعض القوانين المعادية لليهود؛ وذلك بالمخالفة

لإرادة السلطان. فعلى سبيل المثال، تعرّض ليون سلطان، من الحزب الشيوعي المغربي، إلى الشطب (584).

كان للقوانين العنصرية أثرٌ سلبي على اليهود المغاربة ووضعتهم في موقف غير مريح «بين أغلبية مسلمة غير مبالية وطبقة مستوطنين معادية للسامية» (585).

طيلة عيشهم في بلاد المغرب الأقصى، لم تنقطع علاقة اليهود بأرض فلسطين، كانوا يهاجرون للأراضي المقدسة إما بهدف الدراسة في المدارس الدينية «يشفوت» بكل من: القدس، وطبرية، وصفد، أو لقضاء ما تبقى من حياتهم هناك في انتظار الموت، ومع حلول القرن ١٦ الميلادي، بدأت تتكون جالية مهمّة من اليهود المغاربة في أرض فلسطين، وواصلت هذه الجالية التوسع حتى وصل تعدادها إلى ١٨٦٠ يهودياً مغربياً مع حلول القرن ١٩ الميلادي.

لكن ظروف الاستقرار في فلسطين لم تكن مريحة لليهود المغاربة؛ وذلك بسبب النزاعات التي كانت تعرفها الفصائل اليهودية المختلفة الأصول؛ إذ كان اليهود المغاربة بحسب بعض الرسائل الصادرة عن أحبار مكناس عام ١٨٦٠ يعانون من التمييز والعنصرية، لم يكن يسمح لهم بالتعليم في «الشفوت»، وكان غالبيتهم يعانون من الفقر المدقع، لكن رغم كل هذا لم تسجل الكثير من حالات العودة إلى المغرب.

ظلت العلاقة بين يهود المغرب وأرض فلسطين متصلة رغم المشكلات التي سبق ذكرها، إلا أن هذه العلاقة ستختلف جذرياً مع ظهور الحركة الصهيونية في المغرب.

لم يكن يهود المغرب بعيدين عن سهام الحركة الصهيونية العالمية؛ بل كانوا على العكس من ذلك من الأولويات منذ نشوء الحركة، فخلال المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في سويسرا عام ١٨٩٧، تحدّث تيودور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية عن ١٥٠ ألف يهودي في المغرب، يعيشون في الفقر والتهميش في المغرب، حسب زعمه، وخلال المؤتمر الرابع وعد هرتزل بتوسيع الدعاية الصهيونية في آسيا، وشمال إفريقيا، وقرر إرسال عضو من المنظمة إلى المغرب؛ لأن يهود المغرب - بحسب هرتزل - هم «من أكثر الشعوب القادرة على التأقلم السريع مع أسلوب الحياة في الأراضي المقدسة» (586). وقررت اللجنة الصهيونية العامة تعيين ديفالنينس الجزائري ممثلاً للحركة في دول المغرب العربي.

وخلال المؤتمر الخامس عام ١٩٠١ أعلنت المنظمة عن وجود تجمعات صهيونية بكل من: فاس، وطنجة، وتطوان، والصويرة، ومراكش. هذه التجمعات، أرسلت رسائل تأييد للمؤتمر من بلاد المغرب.

تعامل عامة اليهود في المغرب مع مسألة الهجرة كفریضة دينية، جاهلين الطابع العلماني للحركة الصهيونية التي نجحت في إخفائه مؤقتاً، مركزة على الطابع المسيحاني الخلاصي، وتقديم الصهيونية كامتداد واستمرار وإحياء لليهودية (587).

تأسست في مدن المغرب الساحلية أولى المنظمات الصهيونية في البلاد، فقد أنشئت رابطة «أبواب صهيون» في الصويرة عام ١٩٠٠، كما تأسست في الفترة نفسها في مدينة تطوان رابطة «العودة إلى صهيون». وأوضح ليون خلفون رئيس الرابطة في خطاب له إلى مسؤولي اللجنة الصهيونية العاملة أنه تأسست بالإضافة إلى الرابطة مكتبة عبرية؛ بهدف نشر اللغة العبرية، ونشر الفكرة الصهيونية في أوساط اليهود.

وتأسست فيما بعد في مدينة صافي رابطة «محبّة صهيون»، التي أعربت عن استعدادها لخدمة الفكرة الصهيونية، كما ظهرت هذه الرابطة في فاس، وبعثت عقب تأسيسها خطابين إلى إسرائيل زانغويل رئيس جماعة «اليوم الطيب الأخير»، وكان من بين أنشطة هذه الرابطة توزيع «الشيكل» الصهيوني وأسهم صندوق الاستيطان في فلسطين، كما حرصت الرابطة على توسيع نطاق أنشطتها التي امتدت لتصل إلى مدينتي صفرو ومكناس⁽⁵⁸⁸⁾.

وفي الوقت الذي بدأت تتوسع فيه قواعد الصهيونية في المغرب، بدأت فرنسا تعلن عن رفضها لهذه التحركات التي هدفت إلى ربط يهود المغرب بالاتحاد العالمي الإسرائيلي. تزعم هوبير ليوطي «Hubert Lyautey»، أول مقيم عام في المغرب بعد احتلاله، هذه الجبهة الراضة ودعمه في ذلك مجموعة من أحرار اليهود، الذين كانوا يرون في الحركة الصهيونية حركة علمانية منافية للعقيدة اليهودية، بجانب كونها حركة منافسة على جمع التبرعات التي كانت القيادات اليهودية المغربية تجلبها من فلسطين.

لكن رغم المعارضة الفرنسية رفع الصهاينة التحدي، وأرسلوا مبعوثاً إلى الدار البيضاء هو الصهيوني يونتن ثورسز، الذي عمل على تجنيد يهود المغرب وأعلن انضمام الحركة الصهيونية في المغرب إلى نظيرتها الفرنسية، حيث أصبحت تحمل اسم «الاتحاد الصهيوني الفرنسي - فرع المغرب»⁽⁵⁸⁹⁾. تركّز عمل الحركة على الترويج لفكرتين أساسيتين: أولاً عدم إجبار اليهود على الهجرة لفلسطين خصوصاً بعد ردة فعل القويّة التي خلفتها هجرة بعض الأسر الفاسية في بداية سنوات العشرينيات؛ بل المطلوب هو التبرع للحركة فقط، وثانياً: المشروع الصهيوني مبني على عقيدة دينية وهي تحقيق وعد التوراة بالعودة إلى أرض الميعاد⁽⁵⁹⁰⁾.

استغلّت الحركة هزيمة فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية أمام النازية من أجل بث الرعب في صفوف اليهود، بجانب المشكلات التي كانت تحدث بين اليهود والمسلمين في المغرب، سواء لدواعٍ دينية أو اجتماعية واقتصادية، وفي يونيو ١٩٤٦ عقد المؤتمر الجهوي الفيدرالي للصهيونية في المغرب بالدار البيضاء وشارك فيه ٥٠ عضواً، من أجل «دعم الهدف السامي للحركة الصهيونية والذي هو تحرير الشعب اليهودي وإقامة دولة يهودية ديمقراطية على أرض إسرائيل»، كان هذا أول إعلان صريح عن انشقاق غالبية اليهود المغاربة عن البلد الذي عاشوا فيه لأكثر من ٢٠٠٠ عام.

وإذا كانت جماعات صهيونية تأسست في طنجة وتطوان والصويرة وفاس ومراكش ما بين عامي ١٩٠٠ و١٩١٢، فإن هذه الجماعات الصهيونية ظهرت بعد ذلك بزمان في الدار البيضاء. وتفيد المراسلات التي جرت بين تيودور هرتزل ومؤسسي رابطة «العودة إلى صهيون» في تطوان أن قادة هذه المنظمة لم يكتفوا بممارسة الأنشطة الصهيونية وإنما امتدت أنشطتهم لتشمل الجوانب الثقافية، فحرص قادة هذه الرابطة على تأسيس مكتبة عبرية في تطوان لنشر اللغة العبرية والفكر الصهيوني في أوساط اليهود. وانتشرت الأنشطة الصهيونية في قلب المغرب في عام ١٩٠٨، خاصة بعد أن تأسست في فاس رابطة «محبّة صهيون»، التي عملت على نشر عملة «الشيكل» اليهودية، وبيع أسهم حركة الاستيطان في مدينتي صفرو ومكناس⁽⁵⁹¹⁾.

وفي الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، ظهرت روابط صهيونية جديدة في مدن الرباط، والجديدة، ومراكش، ووجدة، وكازابلانكا. وشهدت المناطق الشمالية من المغرب، التي كانت تقع حتى بداية العشرينيات تحت حماية إسبانيا، تحولاً ملموساً في مكانة الحركة الصهيونية، فوصلت إلى هذه الأماكن في هذه الفترة عدة شخصيات يهودية بارزة، كان من بينها د. أرئيل بن تسيون Ariel Ben Zion وناتان هالبرن Nathan Halpern، كما تأسست في مدينة طنجة رابطة «درع داوود» التي حرصت على نشر اللغة العبرية. وتأسست في مدينة العرايش فور انعقاد مؤتمر سان ريمو رابطة «بناة القدس»، التي شددت على تحمسها للفكرة الصهيونية في خطاب بعثت به إلى د.ماكس نورداو الذي كان من أبرز الشخصيات الصهيونية في تلك الفترة⁽⁵⁹²⁾.

وعقد قادة الحركة الصهيونية في المغرب في شهر يناير من العام ١٩٣٦ اجتماعهم الأول، وبحث المشاركون فيه إمكان اتخاذ قرارات بشأن تنظيم الحركة، تتولى مسؤولية العمل في مجالات الإعلام والثقافة وبحث شؤون الهجرة.

وعندما أعلن عن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، كانت مختلف الحركات «الكيبوتزية» والأحزاب السياسية الإسرائيلية ممثلة في المغرب بواسطة مبعوثين كانوا يحملون معهم صراعاتهم ومنافساتهم ومنازعاتهم من أجل النفوذ. كانت الدار البيضاء مقر «الكاديفا»، وهي المكتب الذي كان ينظم الهجرة رسمياً. ويقول حاييم الزعفراني: إن مجموعات كبرى من جماهير المدن الفقيرة هاجرت إلى إسرائيل في تلك الفترة، ويُلاحظ أنهم كانوا يُفضّلون الشباب «عَلَيْتْ هُنُوعَر» وسكان الجنوب المغربي وجبال الأطلس؛ لأنهم كانوا يرون في هؤلاء القدرة على تأسيس المستعمرات الزراعية؛ الأمر الذي لا يقدر عليه سكان المدن⁽⁵⁹³⁾.

وكانت هجرة جماعات الأطلس والجنوب المغربي؛ ما بين ١٩٥٢ و١٩٥٦ وفي الأعوام التالية، تخضع لأهداف محددة وتتم وفق طرقٍ منهجة⁽⁵⁹⁴⁾.

ولا شك أنه كان ثمة عدد من العوائق الصادة للانخراط اليهودي المغربي في الصهيونية، نجملها فيما يلي:

١. تأسست الروابط الصهيونيّة في المغرب على يد ناشطين صهيونيين غير محليين من الأوروبيين دون معرفة بالتوجهات السياسيّة للفكر الصهيوني(595).

٢. اتسمت العلاقة بين الروابط الصهيونيّة في المغرب والحركة الصهيونيّة العالميّة بسوء التواصل؛ بسبب عامل اللغة على وجه الخصوص، حيث اعتادت الحركة الصهيونيّة إرسال المواد الدعائيّة بلغة اليديش أو الألمانيّة، في حين كان يهود المغرب لا يجيدون إلا الفرنسيّة أو العربيّة والعبريّة.

٣. عجزت الحركة عن التغلغل في الأوساط المثقفة، كون هذه الأوساط كانت خاضعة للنموذج الفرنسي الذي تبنته مدارس «الأليانس»(596).

٤. يضاف إلى ذلك خيبة الأمل والإحباط لدى يهود المغرب من سياسات الحركة الصهيونيّة التي لم يكن هدفها تهجيرهم في البداية إلى فلسطين، ولم تقدّم لهم يد العون، وأغلقت في وجههم منافذ الهجرة ومنافذ الدخول إلى فلسطين، حيث انصبت أولوياتها على جمع التبرعات، كما انعكس ذلك في مقالات هيئة تحرير صحيفة «المستقبل المصورة» المقربة من الحركة يوم ٢٣ مارس ١٩٢٧: «لا نرغب بالحصول على الذهب الأمريكي فحسب؛ بل على الذهب المغربي أيضاً»(597). إلا أنه وكما في العراق، اقتصر جمع الأموال على جزء من الطبقة القادرة، التي بدأت في نهاية الثلاثينيّات، تنتهج سياسة متحفظة مع الصهيونيّة، مشترطة حصول التنظيم الصهيوني في المغرب على اعتراف السلطات، وأن يتوقف عن أي عمل يسبب مخاطر من أي نوع لهذه الطبقة، مع السكان المحليين.

كما كان زعماء هذه الطبقة يسارعون للتحوّل إلى معارضة الصهيونيّة في حال عدم موافقة السلطات، وكانوا يُحجمون عن أي نشاط صهيوني؛ بل يعارضونه بشدة في وقت اشتداد الأزمات في فلسطين.

وعندما صعد مثقفون من الطبقة الوسطى ما بين أعوام ١٩١٨ - ١٩٢٣ إلى قيادة التنظيم الصهيوني في المغرب، لم يحظوا بأية رعاية أجنبيّة؛ كونهم من المحليين. وسرعان ما تسلمت القيادة مجموعة من المثقفين المتفرنسين حَمَلَة الجنسيّة الفرنسيّة، وقد مثلت هذه الفئة نسبة ضئيلة في مقابل الدوائر المثقفة اليهوديّة العريضة التي عبّرت عن تحفظها ومعارضتها في كثير من الأحيان للنشاط الصهيوني(598).

لا شك أن هناك عدة عوامل ساهمت بدفع الأغليّة اليهوديّة في المغرب إلى أحضان الصهيونيّة، رغم طابع التعلق الديني الخلاصي، البعيد كل البعد عن الأيديولوجيّة الصهيونيّة. ومن أبرز هذه العوامل رفض السلطة الفرنسيّة منح الجنسيّة الفرنسيّة لليهود المغاربة؛ ما ساهم في ابتعادهم عن ثقافة «الأليانس» (الاسم الكامل لجمعية «الأليانس» التي تأسست عام ١٨٦٠ هو «التحالف الإسرائيلي العالمي»، وبالعبريّة «كل يسرائيل حفيريم» أي «جميع اليهود إخوة»)، ووجدوا أن

تحررهم الذاتي لن يكون من خلال النموذج الفرنسي، فبدؤوا بالتقرب للصهيونية التي استغلت الوضع منذ الثلاثينيات، حتى أن «الأليانس» نفسها، والتي شكّلت منذ ١٨٦٢ نموذجًا مواجهًا للصهيونية، أصبحت تتبنى وجهة نظر معتدلة تجاهها، ثم أصبحت شريكة لها(599).

وثمة أسباب مختلفة لتحقيق الحركة الصهيونية نجاحات في المغرب، وتعميق الانجذاب الشعبي اليهودي إليها، منها ما حدث قبل الحرب العالمية الثانية، وأثناء الحرب، وبعدها.

فعشية الحرب العالمية الثانية، فشلت سلطات الحماية الفرنسية في سن قوانين تفصل اليهود تمامًا عن الحكم المغربي وإلغاء وضعهم كرعيا للسلطان، حيث رفضت منحهم المواطنة الفرنسية أو أية امتيازات قانونية؛ ما أدى إلى انهيار النموذج الفرنسي، واتجاه اليهود لقطع صلاتهم مع «الأليانس»، وإنهاء أحلامهم الفرنسية. تراقف ذلك مع التطورات السياسية في فلسطين خلال عامي ١٩٣٦ و١٩٣٩، وتنامي الاستيطان، والدعوة لزيادة الهجرة. كل هذا فتح لهم نافذة أمل في اتجاه جديد.

الاختراق الكبير حصل أثناء الحرب، وتحديدًا بين عامي ١٩٣٩ - ١٩٤٥، حيث غيرت الأحداث النازية جوهريًا علاقات المؤسسة الصهيونية باليهود، وارتبط ذلك أساسًا بإغلاق منابع الهجرة الأوروبية، وحاجة الحركة الصهيونية لمتابع جديدة لاستمرار الضخ الديموغرافي في فلسطين. تراقف ذلك مع الآثار السلبية لحكم فيشي (١٩٤٠ - ١٩٤٢)، والتغيير العنيف في العلاقة مع فرنسا، وتراجع «الأليانس» عن سياساتها الموالية لفرنسا، واتجاهها للانخراط في الصهيونية، مع ما راقف هذه الفترة من ظهور حركات استقلال قومية، ومخاوف اليهود من خروج فرنسا من المغرب وتركهم في العراء.

أدت هذه التطورات كلها إلى تغيير سياسات المنظمة الصهيونية في التحول من جمع التبرعات إلى التأهيل للهجرة، ولكن كل تلك العوامل كانت عوامل خارجية. وبوسعنا القول: إن الخروج اليهودي من المغرب له أسباب مباشرة يمكن تلخيصها في التالي:

١. حلم الخلاص المسيحاني كفرض ديني، وتحقيق حلم الأنبياء.
٢. الخوف المباشر الذي اعترى مجتمعهم نتيجة الخروج الفرنسي، والخوف من التحول المقلق للأحداث، وخسارة استفادتهم المباشرة من النظام الاستعماري.
٣. أسباب ثقافية نبعت من القلق من نظام التعريب، بعد ضم ثلث المؤسسات التعليمية التابعة للأليانس إلى إطار وزارة التربية.
٤. سبب اقتصادي من اتخاذ الحكومة الاستقلالية إجراءات اقتصادية تؤدي إلى سلبهم امتيازاتهم(600).
٥. سبب سياسي يلخصها جميعًا، مرده تقارب المغرب مع نظام جمال عبدالناصر في مصر، وتنامي التيار القومي؛ ما أثار مخاوف تتعلق بالأمن الشخصي(601).

وقد وجد هؤلاء أن إسرائيل هي المنفذ الوحيد بعد أن أغلقت فرنسا أبوابها في وجوههم. ويلاحظ هنا أن أغلبية المستجيبين للصهيونية كانوا ممن لم يملكوا القدرات أو أي خيار آخر من الطبقة الفقيرة. وبالتالي؛ لم تكن الهجرة صهيونية بقدر ما كانت بحثاً عن أوضاع أفضل، يعكس ذلك أن أبرز الناشطين الصهاينة لم يكونوا من ضمن المهاجرين إلى فلسطين(602).

وبالعودة إلى الأرقام، فحسب تعداد أجرته سلطات الحماية الفرنسية لسكان المغرب في المنطقة الفرنسية عام ١٩٣٦، ونُشر في الصحيفة الرسمية الفرنسية في ١٤ أكتوبر ١٩٣٨، كان إجمالي عدد اليهود ١٨٢ ألف نفس، وخلال ذلك الوقت كان من الممكن إحصاء نحو ٢٠ ألفاً في المنطقة الإسبانية والدولية، مع إضافة ٨ آلاف من غير المغاربة(603).

وبحسب إحصاء ١٩٤٧، كان هناك ٢٠٣ آلاف نفس؛ أي ما يعادل ٢.٣٥٪ من مجمل تعداد السكان، في المنطقة الفرنسية (الريف في الشمال وسواحل المتوسط والأطلسي)، فيما بلغ عدد اليهود في المنطقة الإسبانية ٢٥٠٠٠ نفس، منهم ١٠ آلاف في طنجة الدولية، و١٣٦٦٧ في المدن، والباقيون في الريف والبادية(604).

وتشير إحصائيات متعددة(605) إلى هجرة ١٠٠٠ يهودي فقط ما بين ١٩١٩ و١٩٤٧ إلى فلسطين.

يعيش في المغرب الآن حوالي ٢.٥٠٠ شخص فقط، معظمهم في الدار البيضاء، ولكنهم موجودون أيضاً في فاس والمدن الرئيسية الأخرى.

في يونيو ١٩٤٨، بعد وقت قصير من قيام إسرائيل وفي خضم الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، اندلعت أعمال شغب ضد اليهود في وجدة وجردة، والقصر الكبير؛ مما أسفر عن مقتل ٤٤ يهودياً. بين عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩، غادر ١٨.٠٠٠ يهودي البلاد إلى إسرائيل. بعد ذلك، استمرت الهجرة اليهودية (إلى إسرائيل وأماكن أخرى)، لكنها تباطأت إلى بضعة آلاف في السنة. خلال أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، شجعت المنظمات الصهيونية الهجرة، لا سيما في جنوب البلاد الذي يعاني من الفقر، حيث رأت أن اليهود المغاربة مصدر ثمين لعمالة الدولة اليهودية. منذ عام ١٩٤٨، غادر الكثير من اليهود فاس(606)، وهاجر معظمهم إلى إسرائيل بينما ذهب آخرون إلى فرنسا وكندا(607)، وبنسبة أقل إلى إسبانيا(608). في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، كانت هناك مدارس ومنظمات يهودية نشطة مثل التحالف الإسرائيلي العالمي («الأيانس») التي أغلقت أبوابها لاحقاً مع انخفاض عدد السكان اليهود(609).

في عام ١٩٥٦، نال المغرب استقلاله بعد ٤٤ عاماً من الحماية الفرنسية، حصل خلالها ١.٤١٥ مغربياً فقط على شهادة البكالوريا، منهم ٦٤٠ مسلماً و٧٧٥ يهودياً(610). وفي مواجهة غياب الاستقرار السياسي في الفترة التي تلت الاستقلال مباشرة، إن كان في ما يتعلق بموقع المغرب في العالم العربي أو بالنسبة إلى المخاوف المتنامية من عدم استقرار نظام الملك، بجانب

سياسة تعريب الإدارات المغربية، بدأت الجالية اليهودية في المغرب تخشى تهديدًا وجوديًا عليها وعلى أبنائها.

زاد الوضع تعقيدًا بالنسبة لليهود بعد أن بدأت مجموعة أحزاب الحركة الوطنية، كحزب الاستقلال المحافظ، وحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، تدعو من خلال بلاغاتها وجرائدها الحزبية إلى مقاطعة اليهود حتى ينقطع حبل الدعم المادي الذي كان ينطلق من الدار البيضاء ويصل إلى الأراضي المحتلة(611).

بدأت الحركة الصهيونية مدعومة بعملاء من الموساد في عمليات التهجير السرية لليهود المغاربة إلى فلسطين، مستغلة بذلك المشكلات التي كانت حاصلة بين المغرب وإسبانيا على المناطق الشمالية، وتمكن الصهاينة من تهريب ٢٢ ألف يهودي بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٧، ثم ٣٠ ألف يهودي إلى حدود عام ١٩٦١. وكان سبب هذا التدفق في الهجرة يكمن جزئيًا في المخاوف الداخلية والتهديدات بأعمال العنف، بالإضافة إلى المقاطعة الاقتصادية المرتبطة بالصراع العربي الإسرائيلي البعيد جغرافيًا ولكن المؤثر بعمق على المغرب.

كان العام ١٩٦١ نفسه نقطة تحول لهجرة اليهود المغاربة لثلاثة أسباب رئيسية. السبب الأول هو استضافة المغرب قمة إفريقية واجتماعًا مشتركًا لجامعة الدول العربية حضره جمال عبدالناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٦١، في حركة دبلوماسية عالمية دقيقة ضمن الحرب الباردة وقوى عدم الانحياز. اندلعت أعمال عنف ضد اليهود في الدار البيضاء خلال زيارة عبدالناصر؛ مما فاقم من قلق الجالية المتنامي. وكان السبب الثاني هو غرق الباخرة «إيجوز» (أو: الحوت) في يناير ١٩٦١ ليلقى جميع ركابها من المهاجرين السريين اليهود مصرعهم؛ مما تسبب في إثارة حالة ضجة وانتقام من نوع الخط بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية، بالإضافة إلى احتجاجات عالمية من جمعيات خيرية يهودية. أما السبب الثالث فكان موت الملك محمد الخامس بصورة غير متوقعة بسبب مضاعفات جراحة بسيطة؛ مما رفع ابنه من ولي العهد مولاي الحسن إلى الملك الحسن الثاني. فرحل اليهود المغاربة بدافع الخوف، مشككين بمستقبلهم السياسي وقدرة الملك الجديد على «حمايتهم» كما وعد(612).

خلفت هذه الحادثة ضجة إعلامية كبيرة، دفعت جميع الأطراف إلى إيجاد حلول «قانونية» لعمليات التهجير تلك، فانطلقت المرحلة الثالثة بوساطة أمريكية بين عامي ١٩٦١ و١٩٦٤ في إطار «عملية ياخين» وهي عملية هجرة جماعية لليهود المغاربة من إسرائيل ونفذت في إطار الموافقة الضمنية التي أبقاها «المخزن» (ويُصطلح به النخبة الحاكمة في المغرب التي تمحورت حول الملك أو السلطان سابقًا)(613). تمكنت الحركة الصهيونية في تلك المرحلة أو العملية من تهجير ٩٧ ألف يهودي ودفعت الحركة ٢٥٠ دولارًا للفرد، ومع نهاية عام ١٩٦٧ وصل عدد اليهود المغاربة الواصلين إلى الأراضي المحتلة ٢٣٨ ألف مواطن مغربي سابق(614).

وإذا كانت الغالبية العظمى من يهود المغرب قد هاجرت إلى إسرائيل، إلا أن كثيرين هاجروا إلى كل من فرنسا وكندا، بالإضافة إلى دول في أمريكا اللاتينية مثل: فنزويلا، والبرازيل(615).

ومع تقاطع الصراع العربي الإسرائيلي مع سياسات الحرب الباردة والأممية، وجد اليهود المغاربة المنتمون لأحزاب يسارية أنفسهم مستبشرين باستمرار عن الجالية اليهودية المغربية الأوسع. وكان اليساريون اليهود المغاربة، المخلصون للشيوعية بأوجهها كافة خلال الستينيات ومطلع السبعينيات، أكثر اتساقاً أيديولوجياً مع مواقفهم خلال العقود السابقة، إن لم يكن أكثر تناسقاً حتى من وطنيتهم التي كانت تستفز باستمرار أمام الهجرة الجماعية للأسر اليهودية وللأصدقاء.

خلال الفترة من الستينيات وصولاً إلى «المسيرة الخضراء» التي نُظمت لمطالبة المغرب بالصحراء المغربية في 1975. وقعت أحداث شملت توترات الهويتين اليهودية والمغربية، الوطنية والأممية، الاستيعاب وأحلام ثورة ما بعد الاستقلال. وعلى الرغم من السياق السياسي المغربي الضبابي والقائم، فإن الأعضاء اليهود في الأحزاب اليسارية ظلوا بشكل عام مخلصين بقوة لمغربييتهم ولأمالهم إزاء وطنهم في وجه الهجرة الجماعية اليهودية والقمع السياسي.

شغل اليهود عدة مناصب سياسية، فقد دخلوا البرلمان المغربي، ومنهم سيمون ليفي البرلماني في مجلس المستشارين، بعدما كان مايير عوباديا أول برلماني يهودي في المغرب، كما نال الثري الصويري جو أوحنا عام 1986 عضوية البرلمان. واختير الطبيب الشهير ليون بنزاكين وزيراً للبريد والتلغراف في أول حكومة مغربية بعد الاستقلال(616). كانت هناك حركة داخل حزب الاستقلال لتوحيد المسلمين واليهود تسمى «الوفاق»، مع شخصيات يهودية بارزة مثل: أرماند أسولين، ودافيد أزولاي، ومارك صباغ، وجو أوحنا، وألبرت أفلو(617).

وفاز 15 مرشحاً يهودياً في المدن الكبرى خلال الانتخابات الأولى للمجالس البلدية والقروية في عام 1960، كما انتُخب في العام نفسه 11 يهودياً للغرف التجارية والصناعية في المدن من أصل 261، وأسفرت انتخابات عام 1963 البلدية وانتخابات غرف التجارة والصناعة عن فوز مرشحين يهود.

مع ذلك، عرفت الهجرة إلى إسرائيل قفزة من 8.171 في عام 1954 إلى 24.994 في عام 1955، وزادت أكثر في عام 1956. وبدءاً من عام 1956، تم حظر الهجرة إلى إسرائيل، إلا أنها استمرت بشكل غير قانوني حتى تم استئنافها رسمياً عام 1961(618). في عام 1961، خففت الحكومة قوانين الهجرة إلى إسرائيل كجزء من اتفاقية مع إسرائيل تضمنت دفع مبلغ للمغرب عن كل يهودي غادر البلاد إلى إسرائيل. عندما توفي محمد الخامس، انضم اليهود إلى المسلمين في يوم حداد وطني. لكن على مدى الأعوام الثلاثة التالية، هاجر أكثر من 80 ألف يهودي مغربي إلى إسرائيل. بحلول عام 1967، بقي 60 ألف يهودي فقط في المغرب.

أدت حرب يونيو 1967 إلى زيادة التوترات بين العرب واليهود في جميع أنحاء العالم بما في

ذلك المغرب. بحلول عام ١٩٧١، انخفض عدد سكان البلاد من اليهود إلى ٣٥.٠٠٠؛ إلا أن نسبة كبيرة من هذه الموجة الجديدة من الهجرة ذهبت إلى أوروبا وأمريكا الشماليّة بدلاً من إسرائيل. كانت فرنسا لبعض الوقت وجهة خاصة لليهود المغاربة الحاصلين على تعليم أوروبي، والذين كانت لديهم فرص اقتصاديّة هناك؛ أظهرت إحدى الدراسات التي أُجريت على إخوة يهود مغاربة، بعضهم استقر في فرنسا والبعض الآخر في إسرائيل، أن ٢٨ في المائة من الإخوة الذين استقروا في فرنسا أصبحوا مديريين أو رجال أعمال أو محترفين (مقارنة بـ ١٣ في المائة لدى إخوانهم الإسرائيليين)، و ٤ في المائة فقط هم عمال غير مهرة (مقارنة بأكثر من الثلث لدى إخوانهم الإسرائيليين)⁽⁶¹⁹⁾. رغم كثرة اليهود المغاربة في إسرائيل، فإنهم تمتعوا بقدر أقل من الحركة: ٥١٪ كانوا من أصحاب الياقات الزرقاء في عام ١٩٦١ و ٥٤٪ في أواخر عام ١٩٨١.⁽⁶²⁰⁾

رغم أن أعدادهم قليلة حالياً؛ فإن اليهود ما زالوا يلعبون دوراً بارزاً في المغرب، حيث إن مستشار الملك للشؤون الاقتصاديّة هو اليهودي أندري أزولاي. كما شغل سيرج بيردوغو، المكناسي الأصل، منصب المتصرف لشركة «الدراسات والتمثيلية والمساهمات الصناعية»، عام ١٩٧٠، ومنصب المتصرف المنتدب للشركة الشريفة للأشغال الإفريقيّة عام ١٩٨٢م، وعمل مفوضاً في «البنك الوطني المغربي للتنمية الاقتصاديّة»، ومنصب المتصرف في «الشركة الشريفة للأشغال الإفريقيّة»، عام ١٩٧٩. وسبق أن شغل بيردوغو منصب وزير السياحة في حكومة محمد كريم العمراني بين عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٥، وتوج عطائه بتعيينه من طرف الملك محمد السادس، سفيراً متجولاً للمغرب عام ٢٠٠٦.

كما أن اليهود ممثلون جيدون في الأعمال التجاريّة وحتى عدد قليل منهم في السياسة والثقافة، بالإضافة إلى ذلك، تتلقى المدارس والمعابد اليهوديّة إعانات حكومية. تعمل عدة متاحف يهوديّة في جميع أنحاء البلاد على تلبية الاهتمام المتزايد بالحفاظ على التراث والتاريخ اليهودي المغربي⁽⁶²¹⁾. مع ذلك، استُهدف اليهود في تفجيرات الدار البيضاء في مايو ٢٠٠٣. وقد تم تجاهل نداءات الملك الحسن الثاني بن محمد لليهود المغاربة السابقين بالعودة إلى حد كبير.

في عام ٢٠٠٤، ضمت مراكش حوالي ٢٦٠ يهودياً، معظمهم تجاوزوا الستين من العمر، في حين كان في الدار البيضاء ما بين ٣.٠٠٠ و ٤.٠٠٠ يهودي. تُشير أرقام عام ٢٠١٤ إلى أنه ما زال هناك حوالي ٢.٥٠٠ يهودي يعيشون في المغرب⁽⁶²²⁾. اعتباراً من ٢٠١٨، بلغ إجمالي اليهود في المغرب ٢٢٠٠. في عام ٢٠١٩، بلغ عدد مواطني دولة إسرائيل حوالي ٤٧٢.٨٠٠ يهودي من أصل مغربي⁽⁶²³⁾؛ أي حوالي ٥٪ من إجمالي سكان البلاد.

في عام ٢٠١٣، تم الكشف عن ارتفاع عدد العائلات اليهوديّة المغربيّة التي تُرسل أبنائها للدراسة في كليّة القدس للتكنولوجيا في إسرائيل. يختار معظم هؤلاء الطلاب الحصول على الجنسيّة الإسرائيليّة والاستقرار في إسرائيل بعد التخرج⁽⁶²⁴⁾. على العكس من ذلك، استقر عدد

قليل من المجرمين الإسرائيليين في المغرب، مستغلين عدم وجود معاهدة لتسليم المجرمين بين البلدين، إلا أن معظم هؤلاء ليسوا من أصل مغربي(625). ظل عدد كبير من المواطنين اليهود في المغرب يختارون تربية أطفالهم على العقيدة اليهودية، حيث أرسل معظم هؤلاء الأطفال إلى مدارس التحالف الإسرائيلي العالمي. ومع ذلك، فإن غالبية الطلاب في هذه المدارس ظلوا يتابعون تعليمهم العالي في بلدان أخرى ويغادرون المغرب.

في أواخر عام ٢٠٢١، بمناسبة الذكرى الأولى لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وإسرائيل، أطلق الملك محمد السادس مبادرة لترميم مئات المواقع اليهودية التاريخية في جميع أنحاء البلاد. وتتوخى الخطة تجديد مئات المعابد والمقابر ومواقع التراث اليهودي الأخرى في عدد من المدن المغربية، بما في ذلك المقبرة اليهودية في فاس التي تضم آلاف القبور. وأفيد أيضاً أن الملك قرر إعادة الأسماء الأصلية لعدد قليل من الأحياء اليهودية في البلاد(626). وقد أشادت إسرائيل والمؤتمر اليهودي الأوروبي بالمبادرة(627).

من العائلات التي تدرجت في المشاركة سواء في صناعة العلاقات الدبلوماسية، أو في ربط الصلات بين المغرب وباقي دول العالم:

عائلة الذمي بن عطار - عائلة مايمران - عائلة كانسينو - عائلة الطوليدانو - عائلة سومبال - عائلة ماقتين - عائلة قرقوز - عائلة اللاوي - عائلة عطال - عائلة بنيطو - عائلة كوهين.

ومن مشاهير اليهود المغاربة، نذكر الأسماء التالية:

- * إسحاق الفاسي، حاخام يهودي مغربي، يعود له الفضل في إحياء دراسة التلمود.
- * دوناش بن لبرط، لغوي مغربي، يعتبر أول من أدخل أوزان الشعر العربي إلى العبرية.
- * ابن حيوج، مؤسس علم النحو العبري.
- * أبو أيوب بن المعلم، وزير في الدولة المرابطية.
- * أبراهام بن كمنيال، وزير وأمير في الدولة المرابطية.
- * سليمان بن فاروسال، وزير ودبلوماسي في الدولة المرابطية.
- * ابن شلوخة اليهودي، خازن بيت المال بسجلماسة في عهد الخلافة الموحدية.
- * السموأل بن يحيى، رياضياتي ومهندس وطبيب.
- * يعقوب كوهين، كاتب ومفكر مغربي.
- * هارون بن بطاش، كبير وزراء السلطان عبدالحق المريني.
- * صامويل بلاش، ممثل المغرب لدى هولندا في عهد المولى زيدان.
- * يوسف معيمران، مستشار للسلطان المولى إسماعيل بين ١٦٨٣ - ١٦٧٢، وشيخ اليهود بالمغرب.

* أبراهام معيمران، دبلوماسي ومستشار ومدير للأعمال التجارية (١٧٢٢ - ١٦٨٣) عند

المولى إسماعيل، لعب أدوارًا في علاقات المغرب مع فرنسا والبرتغال وهولندا.

* موشي بن عطار، خازن بيت مال السلطان المولى إسماعيل.

* صموئيل سومبال، دبلوماسي والكاتب الرئيس في ديوان السلطان سيدي محمد بن عبدالله.

* مايير مقنين، تاجر ودبلوماسي مغربي وسفير السلطان المولى عبدالرحمن لدى عدة دول أوروبية.

* أرييه درعي: تزعم حزب «شاس» الإسرائيلي ثلاث مرات، وتقلد منصب وزير الداخلية كذلك ثلاث مرات.

* عمير بيرتز، وزير حرب إسرائيلي.

* أندري أزولاي، مستشار الحسن الثاني.

* شلومو بن عمي، وزير الخارجية، وسفير إسرائيل في إسبانيا.

* دافيد ليفي، وزير خارجية في إسرائيل، وأستاذ في جامعة بن غوريون، ومن رموز حزب الليكود.

* موردخاي فعنونو، عالم نووي إسرائيلي.

* إدمون عمران المالح، كاتب ومفكر مغربي.

* أبراهام السرفاتي، سياسي مغربي.

* سيرج بيردوغو، سياسي مغربي.

* شلومو عمار، مواليد الصويرة، الحاخام الأكبر لمدينة نتانيا.

* موريس ليفي، من مؤسسي المنتدى الاقتصادي العالمي ورئيس مجلس إدارة مجموعة

بوبليسيس الإعلامية، ثالث أكبر مجموعة إعلامية في العالم.

* دومينيك سترأوس كان، تولى رئاسة صندوق النقد الدولي.

* باروخ بن الصراف: حاصل على نوبل في الطب.

* كلود كوهين تانوجي: حاصل على نوبل للفيزياء، من أسرة مغربية تنحدر من مدينة طنجة.

* سيرج حاروش: حاصل على نوبل للفيزياء، مواليد الدار البيضاء، من أصول مراكشية.

* يوسي بن عيون: لاعب نادي «تشيلسي» الإنجليزي.

* إيمانويل الشريكي: ممثلة كندية.

* دافيد غيتا: منتج أغنيات، و«دي جي» فرنسي مشهور.

يبدو تاريخ اليهود في الجزائر جزءًا من تاريخ اليهود في شمال إفريقيا، وهو يعود إلى القرن الأول الميلادي على الأقل، حيث توافدت عناصر يهودية قديمة إلى شمال إفريقيا⁽⁶²⁸⁾، عن طريق مصر وليبيا، وعن طريق البحر مع الفينيقيين، وعن طريق اليمن ثم إثيوبيا فالصحراء. مارس اليهود أعمال التجارة لاحتكاكهم بالفينيقيين، وتتفق معظم الدراسات على أن الهجرات اليهودية المكثفة إلى الشمال الإفريقي كانت في فترة حكم بطليموس الأول حاكم مصر، فقد عُثر على أدلة مادية تتضمن نقوشًا وعمليات من البرونز؛ مما يؤكد وجود اليهود في موانئ الجزائر⁽⁶²⁹⁾.



الحاخام ديفيد أشكينازي خلال مراسم يهودية في وهران، الجزائر

هناك أدلة على وجود مستوطنات يهودية في الجزائر منذ العصر الروماني (موريطانية القيصرية) على الأقل⁽⁶³⁰⁾، حيث عُثر على نقوش أضرحة في الحفريات الأثرية التي تشهد على وجود اليهود في القرون الأولى بعد الميلاد. قيل إن أراضي البربر رحبت بالمسيحيين واليهود في وقت مبكر جدًا من الإمبراطورية الرومانية. عزز تدمير الهيكل الثاني في القدس على يد تيتوس وقت مبكر جدًا من الإمبراطورية الرومانية.

عام ٧٠ م، وحروب كيتوس عام ١١٧ م بعد ذلك الاستيطان اليهودي في شمال إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط. تشير الأوصاف القديمة للعاصمة الرستمية، تاهرت (أو تيارت)، إلى أنه عُثر على اليهود هناك، كما هي الحال في أي مدينة إسلامية رئيسية أخرى في شمال إفريقيا. بعد قرون، تذكر رسائل الجنيزا الموجودة في القاهرة الكثير من العائلات اليهودية الجزائرية.

في القرن السابع، عزز المهاجرون اليهود المستوطنات اليهودية في شمال إفريقيا بعد فرارهم من اضطهاد ملك القوط الغربيين سيزبوت وخلفائه. هربوا إلى المغرب الكبير واستقروا في الإمبراطورية البيزنطية. هناك جدل حول ما إذا كان اليهود قد أثروا على السكان الأمازيغ، ودفعوا البعض لاعتناق اليهودية. في ذلك القرن، فتحت الجيوش الإسلامية كل المغرب العربي وشبه الجزيرة الإيبيرية. خلال الفتوحات الإسلامية، اصطحب الفرسان العرب معهم تجارًا يضمنون لهم إمداد فرقهم، ومن هؤلاء يهود من اليمن الجنوبي ومصر، أقام بعضهم في الجزائر، التي توسعت وأصبحت مدينة كبيرة فتجمع اليهود فيها، وأقاموا روابط ناجحة مع مدينتي بجاية وتلمسان (631). أصبح السكان اليهود في وضع أهل الذمة آنذاك في تبادلات ثقافية مستمرة مع الأندلس والشرق الأدنى.

في القرن الخامس عشر الميلادي ومع سقوط الأندلس وطرد اليهود من شبه الجزيرة الإيبيرية، استقر الكثير من تلك الجالية في الجزائر ومن بينهم شخصيات دينية مرموقة، من بينهم إسحاق بن شيشيت (١٣٢٦ - ١٤٠٨) المولود في بلنسية الإسبانية قبل أن يستقر في الجزائر، وشمعون بن صيمح المعروف باسم دوران (١٣٦١ - ١٤٤٤) وهو من مواليد مايوركا الإسبانية، ثم هاجر إلى الجزائر واشتغل بالطب وكان من زعماء الجالية اليهودية (632).

في عام ١٣٩١ في أعقاب ملاحقة يهود إسبانيا، وصل الكثير من اللاجئين إلى الجزائر، وجعلوا من الجزائر مركزًا اقتصاديًا وثقافيًا مزدهرًا. عقب طرد يهود إسبانيا عام ١٤٩٢ وصل المزيد من اللاجئين للسكن في الجزائر، بينهم عددٌ من ذوي المهارات والمواهب المتعددة (633). بلغ تعداد يهود الجزائر عام ١٨٣٠ نحو ٢٦ ألف فرد.

في القرن السادس عشر كانت هناك جاليات يهودية كبيرة في أماكن مثل: وهران، وبجاية، والجزائر العاصمة. كما كان اليهود حاضرين في مدن الداخل مثل: تلمسان، وقسنطينة، وانتشارهم حتى تُقرت ومزاب في الجنوب بإذن من السلطات الإسلامية. حافظ بعض اليهود في وهران على لغة لادينو - التي كانت لهجة إسبانية محافظة بشكل فريد - حتى القرن التاسع عشر.

وبينما همّش النظام العثماني في الجزائر أغلبية أهل البلاد لأسباب سياسية مرتبطة بالمنافسة على السلطة، فإنه وجد في الأقلية اليهودية ضالته، وخاصة كبار الأثرياء والوسطاء التجاريين منهم؛ لأن منافستهم للنظام بدت غير ممكنة وغير واردة (634).

انتعشت أحوال يهود الجزائر، وكان أداء تجارهم جيدًا ماليًا في أواخر عهد الجزائر العثمانية،

حيث مارسوا عددًا من الأنشطة التجاريّة والحرفيّة مثل: صناعة الخزف، والصوف، ومهنة الدلالة، وبيع الكتب القديمة(635).



مجموعة من يهود وهران في الجزائر

كان الهجوم الفرنسي على الجزائر مدفوعًا بمطالبة «الداي» (الحاكم) الحكومة الفرنسيّة بسداد ديونها الكبيرة المستحقة على القمح لتجار يهود. بين القرنين السادس عشر والسابع عشر، بدأ اليهود الأكثر ثراءً من ليفورنو في إيطاليا بالاستقرار في الجزائر، مدفوعين بالفرص التجاريّة المربحة ومعدلات الربح المرتفعة في الإيالة. عززت التجارة والتبادلات التجاريّة بين أوروبا والإمبراطوريّة العثمانيّة من أوضاع الطائفة اليهوديّة. في وقت لاحق من القرن التاسع عشر، استقر عدد كبير من اليهود السفارديم من تطوان في الجزائر، وأسسوا مجتمعات جديدة، لا سيما في وهران.

بحسب موقع المركز العالمي لحضارة يهود شمال إفريقيا، فقد كان التطور الاقتصادي في منطقة المغرب أحد العوامل المركزيّة في تطور يهود شمال إفريقيا، فقد تحوّلت المدن الساحلية مثل: هونين، وباجيا، إلى مدن مركزيّة بفضل التجار اليهود.

من بين الشركات اليهوديّة الليفورنية التي توسعت في نهاية القرن الثامن عشر، برزت شركة بكري - بوشناق، التي اكتسحت منافسيها في العشرية الأخيرة من القرن الثامن عشر، وسيطرت سيطرة مُحكمة وشبه كليّة على ناصية التجارة الجزائريّة الداخليّة والخارجيّة، وتوسع نفوذها وتأثيرها إلى عالم السياسة(636).

عندما تأسست الشركة كان الداى حسن (١٧٩٢ - ١٧٩٨) قد تولى الحُكم في الجزائر خلفًا للداي محمد بن عثمان باشا. عيّن الداى حسن بعد فترة وجيزة من دخوله قصر «الجنينة»، في ساحة الشهداء الحاليّة، اليهودي نفظالي بوشناق Neftali Busnach أو بو جناح، كما كان يسميه الناس في شرقي البلاد آنذاك، مستشارًا له. هذا الأخير استغل منصبه ونجح في تعزيز نفوذه لدى الداى

التالي مصطفى الوزناجي (١٧٩٨ - ١٨٠٥) الذي كان صديقاً له وشريكاً كذلك بصورة أو بأخرى في مؤامراته وجرائمه ضد الشعب الجزائري⁽⁶³⁷⁾. نفوذ بوشناق لدى السلطة تأكد من خلال استحواده على منصب رئيس الطائفة اليهودية مقصياً رئيسها السابق إبراهيم بو شعرة. وبحكم علاقاته مع السياسيين، تكلف بوشناق عندما أصبح شريك بكري في المؤسسة التجارية المعروفة باسمها بالشؤون السياسية والعلاقات الخارجية للشركة، وترك إدارة الأعمال والصفقات التجارية لشريكه بكري.

ويرى باحثون أن اليهود الليفورنيين حطّوا الجهاز الإنتاجي الزراعي والجرفي الجزائري باحتكارهم للسوق، كما أنهم لم يتورعوا حتى عن استغلال سنوات الجراد والمجاعات للمضاربة والإثراء على حساب الشعب مثلما حدث في سنوات ١٨٠٥، و١٨١٠، و١٨١٣، و١٨١٧، والأخيرة هي سنة انتشار الطاعون في البلاد⁽⁶³⁸⁾.

في عام ١٨٣٠، كان عدد السكان اليهود الجزائريين يتراوح بين ١٥٠٠٠ و١٧٠٠٠، يتجمع معظمهم في المنطقة الساحلية. عاش حوالي ٦٥٠٠ يهودي في الجزائر العاصمة، حيث شكّلوا ٢٠٪ من السكان. بلغ تعداد اليهود - حينذاك - ٢٠٠٠ في وهران؛ ٣٠٠٠ في قسنطينة؛ و ١٠٠٠ في تلمسان⁽⁶³⁹⁾. بعد احتلال الجزائر، أعادت الحكومة الفرنسية بسرعة هيكلة نظام الملل والطوائف العثماني. بينما قاوم المسلمون الاحتلال الفرنسي، ساعد بعض اليهود الجزائريين سلطات الاحتلال، وعملوا مترجمين أو موردين⁽⁶⁴⁰⁾.

في ذلك الوقت، ميزت الحكومة الفرنسية المواطنين الفرنسيين (الذين كانوا يتمتعون بحقوق التصويت الوطنية ويخضعون للقوانين والتجنيد الإلزامي الفرنسي) عن الشعوب «الأصلية» اليهودية والمسلمة، الذين سُمح لكل منهم بالاحتفاظ بقوانينهم ومحاكمهم. بحلول عام ١٨٤١، تم وضع المحاكم اليهودية الحاخامية (بيت دين) تحت الولاية القضائية الفرنسية، وأنشئت محاكم جزائرية جهوية - دوائر - تعمل تحت الإشراف الفرنسي⁽⁶⁴¹⁾.

في عام ١٨٤٥، أعادت الحكومة الاستعمارية الفرنسية تنظيم البنية المجتمعية، وعيّنت اليهود الفرنسيين (الذين كانوا من الأشكناز) حاخامات رئيسيين لكل منطقة، مع واجب «غرس الطاعة غير المشروطة للقوانين، والولاء لفرنسا، والالتزام بالدفاع عنها»⁽⁶⁴²⁾. كان هذا الإجراء مثلاً على مساعي اليهود الفرنسيين لـ«تمدين» يهود الجزائر، حيث كانوا يعتقدون أن تقاليدهم الأوروبية كانت متفوقة على ممارسات السفارديم.

كان هذا بمنزلة تغيير في العلاقة اليهودية مع الدولة؛ إذ تم فصلهم عن نظام المحاكم الإسلامية، حيث تم تصنيفهم سابقاً على أنهم أهل ذمة، أو أقلية محمية؛ نتيجة لذلك، قاوم يهود الجزائر خطط اليهود الفرنسيين الذين حاولوا الاستقرار في الجزائر. في بعض الحالات، كانت هناك أعمال شغب، وفي حالات أخرى رفض اليهود المحليون السماح بدفن يهود فرنسا في مقابر يهود

الجزائر⁽⁶⁴³⁾. في عام ١٨٦٥، عدّلت فرنسا قوانين المواطنة، للسماح لليهود والمسلمين في الجزائر بأن يصبحوا مواطنين فرنسيين إذا طلبوا ذلك. لكن القليل منهم فعل ذلك لأن الجنسية الفرنسية تطلبت التخلي عن بعض الأعراف التقليدية؛ وقد اعتبر الجزائريون ذلك نوعاً من الردة⁽⁶⁴⁴⁾.

منحت الحكومة الفرنسية اليهود، الذين بلغ عددهم في ذلك الوقت حوالي ٣٣٠٠٠ فرد⁽⁶⁴⁵⁾، الجنسية الفرنسية في عام ١٨٧٠ بموجب «قانون كريميو» للتجنيس⁽⁶⁴⁶⁾، مع الحفاظ على مكانة أدنى للمسلمين. كان «قانون كريميو» موضع ترحيب من قبل الطائفة اليهودية في الجزائر، ومنذ الاحتلال الفرنسي في ١٨٣٠، اختارت أغلبية اليهود «أن تكون فرنسية» مع تفاوت بين المدن مثل: الجزائر، أو وهران، حيث الموافقة ضخمة، وحملات قسطنطين حيث كانت أقل وضوحاً.

وقد ساعد في ذلك المجلس الكنيسي المركزي في فرنسا بقوة. وبعد ثلاثين عاماً «تكيّف اليهود بسرعة لا تصدّق مع اللغة والعادات والثقافة التي أدخلها الفرنسيون»؛ إذ أرادوا تبني «الصفة» الفرنسية في عام ١٨٦٠، قيل هذا إلى نابليون الثالث من قبل وفد عند أول زيارة له إلى الجزائر، وأرضاهم بعد ذلك المرسوم الصادر عن مجلس الشيوخ يوم ١٤ يوليو ١٨٦٥ جزئياً من خلال البند الثاني: «بنو إسرائيل فرنسيون ولكن سيستمرّ حكمهم وفقاً لقانون الأحوال الشخصية الخاصة بهم. ويجوز؛ بناءً على طلبهم، قبولهم للتمتع بحقوق المواطن الفرنسي وفي هذه الحالة يُحكمون بموجب القانون الفرنسي»⁽⁶⁴⁷⁾.

ولا يمنح النصّ سوى حقّ التجنّس الفردي بشرط تقديم تنازلات فيما يخصّ الزواج والميراث «الأحوال الشخصية» الخاصة بالطائفة، وكان يحقّ لمسلمي الجزائر الحصول عليهم، ولكن من أجل أن يصبحوا مواطنين عليهم التخلي عن قانون الأحوال الشخصية، وطلب أن يتمّ إدراجهم تحت طائلة «القوانين المدنية والسياسية لفرنسا»⁽⁶⁴⁸⁾.

باعترافهم «الفرنسية»، انضم يهود الجزائر إلى المستعمرين، رغم أنهم كانوا يُعتبرون «آخرين» بالنسبة للفرنسيين. على الرغم من أن البعض اتخذوا مهناً أوروبية أكثر نموذجية، فإن «غالبية اليهود كانوا جرفيين فقراء وأصحاب متاجر يخدمون زبائن مسلمين»⁽⁶⁴⁹⁾. علاوة على ذلك، أثارت النزاعات بين القانون الديني اليهودي السفارديم والقانون الفرنسي خلافاً داخل الطائفة، حيث قاوم السفارديم في الجزائر التغييرات المتعلقة بالشؤون العائلية، مثل الزواج⁽⁶⁵⁰⁾.

بعد غزو مزاب عام ١٨٨٢، صنفت الحكومة الفرنسية في الجزائر يهود جنوب الجزائر، مثل المسلمين، على أنهم «سكان أصليون»؛ وبالتالي كانوا يخضعون لحقوق مقيدة ومقلصة مقارنة بنظرائهم من يهود الشمال، الذين كانوا مواطنين فرنسيين بموجب «قانون كريميو» لعام ١٨٧٠. في عام ١٨٨١، كان هناك حوالي ٣٠.٠٠٠ يهودي فقط في جنوب الجزائر. صدرت قوانين «الأحوال المدنية المحلية»، في جنوب الجزائر، مع حاخامات يشرفون على القضايا القانونية. اعترفت الحكومة الفرنسية بالقوانين اليهودية المتعلقة بالقضايا المحلية، مثل: الزواج، والميراث.

في حين أن هذه القوانين سمحت بهيكلية اليهود بموجب القانون الحاخامي، إلا أنها منعت يهود الجنوب من الحصول على أو الوصول إلى فرص «النخبة»؛ لأن وضعهم الأصلي جعلهم مواطنين في مرتبة أدنى (651).

بعد الحرب العالمية الأولى، تشكلت في الجزائر عدة روابط يهودية في مدن: تلمسان، والمدينة، ومستغانم، أعربت جميعها عن تأييدها للفكرة الصهيونية. وعملت في الجزائر منذ العام ١٩٢٠ رابطة «العودة إلى صهيون» التي ضمت في البداية نحو ٢٧٠ عضواً، ومع هذا تفيد شهادات زعيمها أن الرابطة كانت محدودة التأثير في أوساط يهود الجزائر؛ إذ جاء في إحدى شهاداته: «إن أثرياء اليهود والشخصيات ذات النفوذ تقاطع الحركة الصهيونية، ولا يمكننا حتى الآن الاعتماد على تأييدهم. وتضم رابطتنا في صفوفها فقراء اليهود والعمال والمستضعفين، ونأمل في أن ننجح في جذب أثرياء وشرفاء اليهود، ولكنهم يدعون دائماً أنهم فرنسيون، وأنهم غير ملزمين بالاهتمام بالمسألة الصهيونية، وأنهم يشعرون بالارتياح في الجزائر» (652).

من حيث العدد، بلغ تعداد يهود الجزائر ١٧ ألف نفس في عام ١٨٣٠، و٢٤٦٠٠ في ١٨٧١، و٤٧٥٠٠ في ١٨٩١، و٥٧١٠٠ في ١٩١١، ثم ارتفع الرقم إلى ٧٤ ألف نفس في ١٩٢١، وإلى ١١٤ ألفاً في ١٩٣١، ثم أصبح ١٢٣ ألف نفس في عام ١٩٤١، و١٣٠ ألفاً في ١٩٤٦ (653).

في عام ١٩٣١، كان اليهود يشكلون أقل من ٢٪ من إجمالي سكان الجزائر، وتركزوا في المدن الكبرى: الجزائر وقسنطينة ووهران، التي تجاوز عدد السكان اليهود فيها ٧٪.

في ٥ أغسطس ١٩٣٤، اشتعلت شرارة التوتر والعنف في قسنطينة، بعد أن اعتدى يهودي يدعى «إلياهو خليفي» على المصلين المسلمين في مسجد سيدي لخضر، الذي كان يُدرّس فيه العلامة عبد الحميد بن باديس والكائن بحي الجزائريين؛ إذ سب المصلين والرسول الكريم وتبول على حائط المسجد (654)؛ ما أثار حفيظة المسلمين الذين اشتبكوا معه، ثم تقدموا بشكوى للشرطة، التي فرضت حراسة على منزل خليفي لتفادي أي صدام (655). غير أن خليفي وزوجته أطلا من نافذة المنزل وواصلوا السباب؛ لتشتعل المناوشات في رحبة الصوف، حيث أطلق يهود الرصاص على المسلمين (656). وسرعان ما شهدت الأيام التالية اشتباكات عنيفة بالأسلحة البيضاء والفؤوس والعصي، أدت إلى سقوط قتلى وجرحى، خاصة من جانب اليهود، وتعرض عدد كبير من الممتلكات والمحال التجارية للتخريب، قبل أن تحتوي السلطات الموقف بعد تدخل ممثلي الجانبين. كان أحد التحركات الأولى لنظام فيشي الموالي لألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، هي إلغاء آثار «قانون كريميو»، في ٧ أكتوبر ١٩٤٠؛ وبالتالي إلغاء الجنسية الفرنسية الممنوحة لليهود الجزائريين.

خلال ثورة التحرير الجزائرية، التي تُسمى في بعض الأدبيات حرب الجزائر، انحاز معظم اليهود الجزائريين إلى جانب فرنسا، بدافع الولاء للجمهورية الفرنسية التي ساندتهم، ضد حركة

الاستقلال الأصلية، علمًا بأنهم رفضوا ذلك الجزء من السياسة الرسمية التي اقترحت استقلال الجزائر. انضم بعض اليهود إلى جبهة التحرير الوطني التي تقاوم من أجل الاستقلال، لكن مجموعة أكبر كانت مشتركة مع «منظمة الجيش السري»⁽⁶⁵⁷⁾، وهي جماعة إرهابية أيدت أطروحة «الجزائر الفرنسية» بالاعتماد على العمل المسلح. كانت هذه المنظمة المعروفة اختصارًا باسم OAS تهدف إلى تعطيل مساعي الاستقلال عبر تفجيرات ومحاولات اغتيال لشخصيات جزائرية وفرنسية، بما في ذلك شارل ديغول وجان بول سارتر.

ونشرت جبهة التحرير الوطني بيانات تضمن مكانًا في الجزائر لليهود كمكون أساسي للشعب الجزائري⁽⁶⁵⁸⁾، أملاً في جذب دعمهم. ساعد المسلمون الجزائريون اليهود أثناء محاكمتهم في ظل نظام فيشي في الحرب العالمية الثانية، عندما تم إلغاء حقوق المواطنة بموجب «قانون كريميو»⁽⁶⁵⁹⁾.

استجاب بعض اليهود الجزائريين بشكل إيجابي لدعوة جبهة التحرير الوطني، بالانضمام إلى المجموعات الثورية المحلية، أو تقديم مساهمات مالية لها. وبالنسبة لهؤلاء اليهود، فقد أدركوا ارتباطًا مشتركًا بالجزائر، مع استذكار الممارسات المناهضة لليهود السائدة في أوساط الفرنسيين⁽⁶⁶⁰⁾. وبالنسبة للآخرين، فإن ذكريات أحداث عام ١٩٣٤، والحوادث التي حصلت بين المسلمين واليهود في قسنطينة وباتنة، لعبت دورًا في قراراتهم برفض العرض. بل إن فئات يهودية ساهمت في المجازر والجرائم التي ارتكبتها «منظمة الجيش السري»، خصوصًا في غربي البلاد؛ ما أحدث شرخًا بين اليهود والمسلمين في الجزائر، وهلعًا في أوساطها من سيناريو الانتقام منها بعد الاستقلال⁽⁶⁶¹⁾.

في عام ١٩٦١، وبموجب قانون الجمعية الوطنية الفرنسية رقم ٦١ - ٨٠٥⁽⁶⁶²⁾، تم أيضًا منح اليهود المزابيين، الذين تم استبعادهم من «قانون كريميو»، الجنسية الفرنسية⁽⁶⁶³⁾. بعد استفتاء عام ١٩٦١، ضمنت اتفاقيات إيفيان عام ١٩٦٢ استقلال الجزائر. على الرغم من النداءات الأخيرة في الجزائر لليهود للبقاء، اختار حوالي ١٣٠ ألف يهودي جزائري مغادرة البلاد، وذهبوا إلى فرنسا، في حين هاجر حوالي ٢٥ ألف يهودي جزائري إلى إسرائيل⁽⁶⁶⁴⁾. موجة الهجرة كانت كبيرة ولم يصمد أمامها إلا القليل، مثل: عائلات بلعيش، أبو الخير، طوبيانا Toubiana، فج Guedj، سالمون - كوهين⁽⁶⁶⁵⁾ Salomon -Cohen.

الرحيل لم يكن مبررًا؛ لأن اتفاقيات إيفيان ضمنت مصالح وحرية وحقوق «الأقليات الأوروبية» بما فيها اليهود، الذين اختاروا أثناء الثورة وقبلها الانتماء الأوروبي. الأقلية اليهودية التي بقيت في الجزائر كانت في أغلبها متعاطفة مع الثورة، وظلت تعيش حياة جزائرية عادية بلحوا ومُرّها وتمتع بكامل حقوقها وحرّياتها، ولم تتدمر مطلقًا على البقاء، كما يقول أحد أعضائها، مارسيل بلعيش؛ لأنه ببساطة «جزائري حتى النخاع»⁽⁶⁶⁶⁾.

الشاهد أن الحكومة الإسرائيلية ومن خلفها الحركة الصهيونية، لعبت دورًا ملموسًا في تشجيع يهود المغرب وتونس على الهجرة إلى إسرائيل، لكنها كانت أقل حذرًا في الجزائر، فبالرغم من توفير تأشيرات السفر والمساعدات الاقتصادية؛ فإن ٥٨٠ يهوديًا فقط هاجروا من الجزائر إلى إسرائيل في الأعوام ١٩٥٤ - ١٩٥٥.

بعد توسع رقعة الاحتلال الإسرائيلي عقب حرب عام ١٩٦٧، ازداد النشاط الصهيوني بين أفراد الجالية؛ الأمر الذي ساهم في هجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة. في مطلع الألفية الثالثة، أشارت التقديرات إلى وجود ما بين ١٠٠ حتى ٢٠٠ يهودي في أنحاء الجزائر كافة. أما الدبلوماسي الإسرائيلي المتقاعد داني أيلون ذي الجذور الجزائرية، والذي شغل منصب نائب وزير الخارجية وعضو الكنيست، فيضيف سببًا آخر: «لا شك أن حيازة الجنسية الفرنسية كانت محفزًا على الهجرة إلى فرنسا باعتبار اليهود ذوي ثقافة فرنسية ويتكلمون اللغة».

في إسرائيل، كان صهاينة من يهود الجزائر من بين أوائل مستوطني بلدات «عين هود» المهجرة، ومستوطنة «تسروفا»، و«يوشيفيا». أحد هؤلاء اليهود الذين قدموا إلى البلاد، هو جوليان أبو. وُلِدَ في الجزائر عام ١٩٣١ في مدينة «مليانة». بعد انتهاء تعليمه نجح في القبول للعمل في البريد الفرنسي، وتم إرساله إلى فرنسا. يتذكر الانتقال إلى فرنسا كتجربة صعبة جدًا بالنسبة لشاب صغير، وينتقل إلى بلاد شديدة البرودة، وحده، لكن في ظل الوضع الصعب في الجزائر وحرب التحرير، قرر البقاء في فرنسا. ثم عاد فقط من أجل الزواج بحبيبته، وبعد الزفاف فورًا، سافر مع زوجته الجديدة إلى فرنسا.

في فلسطين المحتلة، يهتم اليهود الجزائريون بالحفاظ على الثقافة الجزائرية وإحياء مؤتمر سنوي إضافة إلى الموسيقى. في مجموعة الفيسبوك «يهود الجزائر»، يتم نشر مواعيد عروض المغنين من أمثال نينو بيطون المشهور بلقبه «نينو المغربي»، الذي يعزف مع فرقة المغرب موسيقى جزائرية كلاسيكية، وموسيقى شعبية، وأناشيد خاصة من الموسيقى الجزائرية. كذلك، المغني الفرنسي من أصول يهودية جزائرية، إنريكو ماسياس، الذي يدمج في عروضه رحلة إلى جذوره الموسيقية الجزائرية، اليهودية والأندلسية، ويُقدّم عروضًا في فلسطين المحتلة.

أوردت الدائرة المركزية الإسرائيلية للإحصائيات أرقامًا تخص اليهود الذين غادروا الجزائر نحو إسرائيل، من ١٩٤٨ إلى غاية ٢٠١٤، ويبلغ عددهم الإجمالي ٢٩ ألفًا و١٥٦ يهوديًا، وبلغت ذروة المغادرة من ١٩٦١ إلى ١٩٧١؛ ما يقارب ١٣ ألف يهودي، بينما كان أدنى عدد سُجِّلَ، في عام ٢٠١٣ بـ ٢٨٥ يهوديًا، وثلاثة أضعاف هذا الرقم؛ أي ٧٨٢ يهوديًا، عام ٢٠١٤ ممن غادروا الجزائر دون رجعة.

جاءت الجزائر في المرتبة الثانية في إفريقيا بعد تونس، فيما يخص أعداد اليهود الذين غادروها دون رجعة نحو إسرائيل عام ٢٠١٤، فقد أظهرت وثيقة نشرتها الدائرة المركزية الإسرائيلية

للإحصائيات، على موقعها الإلكتروني، أن عدد اليهود المغادرين للجزائر في العام المذكور، بلغ ٧٨٢ يهودياً، مقارنة بتونس التي غادرها ٨٧٤ يهودياً، ويقل هذا العدد بقليل في المغرب عن الجزائر وتونس، بـ٧٢٩ يهودياً.

واكتفى التقرير بكشف عدد اليهود الذين غادروا الجزائر فقط، بدءاً من ١٩٤٨ إلى ٢٠١٤، ولم يورد الأسباب التي دفعت هؤلاء للرحيل نحو إسرائيل. فخلال الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥١؛ أي بعد إعلان قيام إسرائيل، غادر من الجزائر ٣ ٨١٠ يهود، فيما قل العدد في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠، إلى ٣٤٣٣ يهودياً مغادراً.

وسجلت الوثيقة مغادرة على نطاق كبير لليهود الجزائر، خلال الأعوام من ١٩٦١ إلى ١٩٧١، فبلغ العدد ١٢ ألفاً و٨٥٧ يهودياً، وبدأ عدد اليهود المغادرين يتناقص بعد هذه الفترة، إلى ٢١٣٧ يهودياً من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٩، وزاد العدد في الانخفاض إلى ١٨٣٠ يهودياً من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩، كما استمر العدد في الانكماش إلى ١٤٤٣ يهودياً من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٩، رغم أن هذه الفترة شهدت سنوات الإرهاب.

وعاود عدد اليهود الذين غادروا الجزائر نحو إسرائيل، الارتفاع ليصل إلى ٢٥٠٦ يهود من ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٢، علماً بأن هذه الفترة بدأت فيها الجزائر تشهد استقراراً أمنياً ملحوظاً. لكن عدد اليهود المغادرين انخفض بشكل كبير خلال عام ٢٠١٣، (مغادرة ٢٥٨ يهودياً) وإن كان هذا العدد سُجِّلَ في عام واحد، ثم تضاعف العدد في عام واحد بثلاث مرات، عام ٢٠١٤، إلى ٧٨٢ يهودياً⁽⁶⁶⁷⁾. ومقارنة بسبع دول من إفريقيا التي شملتها إحصائيات عام ٢٠١٤، جاءت الجزائر في المرتبة الثانية بين هذه الدول، من حيث عدد اليهود الذين غادروها. تصدرت تونس القائمة بـ٨٧٤ يهودياً، يليها المغرب بـ٧٢٩ يهودياً، ثم الجزائر بـ٧٨٢ ورابعاً إثيوبيا بـ٢١١ يهودياً. أما العدد الإجمالي لليهود المغادرين هذه الدول، فاحتل المغرب المرتبة الأولى بـ٢٧٣ ألفاً و١٠٣ يهود.

وتزامنت مغادرة ٧٨٢ يهودياً للجزائر نحو إسرائيل، مع جدل واسع في البلاد، عقب إعلان وزير الشؤون الدينية، محمد عيسى، إعادة فتح المعابد اليهودية للعدد المتبقي منهم في الجزائر، والتي كانت دافعاً لخروج مئات السلفيين إلى الشارع تنديداً بهذا القرار. ومع خروج الوضع عن طبيعته، استدرك الوزير قائلاً: إن «الجزائر تذكر بمبادئ الجمهورية ودستورها الذي يتيح فتح هذه المعابد إذا توفرت الشروط الأمنية». وسبق هذه الإحصائيات تقرير أمريكي حول حرية ممارسة الأديان في العالم، يذكر فيه أن «يهوداً ومسيحيين يخشون على حياتهم» في الجزائر، رغم أن قوانينها تسمح لغير المسلمين بممارسة شعائرهم الدينية، طالما أنهم يحترمون النظام العام والأخلاق، والحقوق والحريات الأساسية للآخرين. كما أشار إلى «ابتعاد يهود ومسيحيين عن الأضواء؛ بسبب مخاوف على سلامتهم الجسدية، واحتمال التعرض لمشكلات مع القانون».

ونقل التقرير عن «زعماء دينيين» أن «أقل من ٢٠٠ يهودي يوجدون في الجزائر»، فيما تذكر

تقديرات غير رسمية أن عدد المسيحيين يتراوح ما بين ١٠ آلاف و ٢٠ ألفاً، بحسب التقرير الذي أضاف أن ٩٩٪ من سكان الجزائر (إجمالي السكان ٣٨,٨ مليون نسمة)، ينتمون للمذهب السنّي، مشيراً في السياق نفسه إلى «شعور بعض اليهود بالراحة الاجتماعية وسط جيرانهم المسلمين». في عام ١٩٤٨، كان عدد اليهود في الجزائر حوالي ١٤٠ ألف نسمة، إلا أنه انخفض في عام ٢٠١٨ إلى أقل من خمسين نسمة بسبب هجرة الكثير منهم إلى إسرائيل وفرنسا⁽⁶⁶⁸⁾. ويقدر البعض أن هناك الآن أقل من ٢٠٠ يهودي في الجزائر⁽⁶⁶⁹⁾.

من الشخصيات اليهودية البارزة ذات الأصول الجزائرية:

الرياضة

لويس أكارياس (ملاكمة)، وليام عياش (كرة القدم)، الفرنسي حلّيمي (ملاكم).

الصحافة والإعلام

بول عمار، آلان عياش (إيفلين بايلت)، جورج بورتوليجان، بيار ألكباش جان كلود ايبارلي (المدير العام السابق للقناة الثانية (A2)، دانيال جانك (CFJ)، وويليام ليمارجي (القناة الثانية)، بول ناحون (A2)، جاك باولي (أوروبا ١).

السياسة والوظائف العمومية

الوزراء: روني لونوار، كريستيان نوسي، آلان سافاري.

البرلمانيون: غي علوش (سيناتور عن الحزب الاشتراكي)، غي كابالان (سيناتور)، جان شارل كاغايي (نائب عن التجمع من أجل الجمهورية)، بيار ديكاف (نائب عن الجبهة الوطنية)، فريدي ديشو - بوم (نائب عن الحزب الاشتراكي)، ميشال حنون (نائب عن التجمع من أجل الجمهورية)، جوزيف خليفة (نائب عن الاتحاد الديمقراطي الفرنسي)، مارك لورويل (نائب عن التجمع من أجل الجمهورية)، جوليت نوغو (نائب عن الحزب الاشتراكي)، بيار باسكيني (نائب عن التجمع من أجل الجمهورية)، بول بيرنان (نائب عن التجمع الديمقراطي الفرنسي)، ألبير بيرون (نائب عن الجبهة الوطنية).

دواوين وإدارات: جاك غوتيه دولافيريير (دبلوماسي)، رفاييل هداس لوبال (مجلس الدولة)، شارل مالو (دبلوماسي).

الأعمال: ميشال اكسال، آلان أفلو، جان شارل بن شتريت، روبير غاشي، برنار كريف، هنري مونود، ايتيان مولان.

الأطباء: بول أي جوزي ابولكر، جان بيار بن حمو، كلود مولينا، راؤول طوبيانا.

الأدب والفن

فنون وآداب: هنري أتلان، ماري كاردينال، أندري شوراقي (ابن سعديا شوراقي ومليحة بنت

أبراهام مايير)، جان دانيال، جاك دريدا، روبير مارل، جان بيليجري، إيمانويل روبلس، جول روا، دانيال سانتمون، ريشارد عيون، برنارد كوهين، ميشال أبي الطبول، روبير عطل.
مخرجون ومنتجون سينمائيون: ألكسندر اركادي، روجيه بنمو، بيار كاردينال، ابدار اسكار، مارسال كارسنتي، فيليكس مرواني، سارج مواتي.
الممثلون: فرانسواز ارنول، جان بيير بكري، غي بيدوس، جان بن جوجي، جوليان برتو، جان كلود بريالي، روبير كاستال (اسمه الحقيقي «مو يال»)، أني فراتيليني، روجر حنين، مارلين جوبير، جان نغروني، لوسيت صهوكيت، مارت فيلا لونجا.
مغنون: إنريكو ماسياس (اسمه الحقيقي هو غاستون غريناسيا)، غي ماردال، مارسيال سولان، روني بيريز، الشيخ ريمون (أحد رواد غناء «المالوف»)، آلان شقرون، ناداف غيدج، سليم الهاللي، موريس المديوني، لاین ماركوس، باتريك برويل.

تاريخياً، يعود وجود اليهود في تونس إلى القرن السادس قبل الميلاد، تزامناً مع خراب هيكل سليمان، حيث وجدت أقدم الآثار الماديّة للمعابد اليهوديّة قرب حمام الأنف، أو قليبيّة، على الساحل الجنوبي لتونس، وتعود إلى الفترة الرومانيّة.



صانع يهودي يماني في متجره في إسرائيل عام ١٩٥٨

وليهود تونس والعالم موعد سنوي لزيارة كنيس «الغربية» في جربة، الذي يتمتع بمكانة خاصة لديهم، فهو أقدم معبد يهودي في إفريقيا، ويضم؛ وفقاً ما يقول البعض، واحدة من أقدم نسخ التوراة في العالم⁽⁶⁷⁰⁾. ويؤدي اليهود هناك الصلوات، ويشعلون الشموع، ويقدمون الذبائح الخاصّة بهم، وينشدون أناشيد دينيّة، ويتناولون نبيذ «البوخاه»، المستخرج من التين، ويشتهر بصناعته يهود تونس دون سواهم.

نشأت الجالية اليهوديّة في تونس بعد موجات متتالية من الهجرة والتبشير قبل أن تعرقل تطورها الإجراءات المعادية لليهود في الإمبراطوريّة البيزنطية، ويبدو أن هذا الاستقرار القديم في تونس قد يسّر لليهود لمّ شملهم بعد تشتتهم في صُلب مجموعات يهوديّة أو قبائل، حافظوا من خلالها على تكتلهم، وعلى خصائصهم الدينيّة والثقافيّة، دون أن يمنع ذلك التحامهم بالمجتمع البربري. فقد ظهرت قبائل يهوديّة بربرية، اشتركت مع البربر في أساليب عيشهم وطرقه، ويُعبّر هذا الانصهار عن تلاقح حضاري أفرزته علاقة التأثير والتأثر بين الجانبين⁽⁶⁷¹⁾.

كانت المجموعات اليهوديّة تستخدم في السابق لهجتها الخاصّة من اللغة العربيّة. بعد الفتح الإسلامي لتونس، مرت اليهوديّة التونسيّة بفترات من الحرّيّة النسبية أو حتى الذروة الثقافيّة إلى

فترات تمييز أكثر وضوحًا. وتشير بعض الدراسات إلى نشأة طائفة يهودية في القيروان تتكوّن من تجار وحرفيين، تزامن توطينها مع حملة عقبة بن نافع بغية إعمار عاصمة الإسلام الأولى في شمال إفريقيا. وتتضارب المعلومات حول أصول هذه الطائفة، فهناك رأي يذكر أنها قُدمت من يثرب عقب انتشار الإسلام في الجزيرة العربية⁽⁶⁷²⁾، ورأي آخر يشير إلى أن هذه الطائفة استُقدّمت مع عائلات قبطية لتنشيط الدورة الاقتصادية، ولدعم جهود الفاتحين⁽⁶⁷³⁾، وآراء ثالثة ركزت على موجات هجرة اليهود من المشرق، ومن الأندلس بعد فتحها، دُعمت أعداد اليهود عامةً في إفريقيا، وميزة هذه الهجرات أنها ذات أصول متنوعة وسلالات مختلفة⁽⁶⁷⁴⁾.

وتعد ناجدية القيروان أول مؤسسة يهودية رسمية أوكل إليها رعاية شؤون اليهود في الشمال الإفريقي؛ إذ تم تنصيب أبراهام بن عطا ناجدًا (رئيسًا لليهود) للقيروان في النصف الأول من القرن الميلادي الحادي عشر. ولعل سبب اختيار لهذا السبب هو قربها من أصحاب السلطان واتخاذ القرار، فقد كان يرافق باديس بن منصور في رحلاته الحربية إلى الغرب⁽⁶⁷⁵⁾، كما عمل طبيبًا لابنه المعز⁽⁶⁷⁶⁾.

أدى وصول اليهود المطرودين من شبه الجزيرة الإيبيرية، غالبًا عبر ليفورنو، إلى تغيير البلاد بشكل كبير. يمكن القول: إن يهود ليفورنو الذين حطوا رحالهم في إيالة تونس (وهو تقسيم إداري عثماني)، لم يكن لهم من مقصد غير استثمار أموالهم عبر قنوات التجارة البحرية، والبحث عن فرص تجارية رابحة لتنمية أموالهم. لم يواجه تجار الجالية القرنية منذ حلولهم في إيالة تونس، قادمين من ليفورنو في بداية القرن السابع عشر؛ ما يهدد أمنهم وسلامتهم، أو يعكر صفو تجارتهم التي ازدهرت. ومن أشهر العائلات اليهودية القرنية في الإيالة التونسية خلال القرن السابع عشر: لمبروزو Lambcodo، ومدينا Medina، ولوزادا، وإسرائيل، وأسونة Oddfna، ودرمون Dacmon، وفلنسي (أو فلنسينو)، وفرانكو Fcanco، وشالوم⁽⁶⁷⁷⁾.

ورغم ترحيب اليهود المحليين بهم في بداية الأمر، فإن الاختلافات في ممارسة الطقوس الدينية بين عناصر المجموعتين، بحكم تباين الانتماءات العقائدية والثقافية؛ تسببت في انشقاق يهود الجالية القرنية بصفة فعلية عن المجتمع اليهودي في الإيالة عام ١٧١٠، ليكوّنوا طائفة ثانية في البلاد مستقلة في تسيير شؤونها والإشراف بذاتها على موارد صناديقها، والتخلص خاصة من أعباء أداء مبالغ كبيرة فرضتها عليهم رئاسة الطائفة المحلية لثرائهم⁽⁶⁷⁸⁾.

ظلت المجموعتان اليهوديتان في تونس في حالة قطيعة تامة حتى العام ١٩٤٤ لأسباب متعلقة بالتقاليد، وأسلوب التدين، واختيار يهود القرانة العيش في غيتو خاص بهم. ولكن، في العام ١٩٤٤، اتحدت الطائفتان بعد رفع رؤسائهما القوانين التي تُحرّم الزواج بينهما.

ديموغرافيًا، لم تتغيّر خارطة التوزيع الجغرافي لليهود في تونس كثيرًا في الفترة الحديثة عما كانت عليه في العهد الحفصي (١٢٠٧ - ١٥٤٧)، باستثناء بروز بعض الأماكن مثل: زغوان،

وتستور التي استقر بها عددٌ قليل من اليهود إلى جانب الموريسكيين؛ إثر حملات التهجير من شبه (679)الجزيرة الإيبيرية، أو ظهور مناطق أخرى، مثل حلق الوادي وأريانة(680). عقب السماح لأفراد الأقلية اليهودية بالسكن خارج محيط الحارة. وبخلاف هذه الأماكن فإن بقية المناطق الأخرى في أغلبها مراكز تجمعهم القديمة التي شملت أساساً المدن الكبرى للبلاد، وخاصة العاصمة، وجربة، وسوسة، وصفاقس.

أثار إدراج اليهود في الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن في ٢٧ سبتمبر ١٧٩١، والمراسيم النابليونية لعام ١٨٠٨ تعاطفاً معيناً مع فرنسا في صفوف يهود تونس الذين كانوا جميعاً رعايا للباي الذي يحكم البلاد. وهكذا، في عام ١٨٠٩، ذكرت السلطات الإسبانية أن «اليهود هم أشد أنصار نابليون بلا هوادة». حتى أنه تم الإبلاغ عن أن بعض اليهود، بما في ذلك يهود «القرنة» أو «القرانة» - الذين طردوا من إسبانيا والبرتغال واستقروا في مرحلة أولى في مدينة ليفورنو الإيطالية - كانوا يرتدون في ذلك الوقت زيّاً ثلاثي الألوان، وهو تصرف حظره بشدة حمودة باشا بن علي (باي تونس من ١٧٨٢ إلى ١٨١٤)، والذي رفض أي محاولة من قبل فرنسا لأن تضع تحت حمايتها رعاياها اليهود المنحدرين من غزو نابليون حديثاً لإقليم توسكانا الإيطالي. وحددت المادة ٢ من معاهدة ١٠ يوليو ١٨٢٢، الموقعة مع دوقية توسكانا الكبرى، مدة إقامة يهود «القرنة» في تونس بعامين؛ وكانوا يندرجون أيضاً تحت سيادة الباي وتم منحهم الوضع نفسه مثل سكان البلد «التوانسة».

في الوقت نفسه، بينما كانت تونس تفتتح تدريجاً على التأثيرات الأوروبية وتخضع أيضاً لضغوطها، أطلق أحمد باي بن مصطفى (أو أحمد باي الأول) سياسة الإصلاح. بموجب قانون تعديل المعاهدة التونسية التوسكانية لعام ١٨٢٢، الموقعة في ٢ نوفمبر ١٨٤٦، فإن «القرنة» المستقرة أوضاعهم في تونس بعد المعاهدة أو أولئك الذين جاؤوا للاستقرار هناك، امتلكوا الحق في الاحتفاظ بوضعهم كتوسكانيين دون أي حد زمني، لكن هذا القانون لم ينطبق على «القرنة» الذين وصلوا قبل عام ١٨٢٢. شجع هذا القرار الكثير من يهود «القرنة» ذوي الأصل الإيطالي على الهجرة إلى تونس، حيث شكّلوا أقلية أجنبية - ٩٠ شخصاً في عام ١٨٤٨، عززهم عدد قليل من اليهود الفرنسيين والبريطانيين - وعاشوا تحت حماية قنصل توسكانا في منطقة الفرنك بتونس على عكس القرنة السابقين الذين كانوا يستقرون في حي الحارة.

في عهد أحمد باي الأول (١٨٣٧ - ١٨٥٥)، تمتع اليهود بالازدهار. وافتتح خليفته، محمد باي بن حسين (أو محمد باي)، حكمه عام ١٨٥٥ بإلغاء الكدح الذي فرض على اليهود؛ ربما استخدم «القائد» (وهو لقب الشخص الذي كان يمثل اليهود في التعامل مع السلطات) جوزيف شمامة، الذي كان مقرباً من الباي، نفوذه لصالح إخوانه في الدين. في ذلك العام، أعدم محمد بك يهودياً يُدعى باتو سفسس بتهمة التجديف. أثار هذا الإعدام كلاً من اليهود والمسيحيين، وتم إرسال مندوب

إلى نابليون الثالث، يطلب منه التدخل لصالحهم. بعد عامين من المفاوضات الدبلوماسية، تم إرسال رجل حرب لفرض مطالب الحكومة الفرنسيّة. استسلم محمد باي وأصدر دستورًا يتمتع بموجبه جميع التونسيين بحقوق متساوية دون تمييز في العقيدة. كانت المواد التالية من هذا الدستور ذات أهمية خاصة لليهود:

(الفقرة ٤) «لن يتم فرض أي شكل من أشكال الإكراه على رعايانا اليهود لإجبارهم على تغيير عقيدتهم، ولن يتم إعاقتهم في حرية ممارسة شعائرهم الدينيّة. وسيتم احترام معابدهم وحمايتهم من الإهانة».

(المادة ٦) «عندما تصدر محكمة جنائية النطق بالعقوبة التي تقع على يهودي، يتم إلحاق المحكمين اليهود بالمحكمة المذكورة».

ألغى الدستور عام ١٨٦٤ إثر ثورة تسببت في معاناة كبيرة للعديد من الجاليات اليهوديّة، لا سيما في صفاقس، لكن الخوف المستمر من التدخل الأجنبي جعل الحكومة حذرة للغاية في معاملتها لليهود.

على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، كان اليهود في تونس في القرن التاسع عشر غير متجانسين إلى حدّ كبير. في موانئ البلاد، سيطر التجار اليهود من أصل أوروبي، جنبًا إلى جنب مع المسيحيين، على تبادل البضائع مع الدول الأجنبيّة، وهمنوا على أكثر من نصف البيوت التجاريّة العاملة في البلاد. إلى جانب هذه الطبقة الثريّة من التجار والمصرفيين، وخاصة أهل ليفورنو، كانت هناك طبقة وسطى تتكون من التجار والحرفيين. لعب هؤلاء اليهود دورًا مهمًا في تجارة التجزئة، لا سيما في العاصمة، حيث تمتعوا بمكانة بارزة في سوقين للمدينة: أحدهما متخصص في السلع الاستعمارية والأجهزة والبضائع الواردة من باريس، والآخر متخصص في الستائر والحريز الإنجليزي والفرنسي. كان الكثير منهم ينخرطون أيضًا في أنشطة حرفيّة، مثل صياغة الذهب، التي احتكروها، وكذلك صناعة الملابس والأحذية. كما عملوا في مجال إقراض الفلاحين والحرفيين بفائدة ماليّة. في المناطق الريفيّة في نابُل، وقابس، وجربة، كان اليهود مشغولين بصناعة النبيذ وزراعة النخيل، أو أشجار الفاكهة، وتربيّة المواشي. شهدت تلك الفترة بروز عائلات معروفة صاحبة جاه وثروة مثل: لمبروزو، وعتّال، وشّمّامة، وتقلّد الكثير منهم مناصب في وزارة المال ودار السكّة (681).

الطريف أن نسيم شمّامة الذي عمل وزيرًا للمال خلال عامي ١٨٦٠ و ١٨٦٤ اضطر للرحيل عن تونس بعد أن وجهت له تهمة اختلاس أموال من الخزّانة، لكن هذا الاتهام لم يحلّ دون تولي ابن أخيه في مرحلة لاحقة المنصب نفسه خلال عامي ١٨٦٤ و ١٨٧٣، لكنه اضطر فيما بعد للرحيل عن تونس بعد أن وجهت إليه اتهامات مماثلة.

وعشية الاحتلال الفرنسي لتونس، برز في تونس الطبيبان يعقوب كوستلنوافو وأفراهام

لمبروزو، حتى أن كوستلنوافو كان من الأطباء الخصوصيين للحاكم أحمد صدوق (١٨٣٧ - ١٨٥٥)، وكذلك محمد صدوق (١٨٥٥ - ١٨٥٩)، كما أرسله الحاكم التونسي الباي محمد في عام ١٨٦٨ إلى إيطاليا لإبرام اتفاقية تجارية بين تونس وإيطاليا. أما لمبروزو فكان من كبار مستشاري محمد صدوق، وتولى إبان حرب القرم قيادة سلاح المعونات الطبية بالجيش التونسي الذي أُرسِل إلى الجبهة للوقوف بجانب الإمبراطورية العثمانية⁽⁶⁸²⁾.

كانت هناك أيضًا طبقة فقيرة من اليهود لم تكن قادرة على البقاء على قيد الحياة بدون الأعمال الخيرية التي ينظمها مجتمعهم. مجموعة أخرى، اليهودية (باللغة العبرية تعني «الغرباء») كانوا من اليهود شبه الرحل في غرب تونس وشرق الجزائر الذين عاشوا حياة قبلية، مثل حياة البدو، وكسبوا عيشهم من الزراعة والبيع والحدادة⁽⁶⁸³⁾. كانت القبائل اليهودية في منطقة الوردية بمحافظة الكاف من القرائين وهم من البدو الرحل. وظل نسلهم، الملقب أيضًا باسم «البهوس»، في الجزء الشرقي من الجزائر حتى العصر الحديث⁽⁶⁸⁴⁾.

تحسّن الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لليهود تونس بشكل ملحوظ تحت مظلة الحماية الفرنسية (١٨٨١ - ١٩٥٦)، وسهّل الاتصال بالمستعمرين الفرنسيين لتونس والوجود الرسمي للفرنسيين استيعاب يهود تونس للثقافة الفرنسية وتحررهم. اعتمادًا على شعار الثورة الفرنسية (الحرية، والمساواة، والأخوة)، راودت اليهود آمالٌ بحياة أفضل وكانوا متقبلين جدًا للتأثيرات الفرنسية الجديدة، على الرغم من أنهم كان بصدد مفاهيم ومبادئ أوروبية مسيحية. بالنسبة للجيل الذي ولد تحت الحماية، حلت اللغة الفرنسية محل اليهودية والعربية كلغة أم لليهود في تونس الفرنسية⁽⁶⁸⁵⁾. بالإضافة إلى ذلك، بدأ المزيد من الأطفال اليهود في الالتحاق بالمدارس الحكومية في جميع أنحاء البلاد؛ مما أدى ببطء إلى انتشار الثقافة الفرنسية، وتغيير نمط الحياة داخل المجتمع اليهودي⁽⁶⁸⁶⁾.

بلغت الأرقام، بلغ عدد يهود تونس ٢٥ ألف نفس في عام ١٨٨١، وارتفع عددهم ٥٠.٥٠٠ في عام ١٩١١، ثم أصبحوا ٥٤ ألفًا في ١٩٢١، و ٦٠ ألفًا في ١٩٢٦، و ٧٠ ألفًا في ١٩٣١، و ٨٠ ألفًا في ١٩٣٦، و ٨٩٧.٠٠٠ في العام ١٩٤١، قبل أن يصل عددهم إلى ١٠٠ ألف نفس في العام ١٩٤٨⁽⁶⁸⁷⁾.

تشكّلت أول رابطة من الشباب الصهيوني في تونس بعد انتهاء المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في بازل. وتعد «رابطة صهيون» التي تأسست في عام ١٩١١ بمنزلة أول جهة نظمت النشاط الصهيوني في تونس، وضمت هذه المنظمة في صفوفها الشخصيات التي أصبحت فيما بعد، وخاصة في العشرينيات، من أبرز الشخصيات الصهيونية في تونس، والتي كان من بينها: ألفرد وينسي، ويوسف رامي، وهنري معرق. كان من بين أنشطة هذه الرابطة إصدار صحيفة «صوت صهيون». وضمت هذه الرابطة في صفوفها الاتجاهات العلمانية والدينية على حدّ سواء،

وكانت هذه السمة من بين السمات المميزة أيضًا لرابطة «يوشيفيت تسيون» الصهيونيّة، واقتصرت أنشطة الرابطين على مدينة تونس، كما لوحظ حرصهما على عدم التعاون أو تنسيق الأنشطة مع الروابط الصهيونيّة التي أقيمت في الضواحي مثل: رابطة رترحام تسيون» التي عملت في مدينة سوسة، ورابطة «محبّة صهيون» التي عملت في صفاقس، ورابطة «أبناء صهيون» التي تأسست في مدينة بيجة إبان الفترة التي وصلت فيها الحرب إلى الذروة (688).

كانت هناك في تونس في عام ١٩١٧ اثنتا عشرة رابطة صهيونيّة، انتشرت في كل من: تونس، والمهدية، وصفاقس، وسوسة، وجربة، وغيرها، وبلغ أعضاء هذه الروابط كافة ٢٠٠٠ يهودي. مارست كل هذه الروابط أنشطتها بموافقة الفرنسيين، وكانت لهذه الروابط كافة صلات مباشرة أو غير مباشرة بالاتحاد الصهيوني؛ إذ وزعت هذه الروابط «الشيكال» الصهيوني وأسهم الاستيطان في فلسطين. ومع حلول عام ١٩٢٠، وافقت هذه الروابط على الاتحاد وتشكيل ما عُرف فيما بعد باسم «الاتحاد الصهيوني التونسي»، الذي حظي بعد مضي ثلاثة شهور على تأسيسه باعتراف رسمي من قبل السلطة؛ الأمر الذي أتاح للحركة حرية ممارسة أنشطتها الصهيونيّة، والتعبير عن جميع آرائها في مجلة La Voii @ive التي كانت تُصدرها.

وربما يكون خير دليل على نجاح الحركة الصهيونيّة في تونس أن زعماء الطائفة كافة رحبوا بالتوقيع على البيان الذي أصدره الاتحاد الصهيوني في عام ١٩٢٢ بمناسبة افتتاح صندوق التبرعات لصالح الصندوق القومي اليهودي (689).

وفي الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقعت مشكلات تنظيمية وصراعات نفوذ بين مؤسسات الاتحاد الصهيوني التونسي، وفي عام ١٩٣٠ تشكلت نواة منظمة «هشومير هتسعير»، التي كانت تابعة لاتحاد المراقبين العبريين المحلي، لكن آراءها المتطرفة أفضلت جهودها في كسب ود يهود تونس.

ظلت الأوضاع جيّدة للجماعات اليهوديّة في تونس، قبل تعرّضها للخطر خلال الحرب العالميّة الثانية، وسط مخاوف من احتلال قوات المحور للبلد.

بعد هدنة ٢٢ يونيو ١٩٤٠ أو معاهدة وقف إطلاق النار الثانية في مدينة كومبيين، بين ألمانيا النازيّة وفرنسا بعد الانتصار الألماني الساحق في معركة فرنسا، أصبحت الحماية الفرنسيّة لتونس جزءًا من فرنسا الفيشية، أو الدولة الفرنسيّة الجديدة التي يحكمها المارشال فيليب بيتان أثناء احتلال ألمانيا النازيّة لفرنسا في الحرب العالميّة الثانية. تحت حكم نظام بيتان المتواطئ مع النازيّة، تعرّض يهود فرنسا الفيشية وتونس الفيشية لقانونين معاديين لليهود (النظام الأساسي لليهود في ٣ أكتوبر ١٩٤٠ و ٢ يونيو ١٩٤١)، مثل يهود فرنسا. وهكذا، عرّفت التشريعات التمييزيّة لليهود، ومنعتهم من العمل في الخدمة العامّة، وفي المؤسسات التعليمية، والصحافة، وفي عدد من المهن الحرة، وعدّتهم (الإحصاء اليهودي)، وأجبرتهم على تسجيل ممتلكاتهم ليتم الاستيلاء عليها لاحقًا؛

ونتيجة لذلك، وجد اليهود أنفسهم في منزلة أدنى من «السكان الأصليين» وعانوا اقتصادياً. في أغسطس ١٩٤١، جاء زافييه فالانت، رئيس مكتب الشؤون اليهودية Commiddaciae Gwnwal afi Qfediond @ived من متروبوليتان فرنسا للتحقق من المسألة اليهودية. وبدا واضحاً أن معاناة يهود تونس والجزائر والمغرب في تلك الفترة مرتبطة جوهرياً بمصير فرنسا وأوضاعها خلال تلك الفترة.

وفي ٩ ديسمبر ١٩٤٢ أقدم الجنود النازيون تحت قيادة الكولونيل فالتر راوف Malæc Raff على إيقاف عدّة تونسيين يهود في أماكن من العاصمة التونسية بما فيها البيعة الكبيرة، وحول مدرسة التحالف الإسرائيلي العالمي. وكان ذلك الحادث بدايةً لشهور عدّة من الاضطهاد، وأُرسل زهاء ٥٠٠٠ من اليهود إلى الأشغال الشاقة في معسكرات العمل الإجباري بينزرت، وماطر، وزغوان، والنفيضة، وكندار، وصفاقس، والقيروان، ونابل، وفي منطقة تونس العاصمة. وأقدم النازيون في أبريل ١٩٤٣ على ترحيل تونسيين من الطائفة اليهودية جواً إلى معسكرات الاعتقال في ألمانيا والنمسا وبولندا ولم يعد منهم سبعة عشر مواطناً كان من بينهم الملاكم يونغ بيريز بطل العالم في وزن الذبابة الذي أوقف في فرنسا وتمّ ترحيله ثمّ تصفيته خلال مسيرات الموت يوم ٢٢ يناير ١٩٤٥.

ولئن كانت قوّات ألمانيا النازية هي المسؤولة الأولى عن تلك الحملة، إلا أن جيش الاحتلال الفرنسي يتحمّل قسطاً كبيراً من المسؤولية عن اضطهاد التونسيين اليهود خلال الاحتلال الألماني لتونس وحتى قبل ذلك؛ فمنذ قيام نظام فيشي عام ١٩٤٠، أُخضع يهود تونس إلى إجراءات التمييز ذاتها التي شرعت في فرنسا ضدّ الفرنسيين ممن اشتهر أنّهم يهود حسب المقاييس النازية؛ إذ يشير الفصل ٩ من قانون ٣ أكتوبر ١٩٤٠ إلى أنّ القوانين المعادية للسامية تجري على «البلدان الواقعة تحت نظام الحماية» ومن ضمنها تونس؛ حيث تطبّق على «كلّ يهودي تونسي وعلى كلّ شخص غير تونسي ينحدر من ثلاثة أجداد من العرق اليهودي، أو من جدّين من العرق ذاته إذا كان الزوجة أو الزوج من اليهود» (690).

الشاهد أنه منذ تولي المنصف باي منصبه يوم ١٩ يونيو ١٩٤٢، رفض الإجراءات التمييزية ضد أي طائفة، وعبر بصورة علنية عن اهتمامه بـ«كلّ أهالي الإيالة». وفي الأشهر التالية وبينما كانت السُلطة الفرنسية تمعن في إذلال الأهالي اليهود، قرّر منح وسام «نيشان الافتخار» لعدد من الشخصيات التونسية اليهودية، كما جنّب يهود تونس إجبارية حمل النجمة الصفراء. وعندما فرض العمل الإجباري في المعسكرات الألمانية على شباب الطائفة اليهودية، رفض الباي الإمضاء على القرار، على عكس ما كان يفعل مع أيّ قرار تسعى الإدارة الفرنسية إلى اعتماده في البلاد.

وبحسب وثيقة محفوظة لدى مركز التوثيق اليهودي المعاصر بباريس مؤرّخة في ١٢ أكتوبر ١٩٤٢، وبمناسبة الحفل التقليدي الخاصّ بعيد الفطر، طلب الباي حضور ممثل عن الطائفة

اليهودية وخاطب شيخ المدينة (رئيس بلدية تونس) بما يلي: «قولوا ليهود هذه البلاد إنهم أبناي، مثل غيرهم من التونسيين، وأطالب بأن يعيشوا في سلام مع سكان البلاد الآخرين، ويمارسوا أعمالهم بأمان». وتشير الوثيقة إلى أن «إعلان الباي تحت نظام فيشي، كان له أثر بالغ وتأثير قوي في الرأي العام في البلاد كافة خلال فترة الاحتلال بأكملها». كما تذكر الوثيقة أن شخصيات مسلمة كانت تُشغل ظاهرياً مواطنين يهود لتجنيبهم العمل الإجباري.

والمعلوم أن شخصيات مسلمة مثل: محمد التلاتلي بنابل، وعلي السقاط بزغوان، وخالد عبدالوهاب بالمهدية ساعدوا أعضاء من الطائفة اليهودية وحموهم مخاطرهم بحياتهم؛ كما أن المنصف باي ساعد مواطنين يهوداً وأخفاهم في ممتلكات له وفعل مثله أعضاء من أسرته وبعض الوجهاء أمثال الوزير الأكبر محمد شنيق والبحري قيقة والدكتور محمود الماطري وعائلة السقا. بين نهاية الحرب العالمية الثانية واستقلال تونس في مارس ١٩٥٦، دار جدل ونقاش عميق في صفوف الجالية اليهودية التونسية حول الصهيونية⁽⁶⁹¹⁾. كما أثار قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ رد فعل واسع النطاق مناهض للصهيونية في العالم العربي، أضيف إليه تنامي المشاعر القومية، وتأميم المشروعات، وتعريب التعليم وجزء من الإدارة.

أدت الهجمات المعادية لليهود في حي الحفصية عام ١٩٥٢ والصراع المحيط بالنضال من أجل الاستقلال إلى الموجة الأولى من الهجرة اليهودية من تونس⁽⁶⁹²⁾.

بعد الاستقلال، ظهرت صورة مختلطة. من ناحية، كان يُنظر إلى الرئيس الحبيب بورقيبة على أنه أكثر الزعماء انتهاجاً لسياسات ليبرالية تجاه اليهود من بين الدول العربية⁽⁶⁹³⁾، حتى أنه ذهب إلى حد الاعتذار لكبير الحاخامات في تونس بعد أعمال عنف ضد اليهود في عام ١٩٦٧. وضمت أول حكومة بعد الاستقلال يشكّلها الحبيب بورقيبة وزيرين يهوديين، هما: أندريه باروش، وألبير بيسيس⁽⁶⁹⁴⁾.

ومع ذلك، فإن اليهود أبدوا انزعاجهم من أمر الرئيس الحبيب بورقيبة في عام ١٩٥٨ بجمع كل المنظمات اليهودية المحلية في هيئة واحدة أطلق عليها اسم «المجلس الديني اليهودي»، وحرصه على تعيين أعضاء المجلس المذكور بنفسه. ولأسباب اقتصادية استثمارية رعاها الرئيس، دُمّر الحي اليهودي القديم في تونس العاصمة إلى جانب أحياء فقيرة أخرى، وهُدِمَ أقدم كنيس يهودي، وتم الاستيلاء على الأرض.

حدثت هجرة القليل من يهود تونس عند قيام إسرائيل، ثم زادت في الأعوام ١٩٥٠ - ١٩٥٢ بتأثير الحملة النفسية والاجتماعية الصهيونية، وانتقل ١٠ آلاف يهودي، أغلبهم من حاملي الجنسية الفرنسية، مع تطور حركة الاستقلال والثورة التونسية ١٨ يناير ١٩٥٢، ووقوع حوادث عنف ضد اليهود الفرنسيين ارتباطاً بالحالة المناهضة للاستعمار. وقد غادر ٤٠٪ البلاد ما بين أعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٧، اتجه أغلبهم إلى فلسطين (إسرائيل) والباقي إلى فرنسا. وإثر معركة بنزرت، عام ١٩٦١

ضد آخر معاقل فرنسا في تونس، هاجر أكثر من عشرين ألفاً إلى إيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. وحدثت موجة أخرى عام ١٩٦٢ إثر تأميم التجارة وصناعة النسيج التي كانت بأيدي اليهود. وفي حرب يونيو ١٩٦٧، شهدت تونس موجة جديدة لهجرة يهودها إلى إسرائيل وفرنسا⁽⁶⁹⁵⁾، لا سيما بعد أن أحرق غاضبون كنيسهم في ضاحية لافيات بتونس العاصمة. في عام ٢٠١٨ بلغ عدد يهود تونس قرابة ٢٠٠٠ فرد⁽⁶⁹⁶⁾؛ أي حوالي ٢٪ من عدد السكان اليهود في تونس عام ١٩٤٨.

ويوجد ١٢٠٠ من يهود تونس في جزيرة جربة جنوب شرقي البلاد، وينتشر الباقون بين مدينة حلق الوادي وحي لافيات بالعاصمة، حيث يعيشون في وئام مع جيرانهم المسلمين. ويتميز أغلبهم بنشاطهم الاقتصادي البارز على الرغم من قلة عددهم؛ إذ يعملون عادة في تجارة الذهب، والمطاعم، وفي وكالات السفر.

في السياق ذاته، لم يُخفِ الناشط السياسي جاكوب بيريز، الذي يعيش بين تونس وفرنسا، قلقه من هجرة من تبقى من اليهود في تونس بسبب الظروف الصعبة التي يعيشها كل التونسيين «فاليهود جزء لا يتجزأ من الشعب، ويعيشون التحديات الاقتصادية والاجتماعية ذاتها، لكنهم يتعرضون أحياناً إلى مضايقات عنصرية من بعض الأفراد». واستدرك بيريز «لكن على الرغم من ذلك لا نستطيع الابتعاد عن تونس، ولا نستطيع أن ننكر أصولنا التي نعتز بها، لا سيما أن الإسهام في إخراج تونس من هذه الأزمة مسؤولية كل التونسيين»⁽⁶⁹⁷⁾.

وراجت منذ أعوام أخبار تؤكد أن وسائل إعلام إسرائيلية عدة أجمعت على وجود خطة حكومية سرية لاستقدام يهود من دول عربية، والضغط على السلطات التونسية؛ لتوفير حماية للجالية اليهودية. كما وزعت إسرائيل تقريراً ضم أشرطة فيديو تبين «آثار تدمير ٨٠ قبراً يهودياً، وتدنيس معبد يهودي، وتصريحات نسبت إلى شخصيات سياسية ودينية تونسية تسهم في تنامي أجواء العدا لليهود»، بحسب تصريحات صدرت عن السلطات الإسرائيلية آنذاك.

ووجه نائب رئيس الحكومة الإسرائيلية في تلك الفترة، سيلفان شالوم، دعوة علنية إلى الجالية اليهودية في تونس للهجرة إلى إسرائيل. واستنكر الدعوة آنذاك، رئيس الجالية اليهودية في تونس، بيريز الطرابلسي، ووصفها بـ«المستفزة والمغرضة».

وعلى الرغم من بعض التجارب السياسية النادرة، فإن يهود تونس عُرفوا بابتعادهم عن عالم السياسة، وسبق لهم أن رفضوا المشاركة في الحراك الشعبي ودخول البرلمان نواباً للشعب. ورأى كبير حاخامات يهود تونس، حايم بيتان، أن ابتعادهم عن عالم السياسة يجنب البلد مخاطر التقسيم الطائفي.

وفي تصريحات له، قال الحاخام بيتان: «إنه عندما يتم استدعاؤنا فنحن جاهزون من أجل تونس. نحن نعيش بسلام، وبكل احترام مع أبناء بلدنا وإخواننا المسلمين»⁽⁶⁹⁸⁾.

رشح بعض اليهود أنفسهم في قوائم الأحزاب التونسية لانتخابات المجلس الوطني التأسيسي في ٢٣ أكتوبر ٢٠١١، ومنهم الحرفيَّة والفنانة المعروفة صديقة كسكاس رئيسة قائمة الاتحاد الشعبي الجمهوري في دائرة تونس ٢، وجيل يعقوب للوش Gilled @cob Lellofche في المرتبة الثانية في القائمة نفسها (699).

وفي أعقاب قرارات الرئيس التونسي قيس سعيد في يوليو ٢٠٢١، بتجميد سلطات مجلس النواب، ورفع الحصانة عن كل أعضاء البرلمان، وإعفاء رئيس الوزراء هشام المشيشي من منصبه، أكد بيريز الطرابلسي، رئيس الطائفة اليهودية، تأييد اليهود التونسيين للرئيس قيس سعيد، معتبراً أن ما قام به لا يعتبر «انقلاباً» (700).

لا تختلف ظروف يهود تونس كثيراً عن ظروف مواطنيهم، فالأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تعيشها تونس انعكست على الكل، من دون استثناء؛ إذ يقول يعقوب ليلوش وهو صاحب مطعم سياحي في منطقة حلق الوادي بالعاصمة التونسية، إنهم يعيشون ظروفًا صعبة ككل التونسيين، وتأثروا أيضًا، بالوضع العام في البلاد.

وأكد ليلوش أن «الممارسات العنصرية» ضدهم قليلة جدًا، ولم تؤثر في تعايشهم مع بقية شرائح الشعب. وأضاف ساخراً «وهل ما زال للتونسيين وقت للعنصرية أو غيرها من هذه الممارسات؟ الوضع الاقتصادي الصعب، والصراعات السياسية، لم تترك لنا أي مجال للتفكير بموضوعات أخرى» (701).

وتابع ليلوش، الذي شارك في الانتخابات التشريعية في ٢٠٢١ كناشط في حزب الاتحاد الشعبي الجمهوري، أنه لا يريد إعادة التجربة. وأكد استقالته من الحزب، معتبراً أن «الحياة السياسية في تونس ليست على ما يرام، وتحتاج إلى وقت طويل لتسترجع عافيتها»، إلا أنه قال: إنه لا يفكر في الهجرة، كما أن أغلب اليهود الذين يعرفهم في تونس لا يرون أن الهجرة فكرة جيدة في ظل الوضع العالمي المتأزم، سواء على المستوى الاقتصادي أو الصحي.

ينقسم الشتات اليهودي في تونس بين إسرائيل وفرنسا، حيث حافظت المجموعات اليهودية على هويتها المجتمعية من خلال تقاليدھا، التي تعتمد في الغالب على اليهودية السفارديَّة، لكنها تحتفظ بخصائصها الخاصة. وتلعب جماعات يهود جربة على وجه الخصوص، التي تعتبر أكثر إخلاصاً للتقاليد لأنها بقيت خارج مجال تأثير التيارات الحديثة، دوراً مهماً.

انتقلت الغالبية العظمى من اليهود التونسيين إلى إسرائيل وتحولوا إلى استخدام اللغة العبرية. عادةً ما يستخدم اليهود التونسيون الذين يعيشون في فرنسا الفرنسية كلغة أولى، في حين يميل القليلون المتبقون في تونس إلى استخدام الفرنسية أو العربية، وتحديدًا اللهجة اليهودية - التونسية في حياتهم اليومية.

ويعيش أغلب اليهود التوانسة الآن في جزيرة جربة، في منطقة تسمى «الحارة الكبيرة»،

وبيوتهم محاذية لجيرانهم المسلمين، ويتبادلون الزيارات والهدايا في المناسبات الدينية والأعراس، ويتشاركون العادات والتقاليد ذاتها في الملبس والمأكل. كما يدرس أبناؤهم في المدارس ذاتها التي يرتادها أبناء المسلمين⁽⁷⁰²⁾. ويمتازون بمهارتهم في مجال الطبخ؛ إذ تستقطب مطاعمهم الكثير من التونسيين والسياح من مختلف الشرائح والديانات.

وعندما يتجول الزائر في جزيرة جربة أو في الأحياء اليهودية السابقة في تونس العاصمة يكتشف تناعم اللباس، والأكلات، والعادات الاجتماعية. وفي تعليقه على هذا التناعم الموسيقي والثقافي بين الغالبية المسلمة والأقلية اليهودية في تونس، يقول الباحث ورجل الأعمال اليهودي التونسي غابريال كابلا: «الفرق بين اليهود والمسلمين (التوانسة) لا يشمل إلا الديانة. واليهود اندمجوا ثقافيًا في كل مجتمعاتهم. فاليهودي البولوني انخرط في الثقافة البولونية، واليهودي المغربي في الثقافة المغربية، والمشرقي في الثقافات المشرقية، والتونسي في التونسية.. وكذا الشأن بالنسبة للموسيقى، واللباس، والأكل».

يذكر أن جزيرة جربة تعرّضت لضربة قوية في العام ٢٠٠٢، عندما هاجم متشدد يقود شاحنة صهريج لنقل الغاز، معبد «الغربية» وقتل ١٩ سائحًا. إلا أن هذا الاعتداء يظل استثناءً في الجزيرة ذات الطابع السياحي، فضلًا عن كونها مركز إشعاع ديني وثقافي لليهود.

ويفسّر الباحث في تاريخ جزيرة جربة ومحافظ متحف قلالة، حسين الطوجي، التركيبة الاجتماعية للجزيرة والظروف التي سمحت لليهود بالاندماج، قائلًا: إن «وجود اليهود في الجزيرة يعود إلى أكثر من ألفي عام»، مشيرًا إلى أن أبرز «عاملين لعبًا دورًا كبيرًا في استمرار حالة التعايش والتسامح هما التجارة والسياحة». وأضاف الطوجي «المعروف أنهم تجار مهرة، أسوة بآمازيغ الجزيرة أيضًا»⁽⁷⁰³⁾.

وفي أربعينيات القرن التاسع عشر، توزّع اليهود في جربة بين «الحارة الكبيرة»، و«الحارة الصغيرة»، وكان في الأولى ١٤ معبدًا، وفي «الحارة الصغيرة» أربعة معابد، مقابل ٢٧ معبدًا في الحاضرة في تلك الفترة⁽⁷⁰⁴⁾.

وعرفت تونس طيلة تاريخها حضورًا متميزًا للعنصر اليهودي الذي كان يمثل دائمًا مكونًا أساسيًا من مكونات المجتمع، وكان له أثر كبير في الحياة الاقتصادية، إلا أن هذا الأثر تقلص بشكل كبير بعد هجرتهم الجماعية. وعلى الرغم من تقلص عددهم بقيت منازلهم وعقاراتهم شواهد على قوة حضورهم في تونس؛ إذ تنتشر في معظم مناطق البلاد.

حافظ رجال السياسة في تونس طوال الأعوام الستين الماضية على علاقات مميزة بالأقلية اليهودية التونسية، خصوصًا برجال الأعمال والسياسة من بين حاملي جنسيات مزدوجة. كذلك، أسندت مسؤوليات كثيرة لشخصيات يهودية في عهدي الرئيسين: الحبيب بورقيبة، وبن علي، بينها حقيبة التجهيز والإسكان والأشغال العامة قبل أكثر من ٦٠ عامًا. كما عُيّن جوزيف روبرت

ببسميت عضوًا في الغرفة الثانية في البرلمان وفي قيادة نقابة رجال الأعمال قبل الثورة. أما بعد الثورة التونسية فقد عُيِّن روني الطرابلسي وزيرًا للسياسة في عام ٢٠١٨. وتعترف السلطات الرسمية ووزارة الشؤون الدينية بسلطات كبير أحبار تونس الحاخام حاييم بيتان، وتدعوه إلى المناسبات السياسية والدينية الوطنية على غرار مفتي المسلمين، وأسقف المسيحيين (705).

ملف آخر يبقى جمرةً تحت الرماد هو ملف التعويضات.

ففي يناير ٢٠٢١، أثار النائب في البرلمان التونسي، الصافي سعيد، خلال برنامج حوار، مسألة إمكانية مطالبة إسرائيل بتعويضات عن أملاك اليهود من تونس، محذرًا من أن يكون الملف جاهزًا للضغط على بلده من أجل اتفاق سلام العلاقات مع تل أبيب. كلام سعيد فتح الباب أمام ضرورة تسوية مستحقات التونسيين اليهود، حتى لا تكون هذه الأملاك ورقة في يد إسرائيل للضغط على تونس.

في المقابل، علّق وزير أملاك الدولة الأسبق، حاتم العشي، في تدوينة له على ما صرح به النائب، مؤكدًا أنه «استقبل خلال توليه حقيبة أملاك الدولة عام ٢٠١٥، سفيرة الاتحاد الأوروبي في تونس، لورا بايزا، وأعلمته آنذاك أن إسرائيل قد طلبت منها إبلاغ بلاده أنها ستطلب تعويضات ضخمة من تونس بخصوص أملاك مواطنيها اليهود الذين فرّوا من البلاد بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣، وأنها مصرة على ذلك» (706).

وبيّن العشي في التدوينة ذاتها أنه أوضح لبايزا أن اليهود الذين غادروا تونس هم تونسيون، وأملاكهم موجودة، ولا دخل لإسرائيل في ذلك، وقد وعدته بإبلاغ إجابته للسلطات الإسرائيلية، وبعدها لم تتصل به. وأشار إلى أنه لم يقدّم بإعلام رئيس الحكومة آنذاك، الحبيب الصيد، بهذا الموضوع؛ لأنه لم يعتبره من الأولويات.

وحذر العشي أنه بإمكان تل أبيب الضغط على تونس لطلب التعويضات في أي وقت، مضيفًا أنه لا يعرف إن كان اتفاق السلام سيكون هو المقابل أم لا، موضحًا أن المبالغ ضخمة جدًا، وتُفوق حتى الميزانية التونسية.

من جهته، دعا بيريز الطرابلسي، رئيس الطائفة اليهودية، في أكتوبر ٢٠٢١، إلى استعادة ممتلكات اليهود في العاصمة التونسية التي خسروها خلال حكم الحبيب بورقيبة عقب محاولة تطبيق تجربة «التعاقد» (نموذج اشتراكي) على يد الوزير السابق أحمد بن صالح، والتي لم يُكتب لها النجاح في تونس.

وأضاف: «لا وجود لممتلكات لليهود في جربة، ولكن في العاصمة تونس هناك حوالي ٨٠٪ من اليهود فرّطوا في ممتلكاتهم دون أن يعرفوا مصيرها، وهناك من تُوفي منهم وليس له أبناء وجميع هذه الممتلكات تم الاستيلاء عليها مجانًا، ولم يكن هناك ممثل لليهود في تونس؛ بسبب وفاة

الأعضاء المشرفين على اليهود في تونس» (707).

وتحدّث تقرير لصحيفة «تايمز أوف إسرائيل»، عن استعداد إسرائيل لمطالبة ٧ دول عربيّة وإيران بمبالغ إجماليّة قدرها ٢٥٠ مليار دولار تعويضًا عن ممتلكات اليهود الذين «أُجبروا» على مغادرة تلك البلدان عقب قيام دولة إسرائيل، من بينها تونس وليبيا، وتبلغ قيمة تعويضات يهود تونس، بحسب التقرير، ٣٥ مليار دولار، وليبيا ١٥ مليار دولار، وبقية الدول هي: المغرب، والعراق، وسوريا، ومصر، واليمن، وإيران.



صانع يهودي يماني في متجره في إسرائيل عام ١٩٥٨

ويرى ممثل عن بعض أملاك اليهود في تونس، أفيخاي حطاب، أن «الدولة التونسيّة لم تُحسّن إدارة ملف أملاك مواطنيها اليهود»، مؤكّدًا أنه «لا إشكال لديهم في استرجاع أملاكهم؛ لأنّ غالبيّة اليهود احتفظوا بجنسيتهم التونسيّة، ومن له حقّ مسلوب يتجه إلى المحاكم لاسترجاعه».

ويتجنب اليهود في تونس الحديث في الجانب السياسي، رافضين إعطاء رأيهم في مسألة السلام، فغالبيتهم يريد العيش بسلام في بلدّهم، وإدارة تجارتهم وأعمالهم بكلّ حرّيّة.

في المقابل، رجّح الوزير السابق لأملاك الدولة وأمين عام حزب التيار الديمقراطي، غازي

الشواشي، أن تكون «إثارة مثل هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات» للضغط على تونس لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل، واصفاً هذا الجدل بأنه «زوبعة في فنجان».

وأكد أنه: «لا يوجد حتى الآن أي طلب رسمي من إسرائيل بخصوص هذا الملف»، مشيراً إلى أن «هذا الموضوع متداول منذ سنوات عدة على المستوى الإعلامي فحسب». ويفيد الشواشي بأن «تونس لم تستولِ لا على أملاك اليهود، ولا الأجنب»، موضحاً أنه «في تونس يوجد لجنة مؤقتة لإدارة شؤون اليهود، وتقوم هذه الأخيرة بتكليف محامين من أجل حل مشكلات اليهود العقارية كغيرهم من المواطنين».

من ناحية أخرى، يتحدّر عدد من كبار الساسة ورجال الأعمال اليهود في العالم من أصول يهودية تونسية، بما في ذلك في إسرائيل التي كان وزير خارجيتها السابق سيلفان شالوم تونسي الأصل. غير أن يهود تونس يتمسكون بثقافتهم التونسية، وكانت نسبة عالية من الفنانين التونسيين من الجنسين طوال القرن العشرين يهوداً، بمن فيهم من يحملون أسماءً عربية وإسلامية مثل: «الشيخ العفريت». ولا يعرف غالبية التونسيين المسلمين، إلى اليوم، أن الفنان الذي يغني بالعربية أغنية «الزفة»، وهي الأكثر شعبية من نوعها في تونس، والتي تبدأ بعبارات «لا إله إلا الله والفرح واتانا» (أي ناسبنا) هو الفنان اليهودي التونسي راؤول جورنو.

أيضاً، معظم التونسيين لا يعرف أن نخبة من أشهر نجوم التراث والفولكلور التونسي منذ عقود من أبناء الأقلية اليهودية في بلدهم، مثل الفنانة حبيبة مسيكة - وهي من أشهر المطربات في الغناء القديم - وخالتها ليلى سفاز، وجارتها فريته درمون صاحبة الأغنية الشعبية «عبدالله عبدالله».

ومن بين كبار الفنانين التونسيين اليهود بين الرجال: أشير مزراحي، والخلفاوي، والشيخ العفريت (١٨٩٧-١٩٣٩)، صاحب أغاني المزموم، والكثير من الأغاني العاطفية الشعبية الحزينة باللهجة التونسية.

ومن بين الفرق الموسيقية اليهودية القديمة التي اشتهرت في القرن العشرين مجموعة «بنات شمالة»، ولقد عُرفن خاصة بأغنيتهن الشعبية «عز الدين يا عز الدين»، فضلاً عن مجموعة لوزية التونسية صاحبة أغنية «على باب دارك».

وعلى غرار رجال الأعمال والسياسيين هاجر الكثير من الفنانين اليهود التونسيين إلى فرنسا وإيطاليا من بينهم: راؤول جورنو، وجيل لولوش، وبيير بوشرييل، وموسى ليفي، وبيلو ليفي، وأليكسندر فيشي، وفكتور جورنو، وموريس بيسموت. وفي حفلات الزفاف التقليدية التونسية يردد المطربون الشعبيون إلى اليوم أغاني الفنان اليهودي يعقوب بشير ويوزعونها في أقراص، وجُلّها باللغة العربية والفرنسية وليست بالعبرية.

ومن أبرز أعلام اليهود التونسيين:

* نسيم شمامة، وزير المالية للدولة الحسينية قبل الحماية.

- * ألبير شمامة شيكلي، من رواد السينما التونسية.
- * بول صباغ، مؤرخ ومناضل في الحزب الشيوعي التونسي في أربعينيات القرن العشرين.
- * ميشال بوجناح، ممثل فرنسي من أصل تونسي.
- * ألبير ممي، كاتب وباحث في علم الاجتماع، من أشهر كتبه «صورة المُستَعْمِر وصورة المُستَعْمَر»، وهو نقد حاد للنظام الاستعماري.
- * كولينت فلوس، أديبة تونسية.
- * جيلبار النقاش، كاتب، وناشط يساري.
- * جورج عدة، سياسي، ونقابي.
- * ألبير بسيس، وزير، وبرلماني تونسي.
- * أندريه باروش، وزير، وبرلماني تونسي.
- * روجيه بيسموت، رجل أعمال، وبرلماني تونسي.
- * دافيد جمالي، لاعب كرة قدم، شارك مع منتخب تونس في بطولة كأس العالم لكرة القدم ٢٠٠٦ التي أقيمت في ألمانيا.
- * فيكتور بيريز، ملاكم أصبح بطل العالم في وزن الذبابة في عامي ١٩٣١ و١٩٣٢.
- * عوفر لالوش، نحّات، ومصمم مطبوعات، ورسام إسرائيلي من أصل تونسي.
- * لويزا تونسية، مغنية، وموسيقية تونسية.
- * ريف كوهين، مغنية، وكاتبة أغانٍ، وممثلة إسرائيلية من أصل تونسي.
- * بيار ليفي، فيلسوف فرنسي من أصل تونسي.
- * أمير حداد، مغنٍ، ومؤلف، وموسيقي فرنسي إسرائيلي من أصل تونسي.

ياسر ثابت، صحفي مصري، من مواليد ألمانيا عام ١٩٦٤. حاصل على درجة الدكتوراه في الصحافة عام ٢٠٠٠. عمل مديرًا للأخبار في قناة «سكاي نيوز عربية»، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة (٢٠١١)، ومنتجًا أول للأخبار في قناة «الجزيرة» في قطر (٢٠٠٢)، ورئيسًا لتحرير غرفة الأخبار في قناة «الحررة» في الولايات المتحدة (٢٠٠٧)، ورئيسًا للتحرير في قناة «العربية» في دبي، الإمارات العربية المتحدة (٢٠٠٧).

تتضمن قائمة مؤلفاته:

أولاً: إصدارات باللغة العربية:

- «جامع الشهوات» (دار زين، القاهرة ٢٠٢٢)
- «سقف العالم» (دار زين، القاهرة ٢٠٢٢)
- «كل يوم شوق» (دار ميريت، القاهرة ٢٠٢١)
- «الموسيقى العارية: أساطير في مملكة الغناء» (دار زين، القاهرة ٢٠٢١)
- «طقوس الجنون» (منشورات إبيدي، القاهرة ٢٠٢١)
- «مقامات الروح: دليل إلى الأغنية العربية» (دار خطوط وظلال، عمان ٢٠٢١)
- «حكمة السيقان» (منشورات إبيدي، القاهرة ٢٠٢٠)
- «الرومانسيون» (دار زين، القاهرة ٢٠٢٠)
- «عادات الحب السيئة» (دار اكتب، القاهرة ٢٠٢٠)
- «صراع تحت القبة» (دار زين، القاهرة ٢٠٢٠)
- «خدوش إضافية» (دار زين، القاهرة ٢٠٢٠)
- «إثم قديم» (دار الأدهم، القاهرة ٢٠١٩)
- «سعال وطني» (دار الأدهم، القاهرة ٢٠١٩)
- «ولع» (دار الأدهم، القاهرة ٢٠١٩)
- «الحرب في منزل طه حسين» (دار زين، القاهرة ٢٠١٩)
- «عشاق وشياطين: التاريخ الممنوع للسنيما» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٩)
- «أبناء البكاء» (دار زين، القاهرة ٢٠١٩)
- «الأهداف لا تعتذر» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٩)
- «مراعي الذئاب» (دار زين، القاهرة ٢٠١٨)
- «يطل الخجل من حقيبتها» (دار زين، القاهرة ٢٠١٨)

- «موسوعة كأس العالم: من أوروغواي ١٩٣٠ إلى روسيا ٢٠١٨» (دار كنوز، القاهرة ٢٠١٨) (طبعة ثانية، دار دؤن، القاهرة ٢٠٢٢)
- «الملك والفرسان الثلاثة: عرب روسيا ٢٠١٨» (دار كنوز، القاهرة ٢٠١٨)
- «قبل الذروة بقليل» (دار زين، القاهرة ٢٠١٨)
- «قانون رأس السمكة: أمة في خطر» (دار دلتا، القاهرة ٢٠١٨)
- «لصوص وأوطان» (مركز الحضارة العربيّة، القاهرة ٢٠١٨)
- «فاسدون والله أعلم» (دار دلتا، القاهرة ٢٠١٧)
- «الوزير في الثلجة: كواليس صناعة وانهيار الحكومات في مصر» (دار دلتا، القاهرة ٢٠١٧)
- «أهل الضحك والعذاب» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٧)
- «سيرة اللذة والجنس في مصر» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٧)
- «موسوعة حصاد الأولمبياد: الدورات الأولمبية في ١٢٠ سنة» (دار كنوز، القاهرة ٢٠١٦)
- «باشوات وأوباش: التاريخ السري للفساد» (مركز الحضارة العربيّة، القاهرة ٢٠١٦)
- «خنجر في المرأة: نصوص ووجوه منسيّة» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٦)
- «جمرتان: تمارين على النسيان» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٦)
- «الموت على الطريقة المصريّة» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٦)
- «حرائق التفكير والتكفير: شخصيات وصدمات» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٦)
- «العصا والمطرقة: صراع السلطة والقضاء» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٥)
- «صديق الرئيس: حكام مصر السريون» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٥)
- «دين مصر: أمراء الدم والفيديو» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٥)
- «وطن محلّك سر» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٥)
- «المتلاعبون بالعقول: سقطات الإعلام في مصر» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٥)
- «حروب الهوانم» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٥)
- «مصر قبل المونتاچ» (دار دلتا، القاهرة ٢٠١٥)
- «حكام مصر من الملكيّة إلى السيسي» (دار الحياة، القاهرة ٢٠١٤)
- «غرفة خلع الملابس: وجوه وقياسات» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٤)
- «أجمل القتلة» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٤)
- «ذنب» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٤)
- «الصراع على مصر: نئاب مبارك والعهد الجديد» (دار كنوز، القاهرة ٢٠١٤)
- «أيامنا المنسيّة» (منشورات ضفاف، بيروت/منشورات الاختلاف، الجزائر ٢٠١٤)
- «تحت معطف الغرام» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٤)

- «مراودة» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٤)
- «زمن العائلة: صفقات المال والإخوان والسلطة» (دار ميريت، القاهرة ٢٠١٤)
- «صناعة الطاغية: سقوط النخب وبذور الاستبداد» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٣)
- «رئيس الفرص الضائعة: مرسي بين مصر والجماعة» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٣)
- «حروب العشيرة: مرسي في شهور الريبة» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٣)
- «دولة الألتراس: أسفار الثورة والمذبحة» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٣)
- «محاكمة الرئيس: البحث عن القانون الغائب» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٣)
- «شهقة الليانسين: الانتحار في العالم العربي» (دار التنوير، القاهرة ٢٠١٣)؛ (طبعة ثانية، دار اكتب، القاهرة ٢٠٢٠)
- «قصة الثروة في مصر» (دار ميريت، القاهرة ٢٠١٢)؛ (طبعة ثانية، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠١٣)
- «هيا بنا نلعب: عن الأوطان والأوثان» (دار اكتب، القاهرة ٢٠١٢)
- «فضة الدهشة: تغريد على غصن تويتر» (دار العين، القاهرة ٢٠١٢)
- «لحظات تويتر: ألف تغريدة وتغريدة» (دار العين، القاهرة ٢٠١١)
- «جرائم بالحبر السري» (مركز الحضارة العربيّة، القاهرة ٢٠١٠)
- «حروب كرة القدم» (دار العين، القاهرة ٢٠١٠)؛ (طبعة ثانية، دار اكتب، القاهرة ٢٠١٩)
- «فتوات وأفندية» (دار صفصافة، القاهرة ٢٠١٠)
- «فيلم مصري طويل» (مركز الحضارة العربيّة، القاهرة ٢٠١٠)
- «كتاب الرغبة» (الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٠)
- «جرائم العاطفة في مصر النازفة» (الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠٠٩)
- «يوميات ساحر متقاعد» (دار العين، القاهرة ٢٠٠٩)
- «قبل الطوفان: التاريخ الضائع للمحروسة في مدونة مصريّة» (كتاب «ميزان»، القاهرة ٢٠٠٨)؛ (طبعة ثانية، دار كنوز، القاهرة ٢٠١٣)
- «جمهورية الفوضى: قصة انحسار الوطن، وانكسار المواطن» (كتاب «ميزان»، القاهرة ٢٠٠٨)؛ (طبعة ثانية، دار كنوز، القاهرة ٢٠١٣)
- «ذاكرة القرن العشرين» (مكتبة الدار العربيّة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١)؛ (طبعة ثانية، دار اكتب، القاهرة ٢٠١٩)
- «موسوعة كأس العالم» (مدبولي الصغير، القاهرة ١٩٩٤).
- ثانياً: إصدارات باللغة الإنجليزية:

Revolutions: How they changed history and what they mean today, Peter Furtado (editor),

London: Thames & Hudson Ltd, 2020.

إهداء ٥

المقدمة ٧

«اليهود العرب».. متاهة المصطلح ١٣

- (١) يهود مصر: بنوك سوارس وقطاوي باشا ٢٧
 - (٢) يهود مصر: أرنب الماضي.. وجوهرة التاج ٥٥
 - (٣) يهود العراق.. أثرياء حي التوراة! ١١١
 - (٤) يهود سوريا.. من حلب إلى بروكلين ١٥٥
 - (٥) يهود لبنان.. الصهيونية في وادي أبو جميل ١٧١
 - (٦) يهود الأردن.. نزاع على الباقورة ١٨٥
 - (٧) يهود الخليج.. هجرة على «بساط الريح» ١٩١
 - (٨) يهود السودان.. ذكريات النخبة ٢٣٥
 - (٩) يهود ليبيا.. وطن قومي في برقة! ٢٤٧
 - (١٠) يهود المغرب.. بين الوفاق والاستقطاب ٢٦٧
 - (١١) يهود الجزائر.. الأولوية لفرنسا ٣٠٣
 - (١٢) يهود تونس.. هجرة متواصلة ٣٢١
- سيرة موجزة ٣٤٦

د. أنور محمود زناتي، مقدمة؛ في: د. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٥، ص ١١.
 أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مدى الكرمل، المركز العربي للدراسات
 الاجتماعية التطبيقية، برنامج دراسات إسرائيل، ورقة بحثية رقم ٣، حيفا، سبتمبر ٢٠١٤، ص ٢.
 عباس شبلق، حول شعور العداء لليهود في الدول العربية، مجلة «الدراسات الفلسطينية»، العدد (٢)، بيروت، ١٩٩٠.
 صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة،
 الكويت، رقم ١٩٧، مايو ١٩٩٥.
 انظر أيضاً: إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي المكشوف والمستور، ترجمة: عبدالكريم محفوض، دار البعث للصحافة والنشر،
 دمشق، ١٩٩٦.

أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ٢.
 Yehof da A. Shenhav, The Acab @wd3A Podcolonial Reading of Daiconalidm, Religion, and Ethnicity, Sanfocd Univecdiey Pcedd,
 +006, a.2.
 Yehof da Shenhav; Hannan Hevec, "Acab @wd' afæc dæf cef calidm3Zionide didcof ode and the (de) focmaion of an ethnic idenity",
 Social Identiæed 11 (1), +01+, aa. 101-111.

Ammiel Alcalay, Afæc @wd and Acab3Remaking Levantine Cflefæ, Univecdiey of Minnedæa Pcedd, 1223.
 اليهود المزارحيون أو مزراحيم (بالعبرية: מזרחים) مصطلح عبري لليهود الشرقيين وتعني باللغة العبرية شرقي، وتطلق هذه
 الكلمة على اليهود القادمين أو المتحدرين من سلالة يهود الشرق الأوسط وبعض البلدان الإسلامية من العصور التوراتية إلى
 العصر الحديث. يتضمن هذا المصطلح أيضاً يهود إيران، ويهود (القوقاس)، ويهود الهند، ويهود كردستان، ويهود جورجيا،
 ويهود بخارى (آسيا الوسطى) إضافة إلى يهود اليمن ويهود العراق ويهود إثيوبيا ويهود السودان ويهود سوريا ويهود الجزيرة
 العربية. وتقابل هذه الكلمة مصطلح اليهود الأشكنازيين لليهود الأوروبيين.

Salim Tamaci, "Idhab al-Shami and the Poedicamene of the Acab @w in Paledine", @cf dalem Qfæædy, +000, a. 11.

David Rabeeya, The @fney of an Acab-@w in Efoææan Idæel, Indiana3Xlibcid Cocaocæion, +000.

Yehof da A. Shenhav, Oa. cie, a. a. +10.

Ibid.

Ibid., a. 1. .

د. أنور محمود زناتي، مقدمة؛ في: د. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مرجع سابق، ص ١٢.
 Refven Snic, "Foom al-Samaw'al æ Ibn al-Samaw'al3 Modecn Acab-@width Cflefæ, id Hidocical Backgoofnd and Cfææne
 Demide," Acea Ociææalia (Odlo) 60 (+006), aa. 12-02.

Alma Rachel Heckman, The Sflæn'd Commf nidæ3Mococcan @wd and the Poliæcd of Belonging, Sanfocd Univecdiey Pcedd, +0+0.
 سليمان الحكيم، يهود لكن مصريون، كتاب الجمهورية، القاهرة، ٢٠١٢.

د. عواطف عبدالرحمن، اليهود المصريون والحركة الصهيونية، دار الهلال، سلسلة كتاب الهلال، القاهرة، مايو ٢٠١٧.
 Siegfied Landdhe, @width commf niæd in the Mfdlim cofnæied of the Middle Eæd3A dfvey ææææed foc the Americæn-@width
 Commiææe and the Anglo-@width Addociæion, London3@width Chconicle, 12. 0, a. +.

د. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مرجع سابق، ص ٣٤.

شارون قوش، صدام العرب اليهود بالصهيونية، ترجمة: سماح إدريس، مجلة «الأداب»، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٧-٩.
 أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ٣٤.

@deah B. Schechanan, On Mingd of Eagled3 The Plighe Ei odfd and Homecoming of Ociææl @wcy, Dew Yock3 Thomad
 Yodeloff, 1261, a. 332.

David L. Sam, "Ociææl Immigææd", Modd @wcy, Oææbec 12. 1, a. 1-.

يهودا شنهاف شهباني، اليهود العرب: قراءة ما بعد كولونيلية في القومية والديانة والإثنية، ترجمة: ياسين السيد، الأهلية/عمان
 ومدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/رام الله، ٢٠١٦، ص ٢٩٣.

د. شريف شعبان، يهود مصر القديمة، ط ٢، دار الرواق، القاهرة، ٢٠٢١، ص ٢٥.

أشرف عبدالحميد، أين كان يقيم نبي الله يوسف في مصر؟، موقع «العربية نت» الإلكتروني، ١٣ يوليو ٢٠١٧.

د. شريف شعبان، يهود مصر القديمة، مرجع سابق، ص ١٥١.

Donald Redford, Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times. Princeton University Press, 1975.

«Ancient Sfdanm Dfbia3 Invedigaing the Ocigin of the Anciene @with Commfniey ae Eleahanine3 A Review». www.ancienndf dan.ocg.

A. van Hoonacker, Une Commfniew@dwo-Acamwenne à Élwahanine, en Egypte, afi vi eev diècleclavane@C, London 121. ciæd, Aenold @Toynbee, A Sefdy of Hidæcy, vol.. , (1232) , a1+. n.1.

Acyeh Kadhec, The @wd in Hellenidic and Roman Egypte3The Sef ggle foc Ebf al Righæ, Mohc Siebeck, 121. , aa.100-1.

شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣٩١.
الهادي روجيه إدريس، الدولة الصنهاجية: تاريخ شمال إفريقيا في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلى القرن ١٢ م، ترجمة: حمادي الساحلي، ج ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٨٠.

@cob Mann, The @wd in Egypte and in Paledine Undec the Fæimid Caliahð3A Conæbfæion æ Theic Poliecal and Commfnal Hidæcy, Baded Chiefly on Genizah Maæcial Hidææ Unafblidhed, Volfme 1, Oi food Univeðiey Pædd, 1262, aa. +. . +. 6.

محمود سعيد عبدالظاهر، يهود مصر: دراسة في الموقف السياسي (١٨٩٧-١٩٤٨)، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٨.

د. محمد أبو الغار، يهود مصر في القرن العشرين.. كيف عاشوا ولماذا خرجوا؟، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٢١.

محمود سعيد عبدالظاهر، يهود مصر: دراسة في الموقف السياسي (١٨٩٧-١٩٤٨)، مرجع سابق، ص ٢٧.

انظر أيضًا: صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٤٠١.

Gfdcf n Kcæmeç, The @wd in modecm Egypte, 121--12. +, London3I.B. Taf cid, 1212.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

البوغروم: طبقاً للموسوعة البريطانية، يُستخدم المصطلح للتعبير عن الهجمات الواقعة ضد اليهود في الإمبراطورية الروسية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

الهولوكوست: هي حملات الإبادة التي تحدت عنها اليهود في ألمانيا النازية منذ ثلاثينيات القرن العشرين، وشملت تعقبهم في مستعمرات هتلر الأوروبية.

إيلي ليفي أبو عسل، يقظة العالم اليهودي، مطبعة النظام، القاهرة، ١٩٣٤.

Maf dice Façgeon, Led @ifd en Égypte, Babey, Le Caice, 1231, aa. 103 - 100.

المتصرون هم أجاناب تجنسوا بالجنسية المصرية.

د. محمود سعيد الظاهر، يهود مصر: دراسة في الموقف السياسي (١٨٩٧-١٩٤٨)، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، القاهرة، ٢٠٠٠.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٣٧٨.

د. زبيدة محمد عطا، يهود مصر: التاريخ السياسي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٣٠.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

المرجع نفسه، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

سعيدة محمد حسني، اليهود في مصر ١٨٨٢-١٩٤٨، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٨٠-٨١.

د. رفعت سيد أحمد، قصة «اليهود المصريين».. كلمة الباطل التي أريد بها باطل، جريدة «التحرير»، القاهرة، ٤ يناير ٢٠١٣.

د. محمد أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢١.

د. خالد فهمي، الخروج من مصر، جريدة «الشروق»، القاهرة، ١١ يناير ٢٠١٣.

نبيل عبدالحديد سيد أحمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود في مصر ١٩٤٧-١٩٥٦، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٢٧ - ١٢٩.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٣٨٨-٣٨٩.

المرجع نفسه، ص ٣٧١.

المرجع نفسه، ص ٣٨٩.

سيد عبدالمنعم عبدالرحمن، الصهاينة في مصر حتى ثورة يوليو؛ في: عبدالقادر ياسين (تحرير)، الصهاينة في مصر.. من الكوليرا إلى المطيعين، مركز يافا للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٩.

سبتمبر ١٩٠٠- وأوروبية مختلفة. وفي القاهرة، صمم المعماري راؤول براندن (١٨٧٨ - ١٩٤١) هذا المتجر المكون من ستة طوابق على طراز الروكوكو عام ١٩٠٥ - ١٩٠٦ ويشغل ناصية شارع عبد العزيز ورشدي باشا. وظل هذا المتجر يحمل اسمه حتى اشتراه ثري يهودي بعد عام ١٩٢٠، وغيّر اسمه إلى «عمر أفندي».

د. ياسر ثابت، قصة الثروة في مصر، مرجع سابق، ص ١٠٢.

أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف، اليهود والحركة الصهيونية في مصر (١٨٩٧-١٩٤٧)، مرجع سابق، ص ٥٢-٥٨.
د. فرغلي علي تسن هريدي، الرأسمالية الأجنبية في مصر (١٩٣٧-١٠٥٧) ج ٢، سلسلة «تاريخ المصريين»، العدد ٢٣٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٠١.

مدحت عبدالرازق، ميتسرايم: حكايات وعائلات يهود مصر الملكية، مرجع سابق، ص ٢٢.

المرجع نفسه، ص ١١٤-١١٦.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٤٢٤.

مدحت عبدالرازق، ميتسرايم: حكايات وعائلات يهود مصر الملكية، مرجع سابق، ص ٤٤-٤٨.

د. عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٧٨.

أنس مصطفى كامل، مرجع سابق، ص ١٦٥.

د. محمد أبو الغار، مرجع سابق، ص ٤١.

شريف عارف، الإخوان في ملفات البوليس السياسي (٢-٣)، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ٧ يناير ٢٠١٣.

د. عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد ٤، ج ٢، ص ١١٨.

د. سهام نصار، اليهود المصريون.. صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ - ١٩٥٠، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.

٦٦ أحمد إبراهيم خضر، «دور يهود مصر في تأسيس دولة إسرائيل: التاريخ المسكوت عنه»، شبكة الألوكة، موقع الدكتور أحمد إبراهيم خضر، ١٤ سبتمبر ٢٠١١.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٤٠٨.

د. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مرجع سابق، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف، اليهود والحركة الصهيونية في مصر (١٨٩٧ - ١٩٤٧)، مرجع سابق، ص ١٦ - ١٧.

محمد شعبان، «فلسطين المصرية»... قصة مشروع توطين اليهود الفاشل في سيناء، موقع «رصيد ٢٢» الإلكتروني، ٦ يونيو ٢٠١٩.

Dedmond Sæwacæ Heczl'd @fneyd in Paledine and Egyac, @fncal of Paledine Sæf died, Univecdiey of Califomia Pæcdd, Vol. 3, Do. 3 (Sacing, 120-), aa. 11 - 31.

كامل زهيري، النيل في خطر، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩.

بات يئور، الصهيونية في البلدان الإسلامية، وضعها في مصر؛ في: عدد من المؤلفين، المشكلة السفارديّة، إسرائيل الثانية، ترجمة: فؤاد جديد. منشورات (فلسطين المحتلة)، بيروت، ١٩٩٨، ص ٩٠.

د. سهام نصار، اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية، دار العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ١١٣.

المرجع نفسه، ص ٢٥.

أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ٢٢.

سعيدة محمد حسني، اليهود في مصر ١٨٨٢ - ١٩٤٨، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة عين شمس - كلية البنات، القاهرة، ١٩٨٤.

يوسف محمد عيدان لحي، الطائفة اليهودية في مصر ١٨٩٧ - ١٩٤٨: دراسة في نشاطها الصهيوني، مجلة «الأستاذ» للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد، العدد ٢٢٦، ٢٠١٨، ص ٧٩ - ١١٤.

نبيل عبدالحميد سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي (١٩٤٨ - ١٩٥٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٧.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٤١٨ - ٤١٩.

Gfdcf n Kcæmec, The @wd in modæc Egyac 121- 12. +Oa. Cie, aa. 116 - 110.,

نبيل عبدالحميد سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي (١٩٤٨ - ١٩٥٦)، مرجع سابق، ص ٣٧.

أمل سرور وأحمد بلال، الحركة الصهيونية في مصر بدأت عام ١٨٩٧.. والطلاب اليهود أسسوا لجنة لمناهضتها، مصدر سابق.

- المصدر نفسه.
- صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٣٤٢.
- د. زبيدة محمد عطا، يهود مصر: التاريخ السياسي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٣٠.
- المرجع نفسه.
- صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٤٣١ - ٤٣٢.
- مأمون أحمد حسن الخطيب، الصحافة اليهودية والصهيونية في مصر ١٨٩٧ - ١٩٥٤، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٣.
- د. سهام نصار، اليهود المصريون.. صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ - ١٩٥٠، مرجع سابق.
- المرجع نفسه.
- د. خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي.. وصداه (١٩٠٨ - ١٩١٨)، سلسلة «كتب فلسطينية»، العدد ٤١، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، مايو ١٩٧٣، ص ٣١٩ - ٣٢٢.
- أمل سرور وأحمد بلال، الحركة الصهيونية في مصر بدأت عام ١٨٩٧.. والطلاب اليهود أسسوا لجنة لمناهضتها، مصدر سابق.
- محمود سعيد عبدالظاهر، يهود مصر: دراسة في الموقف السياسي (١٨٩٧ - ١٩٤٨)، مرجع سابق، ص ١٣٧.
- د. سهام نصار، اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية، مرجع سابق، ص ٢٩.
- أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ٢٣.
- محمود سعيد عبدالظاهر، يهود مصر: دراسة في الموقف السياسي (١٨٩٧ - ١٩٤٨)، مرجع سابق، ص ١٣٨.
- المرجع نفسه، ص ١٣٩.
- جاك حاسون، تاريخ يهود النيل، ترجمة: يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.
- محمود سعيد عبدالظاهر، يهود مصر: دراسة في الموقف السياسي (١٨٩٧ - ١٩٤٨)، مرجع سابق.
- مجلة «الإخوان المسلمون»، العدد ٢٠٠، القاهرة، ١٥ مايو ١٩٤٨.
- د. خالد فهمي، عصام العريان ويهود مصر، جريدة «الشروق»، القاهرة، ٤ يناير ٢٠١٣.
- شريف عارف، الإخوان في ملفات البوليس السياسي (٣ - ٣)، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ٨ يناير ٢٠١٣.
- محسن محمد، من قتل حسن البناء؟، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣٨٤.
- علي عشاوي، التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٦٣.
- حارة اليهود تظل محاصرة والنيابة تعينها صباح اليوم، جريدة «المقطم»، القاهرة، ٢١ يونيو ١٩٤٨.
- جمعة أمين عبدالعزيز، أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، الكتاب السادس، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- جوجل بينين، شتات اليهود المصريين: الجوانب الثقافية والسياسية لتكوين شتات حديث، مرجع سابق، ص ٢٢٧.
- محمود سعيد عبدالظاهر، يهود مصر: دراسة في الموقف السياسي (١٨٩٧ - ١٩٤٨)، مرجع سابق، ص ١٥٥.
- المرجع نفسه، ص ٢٢٨.
- المرجع نفسه، ص ٥٧.
- المرجع نفسه، ص ١٧١.
- د. زبيدة محمد عطا، يهود مصر: التاريخ السياسي، مرجع سابق، ص ٧.
- جوجل بينين، شتات اليهود المصريين: الجوانب الثقافية والسياسية لتكوين شتات حديث، ترجمة: محمد شكر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧.
- محمد نجيب، كنت رئيساً لمصر، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٨٤.
- د. إبراهيم البحراوي، لا لعودة مجرمي «فضيحة لاقون»، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ٨ يناير ٢٠١٣.
- محمد سلماوي، يهود العريان، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ٢ يناير ٢٠١٣.
- د. ياسر ثابت، قصة الثروة في مصر، مرجع سابق، ص ١١٠.
- د. محمد أبو الغار، الإخوان يقعون في غرام اليهود، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ٨ يناير ٢٠١٣.
- د. محمد أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، مرجع سابق.
- محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٥٠٨.
- د. خالد فهمي، الخروج من مصر، مصدر سابق.

«المصري اليوم» تتفرد بنشر وصايا يوسف درويش ورسائله إلى جمال عبدالناصر والسادات، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ١٧ يونيو ٢٠٠٦.

د. ياسر ثابت، قصة الثروة في مصر، مرجع سابق، ص ١١٢.

د. جوزيف مسعد، الفلسطينيون واليهود المصريون بين النظام والمعارضة (٢ - ٢)، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ١٦ يناير ٢٠١٣.

د. محمد أبو الغار، مرجع سابق، ص ١٥٢ - ١٥٣.

سحر عربي، جنازة «لوسيان» اليهودية المصرية دون مراسم: «ماfish حاخام»، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ٣١ يوليو ٢٠١٦.

حسين صالح، نص الحكم بحبس رئيسة الطائفة اليهودية في مصر ٣ سنوات بتهمة النصب، جريدة «الشروق»، القاهرة، ١٢ يوليو ٢٠١٠.

حسين صالح، هروب رئيسة الطائفة اليهودية لأمريكا بعد حكم حبسها ٣ سنوات في قضية نصب، جريدة «الشروق»، القاهرة، ١٩ يوليو ٢٠١٠.

عدم اختصاص جنح مصر الجديدة بمحاكمة زعيمة الطائفة اليهودية المتهمه بالنصب، موقع «بوابة الشروق» الإلكتروني، ٣١ أكتوبر ٢٠١٠.

David K. Kickaackick, Cachen Meindein, Mho Led the @wd of Caico, Died ae l+, Dew Yock, Dew Yock Timed, Aacil 1-, +013.

أحمد بلال، ماجدة هارون رئيسة الطائفة اليهودية في أول حوار بعد انتخابها لـ«المصري اليوم»: «أنا بنت أبويا» ولن أسافر لإسرائيل، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ١٦ يوليو ٢٠١٣.

نغم قاسم، حماية التراث اليهودي في مصر.. فصل جديد من العلاقات أم استعادة للتاريخ؟، موقع «بي بي سي عربي» الإلكتروني، ١٣ مارس ٢٠٢٠.

أمل سرور وأحمد بلال، «المصري اليوم» تفتح الملف (١) اليهود في مصر.. وجود بطعم الغياب، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ١٠ مارس ٢٠١٠.

نغم قاسم، حماية التراث اليهودي في مصر.. فصل جديد من العلاقات أم استعادة للتاريخ؟، مصدر سابق.

د. مصطفى الفقي، اليهود المصريون، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ١١ يوليو ٢٠١٩.

محمد سلماوي، عودة اليهود وممتلكاتهم، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ١ يناير ٢٠١٣.

د. إيمان مرعي، ادعاءات أملاك اليهود في مصر، تعليقات مصرية، العدد ١٣١، ٢٢ يوليو ٢٠٠٩، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة.

أنس مصطفى كامل، مرجع سابق.

أسامة خالد، «كارمن» رئيسة الطائفة اليهودية بالقاهرة: لن نبيع معابدنا.. ولا توجد لنا أي علاقة مع سفارة إسرائيل، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ١٥ فبراير ٢٠١٠.

ألان نافارو، عائلة مبيتزغر يهودية الأصل تستعيد حقوقها بفندق سيسيل بالإسكندرية وتبيعها على الفور، جريدة «القدس العربي»، لندن، ٦ يونيو ٢٠٠٧.

محمود سعد الدين، إحالة مقال العقارات اليهودية إلى الجنايات، جريدة «اليوم السابع»، القاهرة، ١٦ ديسمبر ٢٠٠٩.

حسين صالح، السجن ٥ سنوات لمقاوم بعد استيلائه على أملاك لليهود، جريدة «الشروق»، القاهرة، ٣١ مارس ٢٠١٠.

سعيد علي ومحمد كامل وأحمد علام، العريان يدعو يهود مصر للعودة واسترداد أملاكهم وسياسيون: كلام خطير هدفه إرضاء الأمريكان، جريدة «المصري اليوم»، القاهرة، ٢٩ ديسمبر ٢٠١٢.

هاني بركات، إحباط محاولة تهريب ١٣ طردًا تحوي مستندات ووثائق عن أملاك اليهود في مصر، موقع «بوابة الأهرام» الإلكتروني، القاهرة، ١٨ أكتوبر ٢٠١٢.

Haim Hillel Ben - Saddon (Ed.), A Hidocy of the @with Peoale, Hacvaad Univexdief Poedd, 121. , aa. 1-+- 1-..

د. فاضل عبدالواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٤٢.

Edofaad Chacon, Voyagef odAnciend eeModecned benjamin de Tf dele, Vol. +, Pacid, 1100.

يوسف غنيمه، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط ٣، الوراق للنشر، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٩٧ - ١٩٨.

أحمد راسم، عثمانلي تاريخي، المجلد الرابع، الفائدة ١٩١، ص ٢٠٤٨.

Idcael @deah Benjamin, Eighe Yeadd in Adia and Afica, foom 11-6 to 11. . , HaadPcedd, +011, aa. +-0 -+ 1.

يوسف غنيمية، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

Macin Gilbec, In Idhmael'd Hof de, Yale Univeediey Pcedd, +010.

Zvi Yehfda, (+010 - 01 - +1). The Dew Babylonian Diadaoca3 The Ride and Fall of the @width Commfniey in Icab, 16dh - +0dh Cenfcied C.E., +010, Leiden3Bcill.

صمونيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ١٤١.

Idcael @deah Benjamin, Eighe Yeadd in Adia and Afica, foom 11-6 to 11. . , Oa. Cie

د.خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مرجع سابق، ص ١٠٣.

منذر عبدالمجيد البدري، جغرافية الأقليات الدينية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد، قسم الجغرافيا، ١٩٧٥، ص ٢٥١ - ٢٥٣.

نصر شمالي وهشام دجاني، الظروف التاريخية للهجرة اليهودية، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٠.

مازن لطيف، يهود بغداد والصهيونية ١٩٢٠ - ١٩٤٨، موقع المدى للإعلام والثقافة والفنون، ملاحق «المدى» الأسبوعية، ملحق «أوراق»، ٢٠١٢.

صمونيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ٢٨.

حنا بطاطو، العراق - الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص ٣٦.

يوسف غنيمية، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مرجع سابق، ص ١٨٤.

الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، صاحب الامتياز: إلياهو دنكور، مطبعة دنكور، بغداد، ١٩٣٦، ص ٧٢٦.

صمونيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ٣٤.

المرجع نفسه، ص ٤٦.

يوسف غنيمية، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مرجع سابق، ص ٢١٤.

د.عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد ٤، ج ٢، ص ١٤١ - ١٤٢.

أحمد برهان الدين باش أعيان، النشاط الصهيوني في العراق (١٩١٤ - ١٩٥٠)، موقع «الموصل» الإلكتروني.

صمونيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ٣٥.

أبراهام بن يعقوب، موجز تاريخ يهود بغداد من بدايتهم وحتى اليوم، القدس، ١٩٧١، ص ١٠٦.

خلدون ناجي معروف، الأقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ و ١٩٥٢، جزآن، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٨١.

يوسف مثير، خلف الصحراء: الحركة السريّة الطلائعية في العراق، ترجمة: حلمي عبدالكريم الزعبي، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٦.

خلدون ناجي معروف، الأقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ و ١٩٥٢، مرجع سابق، ص ٨٢.

د.فاضل البراك، المدارس اليهودية والإيرانية في العراق: دراسة مقارنة، مطبعة دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٤.

أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ٦.

صمونيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ١١٧.

مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط: الخروج من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر، عمان، ١٩٩٦، ص ١١٣ - ١١٥.

لورا زيتيرين إيزنبرغ، عدو عدوي: الصلات الصهيونية اللبنانية (١٩٠٠ - ١٩٤٨)، ترجمة: رضى سليمان، شركة المطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧، ص ٢١ - ٢٢.

سعد سلمان عبدالله، النشاط الدعائي لليهود في العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٨٦.

هشام فوزي عبدالعزيز، النشاط الصهيوني في العراق خلال فترة الاستقلال، مجلة «شؤون فلسطينية»، بيروت، العدد ١٩١، فبراير ١٩٨٩، ص ٥٦ - ٥٧.

سعد سلمان عبدالله، النشاط الدعائي لليهود في العراق، مرجع سابق، ص ٩٢ - ١١٦.

يهودا شنهاف شهرباني، اليهود العرب: قراءة ما بعد كولونيالية في القومية والديانة والإثنية، مرجع سابق، ص ٦٧.

د.عبدالكريم العلوجي، تاريخ اليهود في العراق، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٧٢.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ١١٨ - ١٢٠.
د. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مرجع سابق، ص ١٢٥ - ١٢٦.
هشام فوزي عبدالعزيز، النشاط الصهيوني في العراق في ظل الانتداب البريطاني، مجلة «شؤون فلسطينية»، العدد ١٨٠، مارس ١٩٨٨، ص ٤٨ - ٥٠.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ١٢٢ - ١٢٣.
أحمد برهان الدين باش أعيان، النشاط الصهيوني في العراق (١٩١٤ - ١٩٥٠)، مصدر سابق.
بسام الكرزون، تطورات النشأة الصهيونية في العراق، ج ٣، موقع «دنيا الوطن» الإلكتروني، ٦ أغسطس ٢٠٠٥.
هشام فوزي عبدالعزيز، النشاط الصهيوني في العراق في ظل الانتداب البريطاني، مصدر سابق، ص ٤٢ - ٥٠.
أحمد باش أعيان، الصهيونية واليهود العراقيون (١٨٦٠ - ١٩٥٠)، موقع «الموصل» الإلكتروني، ٦ يناير ٢٠١٤.
خلدون ناجي معروف، مقدمة في دراسة الأقلية اليهودية في العراق ١٩٢١ - ١٩٥٢؛ في: يهود العالم والصهيونية وإسرائيل، مرجع سابق.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ٩٧.
د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد ٦، ج ٤، ص ٤١٠ - ٤١١.
أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ١٢.
وزارة الداخلية العراقية، الملفات السياسية، رقم الإضبارة ٢٩/٣، موضوع الإضبارة: الدعاية ضد اليهود، كتاب متصرفية بغداد المرقم ٣٤٧٨ في ٢٨ فبراير ١٩٣٥ م إلى هارون ساسون معلم إلياهو ناحوم.
وزارة الداخلية العراقية، الملفات السياسية، رقم الإضبارة ٢٩/٣، موضوع الإضبارة: الدعاية ضد اليهود، كتاب مديرية شرطة بغداد المرقم س/١٥٢٧ في ٣ سبتمبر ١٩٣٤ م إلى متصرف لواء بغداد.
سعد سلمان عبدالله، النشاط الدعائي لليهود في العراق، مرجع سابق، ص ١٤١.

USA, Internal Affairs of Iraq 1230 - 12-- , Roll. +, a. 12. .

يوسف غنيمية، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مرجع سابق، ص ٣٢٢.
أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ٦ - ٧.
د. عبد الكريم العلوجي، تاريخ اليهود في العراق، مرجع سابق، ص ٤٠.
يوسف غنيمية، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مرجع سابق، ص ٢٣٣.
أحمد باش أعيان، الصهيونية واليهود العراقيون (١٨٦٠ - ١٩٥٠)، مصدر سابق.
يوسف غنيمية، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مرجع سابق، ص ٣٢٤.
أحمد باش أعيان، الصهيونية واليهود العراقيون (١٨٦٠ - ١٩٥٠)، مصدر سابق.
عيدو ليفي، استعادة الإرث اليهودي في العراق، موقع «منتدى فكرة»، ١٩ أكتوبر ٢٠٢١.

The Washington Institute for Near East Policy, <http://www.washingtoninstitute.org/ac/policy-analysis/alyhwdy-fy-alcab>

أحمد باش أعيان، الصهيونية واليهود العراقيون (١٨٦٠ - ١٩٥٠)، مصدر سابق.
د. عبد الكريم العلوجي، تاريخ اليهود في العراق، مرجع سابق، ص ٤٢ - ٤٤.
سعد سلمان عبدالله، النشاط الدعائي لليهود في العراق، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

Daomi E. Padachoff; Robeece@Liaman, "Oaecaion Magic Cacaee" and "Oaecaion Ezca and Dehemiah"; in 3A Conside Hidoxy of the @with Peoale. Mdcyland3Rowman & Liolefield, +00. .

Eckhec Meic - Gliezendein, Zionidm in an Acab Cofnecy3@wd in Icab in the 12-0d, London3Rof'dedge, +00-, a. +0+.

شلومو هيلل، تهجير يهود العراق، ترجمة: غازي السعدي، دار الجليل، عمان، ٢٠١٤، ص ٢٦٠ - ٢٦٤.
د. عبد الكريم العلوجي، تاريخ اليهود في العراق، مرجع سابق، ص ١٤٧ - ١٤٨.
د. عبدالقادر ياسين، الهجرة اليهودية، مجلة مركز «الدراسات الفلسطينية»، بغداد، العدد ٢٦، فبراير ١٩٧٨، ص ٣٠ - ٣١.
كاظم حبيب، يهود العراق والمواطنة المنتزعة، منشورات المتوسط، روما، ٢٠١٥، ص ٤٥٦ - ٤٥٧.
نجيب الصائغ، من أوراق نجيب الصائغ في العهد الملكي والجمهوري (١٩٤٧ - ١٩٦٣)، مكتبة البيضة العربية، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٨٦.

مازن لطيف، يهود العراق، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣، ص ٩٣.

علياء محمد حسين الزبيدي، العهد العارفي في العراق (١٩٦٣ - ١٩٦٨)، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣، ص ٥٤٣.
ضرغام عبدالله الدباغ، لا بد لنا من فجر، منشورات دار ضفاف، بغداد، ٢٠١٥، ص ٨٦.
حازم صاغية، بعث العراق: سلطة صدام قيامًا وحطامًا، دار الساقى، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٧٠.
د.سيف عدنان القيسي، يهود العراق في التقارير الحكومية والصحفية (١٩٦٨ - ١٩٧٨): دراسة وثائقية، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ٢٠٢٠، ص ٨ - ١١.
نسليم رجوان، آخر اليهود في بغداد (ذكريات وطن مفقود)، ترجمة: رمضان مهلهل سخان، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٦، ص ٣١٢ - ٣١٣.

Refven Snic, "Religion id fof God, the Fafhedland id fof Eveyone'3 Acab - @with Mciæed in Modern Icab and the Cladh of Daccaived afæc theic Immigcaion to Idcael," @f nal of @f nal of the Americn Ocienal Sociey, 1+6.3, +006, aa. 302 - 322.

حنا بطاطو، العراق، ٣ أجزاء، منشورات دار القيس، الكويت، ١٩٩٢، ج ١، ص ٤١٦.
د.سيف عدنان القيسي، مرجع سابق، ص ٢٥ - ٤٢.
أنور شأوول، قصة حياتي في وادي الرافدين، منشورات رابطة الجامعيين العراقيين، القدس، ١٩٨٠، ص ٣٢٧.

M. D. Rfbindæin, The Lefæ the Righeand the @wdDew, Yock3Univeckæ Bookd, 1213.

Abcaham Ben - Yaacob; ee al., "Icab"; In3Michael Becenbafm; Fced Skolnik (edd.), Encycloaaedia @daica, Vol. 10 (+nd ed.), DeæoiæMacmillan Refecence, +000, a. 16.

Ann LoLocdo, "In Icab, cææce fof the @wd Baghdad3A ény minociey theæ had deen good dayd and bad id æææed well fndec Saddam Hfdæin", balæmooedfn.com.

Michell Baod, "The @wd of Icab", @with Vicefal Libcacy, +013.

د.عبدالكريم العلوجي، تاريخ اليهود في العراق، مرجع سابق، ص ٢٤.
عدد اليهود في العراق لم يعد يتجاوز أصابع اليد الواحدة، جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٢٩ مارس ٢٠٢١.
قضاء العراق يحبط محاولة الاستيلاء على أملاك يهود، موقع «سكاي نيوز عربية» الإلكتروني، ١٩ نوفمبر ٢٠٢١.
د.سيف عدنان القيسي، مرجع سابق، ص ٨ - ١٠.
مير بصري، أعلام اليهود في العراق الحديث، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٩.
إبراهيم الجبين، نعيم دنكور اليهودي العراقي رائد الطباعة والكوكاكولا، جريدة «العرب»، لندن، ٣ يناير ٢٠١٨.
يوسف غنيمية، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مرجع سابق، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.
نبذة مختصرة عن حياة الفنانين صالح الكويتي وأخيه داوود، جريدة «الزمان»، بغداد، ٩ مارس ٢٠١٥.
د.خالد حبيب الراوي، تاريخ الصحافة والإعلام في العراق منذ العهد العثماني وحتى حرب الخليج الثانية ١٨١٦ - ١٩٩١، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١٠.

أكرم حسن العلبي، يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق التاريخية في دمشق (٩٩١ هـ - ١٣٣٦ م / ١٥٨٣ م - ١٩٠٩ م)، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ٢٠١١، ص ١١.

المرجع نفسه، ص ١٧.

المرجع نفسه، ص ١٨.

موريس سارتر، سورية في العصور الكلاسيكية، ترجمة: محمد الدنيا، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١٢٦.
اللائقية لؤلؤة المتوسط، وزارة الإعلام السورية، دمشق، ١٩ فبراير ٢٠١٣.

أسد رستم، كنيسة أنطاكية مدينة الله العظمى، المكتبة البولسية، جونية، ١٩٨٨، ص ١٧.

المرجع نفسه.

موريس سارتر، سورية في العصور الكلاسيكية، مرجع سابق.

المرجع نفسه.

فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢١٢.
عبدالعزیز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤ - ١٩١٤)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٣٠٧.

صموئيل آتينجر (محررًا)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ١٧١.

د.خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مرجع سابق، ص ١٤٩.

المرجع نفسه، ص ١٥٢.

عبدالعزیز محمد عوض، الإدارة العثمانیة فی ولاية سوریه (١٨٦٤ - ١٩١٤)، مرجع سابق، ص ٣١٨.
Maléc P. Zennec, A Global Commfney3The @wd from Aleaa, Syria, Deawie, Michigan3Mayne Saæ Univecdey Pcedd, +000, a.
...

علي إبراهيم عبده وخیریة قاسمیة، یهود البلاد العربیة، منظمة التحرير الفلسطینیة - مركز الأبحاث، بیروت، ١٩٧١، ص ٩٨.
Lydia Collind & M. L. Biebcie, The Seahadim of Manchedæc3Pedigœed and Pioneec, Manchedæc3Shaaæ Hayim, the Seahad
Congeogacation of Sofd Manchedæc, +006.

صموئیل أتینجر (محرراً)، اليهود فی البلدان الإسلامیة (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ١٧٣ - ١٧٤.

محمود حریتانی، تاریخ اليهود فی حلب، شعاع للنشر والعلوم، حلب، ٢٠٠٨.

علي إبراهيم عبده وخیریة قاسمیة، یهود البلاد العربیة، مرجع سابق، ص ٩٠.

عبدالعزیز محمد عوض، الإدارة العثمانیة فی ولاية سوریه (١٨٦٤ - ١٩١٤)، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

مجلة «السؤال»، العددان ١٥، ١٦، ٢٥ فبراير ١٩٩٢.

دوني إرمان، استراتيجیات الحركة الصهیونیة فی سوريا ولبنان فی الثلاثینیات، مجلة «الدراسات الفلسطینیة»، مؤسسة الدراسات
الفلسطینیة، بیروت، العام ٢٠، العدد ٧٨، ربيع ٢٠٠٩، ص ١٤٣.

Daniel Piaed, Gœææc Syria3The Hidœcy of an Ambicidn, Dew Yock3Oi food Univecdey Pcedd, 1220, a. . 0.

Sæven Lee Myec, Sycian @wd Find Haven in Bœoklyn, The Dew Yock Timed, +3 May 122+.

Adam Enœf d, "A Bcief Hidœcy of the Sycian @widh Commfney", The Mall Sæææ@fnal, wdj.com, 1 Decembec +01- .

إنجي مجدي؛ مصطفى رستم؛ مصطفى الأنصاري؛ نوفل الشرقاوي؛ هدى الطرابلسي، اليهود فی بلاد العرب... أثر بعد عين،
موقع «إنبندنت عربيّة» الإلكتروني، ٢٤ أغسطس ٢٠٢١.

Tomec Levi, "The Focnaion of a Levanine Commfney3 The @wd of Beicfe, 1160 - 1232", Ph.D. didœæacation, Bcandeid
Univecdey, +010, aa. 01 - 133.

Kicæen Schflze, The @wd of Lebanon3Bœween Coei idænce and Conflicæ, Sfædei Academic Pcedd, +001, a. 33.

يشو □ (وتعني بالعبریة: استيطان)، وهو مصطلح استخدم ابتداءً فی ثمانینیات القرن التاسع عشر لیدل علی المجتمع اليهودي فی
فلسطين. یشیر مصطلح الیشوف إلى هیئة السكان اليهود فی فلسطين قبل قیام الكیان الإسرائيلي.

Kicæen Schflze, The @wd of Lebanon3Bœween Coei idænce and Conflicæ a. 33.

المقصود هنا هو هیة البراق، أو ثورة البراق، وهو الاسم الذي أطلقه الفلسطينيون علی اشتباكات عیفة اندلعت فی مدينة القدس فی
٩ أغسطس ١٩٢٩، أيام الانتداب البريطاني علی فلسطين.

الصندوق القومي اليهودي (الكيرن كايميت) هي منظمة صهیونیة تأسست فی عام ١٩٠١ كوسیلة لجمع الأموال من اليهود لشراء
الأراضي فی فلسطين العثمانیة، وإقامة المستعمرات اليهودیة، ثم فی فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ولاحقاً إسرائيل،
والضفة الغربیة، وقطاع غزة لإقامة مستوطنات يهودیة.

الكيرين هايسود، هو الصندوق التأسيسي الذي أقره المؤتمر الصهیوني المنعقد فی لندن «یوليو ١٩٢٠م»، والذي أنشئ بغرض
جمع الأموال فی العالم لاستعمار فلسطين.

اتحاد مكابي العالمي هو منظمة يهودیة دولیة ریاضیة تأسست عام ١٩٢١ وتغطي ٥ قارات وأكثر من ٥٠ دولة.

Yehodhf a Poca, 'Hidœcy of Fciendhia', The @cf dalem Podæ ++ May 1211.

Kicæen Schflze, Idcael'd CoveceDialomacy in Lebanon, 1220, London3Palgcave Macmillan, aa. 11 - +. .

انظر أيضاً: لورازیترين إیزنبرغ، عدو عدوي: الصلات الصهیونیة اللبنانیة (١٩٠٠ - ١٩٤٨)، مرجع سابق، ص ٢١٢ - ٢١٣.
المرجع نفسه، ص ٧٥ و٨٥.

Kicæen Schflze, "Lebanon", Encycloædia of @wd in the Idlamic Modd, Ei ecf ève Edicœ Docman A. Sællman, Bæll Online,
+013.

Kicæen Schflze, The @wd of Lebanon3Bœween Coei idænce and Conflicæ, Oa. Cie, a. 33.

Avi Bekec, @widh Commfniæd of the Modd, Indicæ of the Modd @widh Congœed, 1226, a. +00.

Thomad Collelo, "@wd", Lebanon3a cof nœy defdy (PDF), Libcacy of Congœed Cof nœy Sef died, Decembec 1210, aa. 00-01.

"Lebanon'd@w3Loyaley œ Mhom5 BBC Docf menæcy Tcackd Vanidhed Commfney", +6 Saææmbec +010.

مجلة «الوسط»، لندن، العدد ٩٤، ١٥ نوفمبر ١٩٩٤.

Sefi Hendlec, "Beicf e'd lade@wd", Yneænewd, 12 Af gfdæ+006.

Dagi G. Zeidan, @ifd df Liban3D'Abcaham à nodjof cæ, hidœice d'fne commf naf ewdidaacfe, @n +1, +0+1.

جريدة «البلد»، بيروت، ٢٢ يناير ٢٠٠٧.

Yiezhak Gil - Hac "The Seacaadon of Tcand - @dan from Paedcine", The @cf dalem Cahedca, 1211, 13+1--313.

US Deaacemene of Sææ, Inæcnaadonal Religiof d Fœedom Reaacæ+006.

Paæick Cockbfçn, Slaf ghæc on the Idle of Peace, London3The Indeaendene, 1- Macch 1220.

اعتبارًا من اليوم - الباقورة والغمر تعود للسيادة الأردنية الكاملة، موقع وكالة «زاد الأردن الإخبارية»، ١٠ نوفمبر ٢٠١٩.

Encycloaedia of Zionidm and Idcael, ed. Raahael Paæai, Hezcl Pœedd/McGæw Hill, Dew Yock, Vol. +, a. 111.

الباقورة قبل مائة عام.. بداية حرمان الأردن من حقوقه المائية، موقع وكالة «زاد الأردن الإخبارية»، ٥ مارس ٢٠١٦.

وزير العدل الأردني يصف الجندي الذي قتل سبع طالبات إسرائيليات بالبطل، موقع «العرب» الإلكتروني، ١٤ فبراير ٢٠١١.

الإفراج عن الدقاسمة.. وزوجته لـ«الغد»: فرحتي لا توصف، جريدة «الغد»، عمان، ١٢ مارس ٢٠١٧.

إسرائيل ترد على قرار ملك الأردن وتُهدد بقطع المياه عن العاصمة الأردنية، جريدة «اللواء»، بيروت، ٢٢ أكتوبر ٢٠١٨.

إسرائيل ترد على قرار ملك الأردن وتُهدد بقطع المياه عن العاصمة الأردنية، جريدة «اللواء»، بيروت، ٢٢ أكتوبر ٢٠١٨.

أحمد علي المجذوب، المستوطنات اليهودية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢، ص

٣٥ - ٣٨.

د. أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل، إربد، ٢٠٠٣، ص ٤٣.

انظر أيضًا: رجا عبدالحميد عرابي، سفر التاريخ اليهودي: اليهود - تاريخهم - عقائدهم - فرقهم - نشاطاتهم - سلوكياتهم - الحركة

الصهيونية - القضية الفلسطينية، ط ٢، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٢٤١.

د. أحمد سوسة، الصهيونية مديات الاقتراءات، جروس برس، طرابلس/لبنان، ٢٠٠٣، ص ٤٢٤.

أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.

فيليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور، تاريخ العرب - مطول، دار الكشاف للنشر، بيروت، ١٩٥١.

شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣.

د. أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٨ - ٢٩.

أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٢، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤، ص

٧٨؛ شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٤؛ عبدالرحمن بن علي الجوزي، المنتظم في

تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، ج ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

د. عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٢٤.

Malæc @deah Fidchel, The Region of the Pædian Gflf and Id @with Sæælemenæd in Idlamic Timed; In3Alel andec Maci @bilee Vol., The @with Theological Seminacy of Amecica, Dew Yock, 12. 0, a. +0. .

إسرائيل ولغفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، القاهرة،

١٩٢٧، ص ١٤.

ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج ٢، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١،

ص ٣٤٢.

بطرس البستاني، دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب، ج ١١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص ٦٧٢.

Shalom Seci and Dafæali Ben - David, A @fcney æ Yemen and Id @wd, Tel Aviv3'Amf æah 'Eeleh Be - Tamaç 1221, a. - 3.

Yiezhak Ben - Zvi, The ocigin of the deææemene of @with æibed in Acabia; in3Eææz Idcael Book, vol. 6, 1260, a. 13. .

@L. Kcaemec "Maç, Conbfede and the Tœæemene of Religiof d Minociæd in Medieval Idlam"; in3Violence and Defende in the @with Ei aæcience. (ed.) S. M. Bacon and G. S. Mide, Philadelahia, 1200.

Edeæ Mfchawdky - Schnaaæç, The @wd of Yemen, Highlight of the Idcael Mf def m Colleccion, @cf dalem, 122- .

Chidæian Robin, Himyac ee Idcaël; in3Acadwnie ded indæcæadond ee belled leææed (edd)3 Comaæd - Rendf d of dvanced de l'annwe +00- dh 1- 1/+ , a. 131 - 201, Pacid, +00- .

AFL Beedøn, Sef died in the Hidcoy of Acabia, Vol II, Pœ - Idlamic Acabia, Pœceedingd of the +nd Inæcnaadonal Symaodif m on Sef died of Acabia, 121- , a. 1-2.

د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر والطباعة، بيروت، ط ٤، ١٩٧٥، ص ٥٥٣.

@deah B. Schechman, On Mingd of Eagled3The Plighe, Ei odf d and Homecoming of Ocieneæl @wcy, Oa. Cie, a. 3- .

أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الجُمَيْرِي، تهذيب سيرة ابن هشام، ج ١، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٢٢

- ٢٨ .

د.كاميليا أبو جبل، يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، دار النمير للطباعة، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٩ .

بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٢، ص ٣١٦ - ٣١٨ و ٣٣٩ .

Malæc@deah Fidchel, Oa. Cie. aa. +03 - +30.

جي وايز جربير، مسقط عام ١٦٨٨ - تقارير ورسومات أنجلبرت كامبفر، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٤، ص ١٤ .

انظر أيضاً: روبين بيدويل، عمان في صفحات التاريخ، ترجمة: محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٥، ص ١٥ - ١٦ .

كارستن نيبور، مشاهدات نيبور في رحلة من البصرة إلى الحلة، ترجمة: عدنان جواد طعمة، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٩٦٦، ص ٢٢٧ .

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ٢٣ .

Mack R. Cohen, Undec Cædæne and CoodB The @wd in the Middle Aged, Oi focd3Pinceon Univeedey Pædd, 122-, a. 1+.

المرجع نفسه، ص ٣٢ .

د.عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد ٤، ج ٢، ص ١١٨ .

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ٢٨ .

أحمد كامل راوي، هجرة يهود اليمن ودور الصهيونية، موقع «الجزيرة نت» الإلكتروني، ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٤ .
المرجع نفسه، ص ٤٣ .

المرجع نفسه، ص ١٢٧ - ١٣٢ .

د.كاميليا أبو جبل، يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، مرجع سابق، ص ١٦٧ .

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ١٤٠ .

يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، دار مدارك، دبي/بيروت، ٢٠١١ .

نبيل الربيعي، تاريخ يهود الخليج: البحرين - عمان - الأحساء - الكويت، دار الرافدين/الفرات، بغداد، ٢٠١٩ .
المرجع نفسه، ص ٢٤ .

Poliical Diacied of the Peodian GfIf, Vol. 1, 1220, Oi focd3Redwood Pædd led., a. 110.

نبيل الربيعي، مرجع سابق، ص ١٥ .

Fæddik Bacd, Soha3Cflfæ and Socieey in an Omani Town, Macyland3@hn Hoakind Univeedey Pædd, 1213, a. - 1.

جيمس ولستد، تاريخ عمان - رحلة إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة: عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، دار السقي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٧ - ٢٨ و ٣١ .

د.كاميليا أبو جبل، يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٢٩ .

كارستن نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ج ١، ترجمة: عبير المنذر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٣٤ .

روبين بيدويل، عمان في صفحات التاريخ، مرجع سابق، ص ٥٩ .

ب ج سلوت، عرب الخليج: في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية (١٦٠٢ - ١٧٨٤)، ترجمة: عايدة خوري ومحمد مرسى عبدالله، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٩٩٣، ص ٩٧ .

ج. لوريمر، القسم الجغرافي، ج ٤، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، مطابع علي بن علي، دون تاريخ، ص ١٤٩٥ .

محمد عبدالله آل عبدالقادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ط ٢، الرياض والأحساء، دار المعارف ومكتبة الأحساء الأهلية، ١٩٨٢، ص ١٩٠ - ١٩١ .

ج. لوريمر، القسم الجغرافي، ج ١، مرجع سابق، ص ٣١٩ .

- خالد البسام، حكايات من البحرين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١، ص ٥٤.
- عبدالعزیز الرشید، تاریخ الكويت، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاریخ، ص ٣٨.
- وثيقتان شرعيتان صادرتان من محكمة الهفوف بالأحساء في عامي ١٣٠٤هـ / ١٨٨٩م و ١٣١٧هـ / ١٨٩٩.
- خالد البسام، كلنا فداك: البحرين والقضية الفلسطينية (١٩١٧ - ١٩٤٨)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٤٦ - ١٤٧.
- علي الجلاوي، اليهود في البحرين، جريدة «الأيام»، المنامة، ١١ مارس ٢٠٠٦، ص ١٢.
- ماكس أوبنهايم، رحلة إلى مسقط عبر الخليج، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٧، ص ٥٨.
- انظر أيضاً: س. ب. مايلز، الخليج: بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط ٤، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٩٠، ص ٤٢٤.
- جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج ٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٢٧ - ١٢٨.
- أسامة العيسة، المجهول في هجرة يهود اليمن إلى فلسطين، موقع «إيلاف» الإلكتروني، ١٩ مايو ٢٠٠٨.
- «يهود اليمن: أسرار طائفة تعتقد بمبادئ مضادة لإسرائيل»، موقع «العربية نت» الإلكتروني، ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٤.
- صموئيل أنتنجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠)، مرجع سابق، ص ٣٣.
- المرجع نفسه، ص ٣٤.
- أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ١٦ - ١٧.
- Ref ben Ahoni, @with Emigcaion fom the Yemen 12. 1 - 213CacaeMihof eMagic, Oi focddhice3Tayloc & Fancid Ltd, +001, a. +0.
- Malka Hillel Shflewiez, The Foggoæen Milliond3 The Modcen @with Ei odfd fom Acab Landd, Dew Yock3 Conánffm, +000, a.16.
- Maoen Gilbecç In Idhmael'd Hof de3A Hidocy of @wd in Mfdlim Landd, Toconæ3McClelland & Sæwacç +010, a. +01.
- حسن سلمان البشر، تاريخ اليهود في الأحساء، موقع «الأحساء نيوز» الإلكتروني، ٢٣ أبريل ٢٠١٩.
- عبدالله ناصر السبيعي، اقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني (١٨٧١ - ١٩١٣)، دون ناشر، الرياض، ١٩٩٩، ص ٢٢٨.
- المرجع نفسه.
- هدى الطرابلسي، اليهود في بلاد العرب... أثر بعد عين، مصدر سابق.
- المصدر نفسه.
- د.كاميليا أبو جبل، يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، مرجع سابق، ص ١٨٨.
- يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية، إصدار جمعية ناطوري كارتا، ترجمة: بلقيس الحضرائي، فصلية «دراسات يمنية»، صنعاء، العدد ١٧، ١٩٨٤، ص ١٦١ - ١٦٢.
- @deah B. Schechman, On Mingd of Eagled3The Plighe, Ei odfd and Homecoming of Ocieneal @wcy, Oa. Cie, a. 62.
- د.كاميليا أبو جبل، يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، مرجع سابق، ص ١٩٠ - ١٩١.
- ب ج سلوت، مبارك الصباح مؤسس الكويت الحديثة (١٨٩٦ - ١٩١٥)، ترجمة: السيد عيسوي أيوب، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٨، ص ٧٩.
- أنستاس الكرمل، الكويت، مجلة «المشرق»، الكويت، العدد ١٠، ١٥ مايو ١٩٠٤، ص ٥١١.
- عبدالعزیز الرشید، تاریخ الكويت، مرجع سابق، ص ٨٩.
- د.وسام حسين عبدالرزاق وعصام خليل محمد إبراهيم، الأصول التاريخية للوجود اليهودي في الخليج العربي في العصر الحديث، مجلة «مداد الآداب» ١ (٧)، كلية الآداب، الجامعة العراقية، ٢٠١٤، ٢٥١ - ٢٨٨.
- يوسف الشهاب، رجال في تاريخ الكويت، ج ١، ط ٢، الكويت، دون ناشر، ١٩٩٣، ص ٢١٣.
- محمد عبدالهادي جمال، أسواق الكويت القديمة، ط ٢، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٤، ص ١٦٠ و ١٨٠.
- يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، مرجع سابق، ص ١٣٤.
- ج. لوريمر، القسم الجغرافي، ج ٤، مرجع سابق، ص ١٣٠٧.

- يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، مرجع سابق، ص ٥٧.
 ج. لوريمر، القسم الجغرافي، ج ٤، مرجع سابق، ص ١٣٠٧ و ١٣١٢.
- Hidæocy of the @wd in Kfwaieç The Scibe, Iddf e 01, Ocæbec+006, a. 61.
 محمد عبدالهادي جمال، الحِرَف والمهن والأنشطة التجارية القديمة في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٣، ص ٢٤٠.
- يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، مرجع سابق، ص ٥٩.
 محمد نايف العنزي، «الهجرة اليهودية إلى منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن العشرين»، مجلة «المواقف»، الجزائر، العدد ٤، ديسمبر ٢٠٠٩، ص ٢٧.
- Hidæocy of the @wd in Kfwaieç Oa. Cie, a. 61.
 KfwaieçPoliical Agency, Acabic Docf menæd(1122 - 12-2), Vol. 1, Achive Ediiond, Oi focd3Anæony Rowe, 122-, aa. . 60 - . 00.
 جاسم عباس، يهود الكويت، جريدة «القبس»، الكويت، ٢٩ يناير ١٩٨٥.
 حمد محمد ابن صراي، «اليهود والخليج العربي: رؤية تاريخية نقدية»، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، الحولية (٢١)، ٢٠٠١، ص ٤٠.
- “The @wd of Df bai ace on the maa”, yneænewd.com, . Febcf acy +012.
 A cobf de @widh life ei idæd in the U.A.E., yneænewd, 11 @ne, +0+0.
 Dancy Elly Khedof ci, Fcom Of c Beginning æ Poædene Day, Al Manac Poædd, Manama, +000, a. 30.
- يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، مرجع سابق، ص ٦٧.
 د. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مرجع سابق، ص ١٩٣.
 علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٥٨.
 تليفزيون إسرائيلي يكشف خفايا حياة اليهود في البحرين، موقع «روسيا اليوم» الإلكتروني، ٥ يونيو ٢٠٢١.
 مي محمد الخليفة، تشارلز بلجريف: السيرة والمذكرات (١٩٢٦ - ١٩٥٧)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠.
 وهيب أبو واصل، عائلات يهودية في البحرين منذ أكثر من ١٥٠ عامًا وكنيس المنامة هو الوحيد في الخليج، موقع «إذاعة مونت كارلو الدولية»، ١٥ سبتمبر ٢٠٢٠.
 تشارلز بلجريف، مذكرات بلجريف، ترجمة: مهدي عبدالله، دار البلاغة، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٤٥.
 انظر أيضًا: مجلة «البعثة»، م ١، ع ٥، س ١، الكويت، أبريل ١٩٤٧، ص ٨٣.
- @hn Bflloch, The Gflf3A Poææaie of Kfwaieç Qaæc, Bahcain and the UAE, London3Cenef cy Pfbliðing Co Led, 121-, a. 0.
 Dancy Elly Khedof ci, Oa. Cie, a. ٧١, ٨٧.
- تليفزيون إسرائيلي يكشف خفايا حياة اليهود في البحرين، مصدر سابق.
 علي الجلاوي، اليهود في البحرين، جريدة «الأيام»، المنامة، ١١ مارس ٢٠٠٦، مصدر سابق.
 علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧١، ص ١٥٧.
 علي الجلاوي، اليهود في البحرين، جريدة «الأيام»، المنامة، ٢٠ مارس ٢٠٠٦، ص ٢٠.
- Dancy Elly Khedof ci, Oa. Cie, a. 16.
 ابن الشعب، «صرخة تتبعث من الأعماق»، مجلة «الرابطة العربية»، القاهرة، م ٧، ع ١٢٩، ١٩٣٨، ص ٣٨.
 د. محمد الرميحي، قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين (١٩٢٠ - ١٩٧٠)، الوحدة للنشر، الكويت، ١٩٧٦، ص ٤٢.
 خالد البسام، كلنا فداك: البحرين والقضية الفلسطينية (١٩١٧ - ١٩٤٨)، مرجع سابق، ص ١٩٦.
- Mack R. Cohen, Undec Cædcene and Coodk B The @wd in the Middle Aged, Oa. Cie, a. 66.
 Habib To fmi, Bahcain defendd conæced widh US @widh body, gflfnewd.com, - Aacil +000.
 البحرين تعلن عودة الصلاة لكنيس يهودي بالمنامة بعد ٧٤ عامًا، موقع «روسيا اليوم» الإلكتروني، ٢٢ أغسطس ٢٠٢١.
 يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، مرجع سابق، ص ٢٠٧.
 المرجع نفسه، ص ٢٠٨.
 يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، مرجع سابق، ص ٢٠٩.
- Poliical Dicaied of the Poædian Gflf, Oa. Cie, Vol. 11, a. 13.
 مجلة «البعثة»، الكويت، م ٢، ع ٩، س ٢، أكتوبر ١٩٤٨، ص ٢٠؛ م ٤، ع ٢، س ٤، فبراير ١٩٥٠، ص ٤٠.

خالد البسام، كلنا فداك، مرجع سابق، ص ١٥٦. انظر أيضًا:

Political Diaced of the Peodian GfIf, OP. Cie, Vol. 10, a. . 03.

يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

مي محمد الخليفة، مرجع سابق، ص ٤٨.

علي الجلاوي، يهود البحرين (١٩٠٠ - ٢٠٠٥) صورة أخرى للتسامح والعنف، فراديس للنشر والتوزيع، المنامة، ط ٢، ٢٠١٢، ص ١٢.

Political Diaced of the Peodian GfIf, OP. Cie, Vol. 11, aa. +- 1 - +- 2.

Ibid., Vol. 11, a. - . 1.

لورا زيترن إيزنبرغ، عدو عدوي: الصلات الصهيونية اللبنانية (١٩٠٠ - ١٩٤٨)، مرجع سابق، ص ٨٥ - ٨٦. المرجع نفسه، ص ٢٣.

يوسف علي المطيري، اليهود في الخليج، مرجع سابق، ص ٢١٣.

د. أحمد سوسة، الصهيونية مديات الافتراءات، مرجع سابق، ص ١١٠.

خالد البسام، كلنا فداك، مرجع سابق، ص ١٧ - ١٨.

نبيل الربيعي، تاريخ يهود الخليج: البحرين - عمان - الأحساء - الكويت، مرجع سابق.

Eli S. Malka, @cob'dChildcen in the Land of the Mahdi3@wd of the Sf dan, Sycacf de Univecdiey Peedd, 1220.

@dhfa Cadællino; Kadleen A. Cavanaf gh, Minociey Righd in the Middle Eade, OUP Oi food, +. Aacil +013.

Ibid.

Eli S. Malka, Oa. Cie

Ibid.

Yaakov Schwacz, "Ei iled @wd wofld 'love' æ de Sf dan again, if given chance via new Idcael dæd", www.imedofidcael.com.

بشير أحمد محيي الدين، الأسر اليهودية في السودان، موقع «الفحل» الإلكتروني، ٥ أكتوبر ٢٠١٠.

د. خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مرجع سابق، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

"The focgoæen @wd of Sf dan even cædeached haven'ehead of", Haacez.com.

الجالية اليهودية المفقودة في السودان، موقع «بي بي سي عربي» الإلكتروني، ٢٢ أكتوبر ٢٠١٩.

المصدر نفسه.

"The @width Commfniey of Khaæofm", Beie Haæffæde Oaen Daæabaded Pojece, The Mfdefm of the @width Peoale æe Beie Haæffæde.

Gabciel R Macbfcg, "Doæd on the @width commfniey in Sf dan in the nineæendh æ wenedæh cenædæd", Bflleæin of the Academic Cenæc in Caico, +001, (+-)3aa. ++0-6.

الجالية اليهودية المفقودة في السودان، مصدر سابق.

Yaakov Schwacz, Oa. Cie

Eli S. Malka, Oa. Cie

الجالية اليهودية المفقودة في السودان، مصدر سابق.

المصدر نفسه.

Eli Malka, Oa. Cie

الجالية اليهودية المفقودة في السودان، مصدر سابق.

المصدر نفسه.

Yaakov Schwacz, Oa. Cie

"The focgoæen @wd of Sf dan even cædeached haven'ehead of", Haacez.com.

Eli S. Malka, Oa. Cie

"Khaæofm (Sf dan) @width Cemeæcy +00. - Ei ended Veædion", YofTfæe, Achived from the original on +1 Decemæc +0+1.

مصطفى سري، وزير الشؤون الدينية والأوقاف السوداني: لا يوجد «دواعش» في السودان بل متطرفون، جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٤ نوفمبر ٢٠١٩.

وكالة أ. ف. ب، أحفاد اليهود السودانيين يطمون بالعودة إلى الماضي، موقع «إنديبندنت عربية» الإلكتروني، ٧ أبريل ٢٠٢١.

- Emily R. Goerlich, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Idrak Maccid, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- H. Iliowizi, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Sf dan Gildon Millec, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Headec Shackey, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Acon Rodcigfe, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Emily Goerlich, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Michael G. Katz, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Andrew Chofabfi, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Peerc Dfckec, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Ibid., pp. 1-3.
- Edith Macglin, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Sf dan Gildon Millec, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Headec Shackey, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب (تاريخ - ثقافة - دين)، ترجمة: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ص ٢٩٠.
- Ryan Schfedlec, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Sf dan Gildon Millec, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Emily Goerlich, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- المهدي الزايدوي، فهود السفارديم: كيف أفرغت الصهيونية المغرب من يهوده؟، موقع «إضاءات» الإلكتروني، ٢٣ مايو ٢٠٢١.
- محمد كنيبي، يهود المغرب (١٩١٢ - ١٩٤٨)، ترجمة: إدريس بنسعيد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٨، ص ١٧.
- أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب: تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٩ - ٣٠.
- عبد الوهاب بن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد، ١٨٨٠، ط ٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٥، ص ١٠٣ - ١٠٤.
- صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٢٨٤.
- المرجع نفسه، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.
- محمد كنيبي، يهود المغرب (١٩١٢ - ١٩٤٨)، مرجع سابق.
- Michael Ladkiec, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- Sf dan Gildon Millec, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- David Bendofdan, *The Alliance Idawie Univecdelle in noothen Mococco, 1120-121+*; In L. Cad Brown & Matthew S. Godon (ed.), *Francis - A Case of the Middle Ages in Memory of David C. Godon*, Bedford, American University of Beirut, 1993, pp. 1-3.
- «La Lf miece df Macoc (Oc Ha'Maacav)». web.nli.org.il.

David Bendof dan, Il caie Une Foid Le Macoc3Tmoignaged Df Padd @do - macocain, Oa. Cie

Michael Ladkiec, The Alliance Idawie Univecdelle and the @width Commfnied of Mococco, 116+-126+, Oa. Cie

David Bendof dan, Il caie Une Foid Le Macoc3Tmoignaged Df Padd @do - macocain, Oa. Cie

Sf dan Gildon Millec, A Hidocy of Modecn Mococco, Oa. Cie, a. - . .

Michael Ladkiec, The Alliance Idawie Univecdelle and the @width Commfnied of Mococco, 116+-126+, Oa. Cie, +16 - +23.

Sf dan Gildon Millec, A Hidocy of Modecn Mococco, Oa. Cie, a. - . .

ماهر سمك، اليهود في المغرب، كتاب «الحرية»، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٦٨.

Mococcan @wd aay homage ω 'acocæccoc' - Haacez Daily Dewdaaec | Idcael Dewd. Haacez.com.

روم لاندو، أزمة المغرب الأقصى، ترجمة: إسماعيل علي وآخرين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢٣.

“Le PeieMacocain”, Gallica, +- @ne, 12- . .

Sf dan Gildon Millec, A Hidocy of Modecn Mococco, Oa. Cie, a. - .

د. أحمد شحلان، اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة، دار أبي رقرق، الرباط، ٢٠٠٩، ص ٢٩٧.

أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ١٨.
صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٤١١ - ٤١٢.

د. أحمد شحلان، اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة، مرجع سابق، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

المهدي الزايدوي، فهود السفارديم: كيف أفرغت الصهيونية المغرب من يهوده؟، مصدر سابق.

صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

المرجع نفسه، ص ٤٢٠.

حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب (تاريخ - ثقافة - دين)، مرجع سابق، ص ٢٩١.

المرجع نفسه.

أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب: تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مرجع سابق، ص ٧٠.

المرجع نفسه.

أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ١٩.

أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب: تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مرجع سابق، ص ٧٧.

المرجع نفسه، ص ٧٥.

أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ١٩.

أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب: تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مرجع سابق، ص ٩٢.

المرجع نفسه، ص ١٠٧.

أحمد مصطفى جابر، اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، مرجع سابق، ص ١٨.

أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب: تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مرجع سابق، ص ٢٠.

المرجع نفسه، ص ٦٣.

“The @width Commfnied of Fez, Mococco”, The Mf defm of the @width Peoale ae Beie Haeff adbe

“Vicef al @width Modd3Mococco”, @width Vicef al Libcacy, The @width Vicef al Libcacy, Recieved +3 @ne +016.

خليل إبراهيم الطيار، يهود المغرب في ندوة: يهود الأقطار العربية، بغداد ١٣ - ١٤/١٩٨٧، سلسلة دراسات فلسطينية (٢٣)،

جامعة بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٠.

Sf dan Gildon Millec, Aelio Peæcciol; Maf oc Beæagnin, “Indcibing Minocicy Saace in the Idlamic Cicy3The @width Qfacæc of Fez (1-31 - 121+)”, @fncal of the Socieey of Achicæccal Hidociand, (Seæembec+001), 60 (3)3310-3+0.

Sf dan Gildon Millec, A Hidocy of Modecn Mococco, Oa. Cie, a. - . .

المهدي الزايدوي، فهود السفارديم: كيف أفرغت الصهيونية المغرب من يهوده؟، مصدر سابق.

Sf dan Gildon Millec, A Hidocy of Modecn Mococco, Oa. Cie, a. - . .

Alma Rachel Heckman, Oa. Cie

المهدي الزايدوي، فهود السفارديم: كيف أفرغت الصهيونية المغرب من يهوده؟، مصدر سابق.

د.وجيه الحاج سالم وآخرون، الوجه الحقيقي للموساد، دار الجليل، عمان، ١٩٨٧، ص ٧٦.

انظر أيضًا: جدع جلادي، إسرائيل نحو الانفجار الداخلي، دار البيادر، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٧٩ - ١١٢.

- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب (تاريخ - ثقافة - دين)، مرجع سابق.
- Aomac Bof m, Memocied of Abdence3How Mfdimd Remembec @wd in Mococco, Seanfood, California3Seanfood Univeidiey Pcedd, +013.
- “Pcohibiõnd on Commfnicaõnd and Emigcaõn @ Idcael”, Rickgold.home.minddacing.com.
- Michael Inbac and Chaim Adlec, Ehnic Inægcaõn in Idcael3A Comaacaõve Sef dy of Mococcan Boohecd Mho Seæed in France and in Idcael, Dew Bcf ndwick3Tcandacõn, 1200, aa. 3. - 36, - .
- Eliezec Ben - Rafael and Sæahen Shacoe, Ehniciey, RELigion, and Cladd in Idcaeli Sociey, Cambidge3 Cambidge Univeidiey Pcedd, 1221, a. 60.
- Amal El. Aæab, “Mococco Oceded Redõcaõn of Hidõcical @with diæd”, Mococco Modd Dewd.
- “The @wd of Mococco”. The Mf def m of the @with Peoale ae Beie Haæf æbe
- @wd, by Cof ncy of Original and Age, Avecage +012, Cenaxl Bf ceaf of Sæidicd, Idcaeli govcnmene, 1. Seaæmbec +0+0.
- Danny Adeno Abebe, “Mococcan @wd def dy high - æch in Idcael”, Yneenewd, 10 Macch +013.
- Yaniv Kfbovich, “Dew Dedinaõn foc Alleged Idcaeli Mobæcd on the Rfn3Mococco”, Haæceez, 1- Seaæmbec +01+.
- “King of Mococco oceded cedõcaõn of hf ndcedd of @with diæd”, www.idcaelhayom.com.
- “King of Mococco oceded cedõcaõn of hf ndcedd of @with diæd”, Ef coæan @with Congædd, 1- Decembeç +0+1.
- عبدالعزیز فیلالی، اعتداء اليهود على أهل قسنطينة ١٩٣٤، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ٢٠١٤، ص ٢٠.
- د. عبدالرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، غين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دس، ٢٠٠١، ص ٥٤.
- Kacem B. Sæcn, Indcibing devoõn and deach3acchaeological evidence foc @with aoaf laõnd of Doocñ Afica, Bcil, +001, a. 11.
- عيسى شنوف، يهود الجزائر: ٢٠٠٠ سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ٣٩.
- د.حسن ظاظا، بنوة الفكر اليهودي، مجلة «الفصل»، الرياض، العدد ٢٢٠، مارس ١٩٩٥، ص ١٩ - ٢١.
- “The Edice of Ei afldion of the @wd - 1-2+ Saain”, Seahadidceddied.ocg.
- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط ٢، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٤، ص ٢١٦.
- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.
- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.
- محمد دادة، اليهود في الجزائر في العصر العثماني منذ مطلع القرن ١٨ حتى ١٨٣٠، رسالة ماجستير في التاريخ، دمشق، ١٩٨٥، ص ١٣٤.
- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص ٢٣٠.
- Myciam Yaodeni, Ledjfid dand l’hidõice de France3Pcemic collobfe inæcnaõionale de Haifa, 1210.
- Elizabeth Fciedman, Colonialidm & Afæc Sof dh Hadley, Maddachf deæd3Becgen, 1211.
- Ibid.
- Docman Sællman, “The Dineæendh Cenfcy and the Imaæc of the Mede / Social Tcandfocnaõnd”, The @wd of Acab Landd in Modccn Timed, The @with Pfblicaõn Sociey, Achived fom the original on Af gfdæ+1, +006.
- Elizabeth Fciedman, Oa. Cie
- Ibid.
- Paf la Hyman, The @wd of Modccn France, Univeidiey of Califocnia Pcedd, 1221 a. 13.
- فطيمة شيخ، قانون كريميو ٢٤ أكتوبر ١٨٧٠م أو تجنيس اليهود: الاختيارات الصعبة في ظل الهيمنة الاستعمارية، مجلة «الحوار المتوسطي»، ج ٨، العدد ١، ص ٥١٩ - ٥٢٩.
- مرسوم كريميو... الفصل الفرنسي بين المسلمين واليهود، موقع «بوابة إفريقيا الإخبارية» الإلكتروني، ١٠ يناير ٢٠١٥.
- Pæccick Meil, How æ Be Fcench3Daõionaliey in the Making dince 1012, Dfke Univeidiey Pcedd, +001, aa. 1+1, +. 3.
- Elizabeth Fciedman, Oa. Cie
- @dhfa Schæieç, “Acabd of the @with Faich3The Civilizing Middion in Colonial Algecia”, Univeidiey of Califocnia Sana Ccfz, 13 @mfacy +011.
- Sacah Abœvaya Sæin, Sahacan @wd and the faæ of Fcench Algecia, Univeidiey of Chicago Pcedd, +01-.
- صموئيل أتينجر (محرراً)، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، مرجع سابق، ص ٤٢٠.
- المرجع نفسه، ص ٤٠١.
- عبدالرحمن بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (١٩٢٠ - ١٩٣٦)، المؤسسة الوطنية للكتاب،

Univēdicy of Connēcticē (Sacing +002), aa. 13-16.

Michael Fiddchbach, @with Pooacey ClaimdAgaindAcab Cofnāciēd, Colfmbia Univēdicy Pōēdd, Af gfdē+6, +001, aa. 20-21.
Ibid.

Maōin Gilbecē, The Adad of the @with Hidōcy, Dew Yock3Milliam Mōccow and Comaany, 1223, a. 11-.

“1260 Mac - imaaceon @wd in Acab cofnāciēd”, www.dii daywacco.fk.

Yaic Eēingec, “Sociologide Claf de Sibon, do the @wd of Tf nīdia have ceadon ē be afcaid5”, Haacez, Tel Aviv, @nfacy 10, +011.

إنجي مجدي؛ مصطفى رستم؛ مصطفى الأنصاري؛ نوفل الشرقاوي؛ هدى الطرابلسي، اليهود في بلاد العرب... أثر بعد عين، مصدر سابق.

إنجي مجدي؛ مصطفى رستم؛ مصطفى الأنصاري؛ نوفل الشرقاوي؛ هدى الطرابلسي، اليهود في بلاد العرب... أثر بعد عين، مصدر سابق.

يهودي يترشح للانتخابات في العاصمة، موقع «باب نت» الإلكتروني، ٢١ سبتمبر ٢٠١١.

يهود تونس يؤيدون «تدابير الرئيس» ويطالبون باستعادة أملاكهم في البلاد، جريدة «القدس العربي»، لندن، ٢٩ أكتوبر ٢٠٢١.

يهودي يترشح للانتخابات في العاصمة، مصدر سابق.

الهادي التيمومي، النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧ و١٩٤٨، دار محمد علي الحامي، تونس، ١٩٨٢.

هدى الطرابلسي، عودة الجدل بشأن أملاك اليهود في تونس، موقع «إندبننت عربيّة»، ٢٥ يناير ٢٠٢١.

د.رضا بن رجب، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (١٦٨٥ - ١٨٥٧)، ص ٨٣ - ٨٤.

يهود تونس... فنانون ومتقفون وسياسيون، جريدة الشرق الأوسط، لندن، ١٧ نوفمبر ٢٠١٨.

هدى الطرابلسي، عودة الجدل بشأن أملاك اليهود في تونس، مصدر سابق.

يهود تونس يؤيدون «تدابير الرئيس» ويطالبون باستعادة أملاكهم في البلاد، مصدر سابق.